

ديوان

نازك الملائكة

المجلد الثاني

دار العودة - بيروت

- سنة ١٩٤٧ صدر ديوانهـا الاول « عاشقة الليل » الذي قدمها شاعـرة كبيرة للعراق والامة العربية .

- سنة ١٩٤٩ صدر ديوانها الثـــاني « شظايا ورماد » وفيه تأكدت ريادتها للشعر الحديث ، وقد قـدمت للديوان بمقدمة مسهبة حددت فيها الاوزان الاساسية للشعر الحر ، ودعت له بقوة

- سنة ١٩٥٧ صـدر ديوانهـا الثالث « قرارة الموجة »

- سنة ١٩٦٨ صـدر ديوانها الرابـع « شجرة القمر »

يتبع على الوجه الثاني للغلاف

ديوان
نازك الملائكة

ديوان
نازك الملائكة

المجلد الثاني

دار العودة - بيروت

الطبعة الثانية
١٩٧٩

بيروت ـ كورنيش المزرعة
بناية الريفيرا سنتر
هاتف : ٣١٨١٦٥ ـ ٣١٠٨٤٠

شظايا ورماد

مقدّمة

في الشعر، كما في الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو : « اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية »، لسبب هام، هو أن الشعر وليـــد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحاسيسها. ولا تناقض بين هذا الرأي وما يقسم اليه النقاد الشعر من مدارس ومذاهب حين يقولون « كلاسيكي، رومانتيكي، واقعي، رمزي، سريالي ... » فهذه كلها ليست قواعد، وإنما هي أحكام.

وقد يرى كثيرون معي ان الشعر العربي، لم يقف بعد على قدميه، بعد الرقدة الطويلة التي جثمت على

صدره طيلة القرون المنصرمة الماضية . فنحن عموماً ما زلنا أسرى ، تسيّرنا القواعد التي وضعها أسلافنا في الجاهلية وصدر الإسلام . ما زلنا نلهث في قصائدنا ونجـــر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة ، وقرقعة الألفاظ الميتة ، وسدىً يحاول أفراد منا أن يخالفوا فإذ ذاك يتصدى لهم ألـف غيور على اللغة ، وألف حريص على التقاليد الشعرية التي ابتكرها واحد قديم أدرك ما يناسب زمانه ، فجمدنا نحن ما ابتكر واتخذناه سنة . كأن سلامة اللغة لا تتم إلا ان هي جمدت على ما كانت عليه منذ ألف عام ، وكأن الشعر لا يستطيع أن يكون شعراً إن خرجت تفعيلاته على طريقة الخليل .

ويقولون : ما لطريقة الخليل ؟ وما للغـــة التي استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون ؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان . ما لطريقة الخليل ؟.. ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، ورددها شفاهنا ، وتعلكها أقلامنا ، حتى مجتها . منذ قرون

ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون . لقد سارت الحياة ، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك وبانت سعاد . الأوزان هي هي ، والقوافي هي هي .. وتكاد المعاني تكون هي هي ؟

ويقولون : ما اللغة ؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة ؟ فينسون أن اللغة ان لم تركض مع الحياة ماتت . والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء ، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم . انها قد كانت يوماً لغة موحية ، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل ، فصنعوا من ألفـــاظها « نسخاً » جاهزة ، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم ، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين . ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق ، يمـد للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها ، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه

الفني ، فلا يسيء إلى اللغة ، وانما يشدها الى الأمام . الشاعر أو الأديب إذن هو الذي تتطور على يديه اللغة أما النحوي واللغوي فـــلا شأن لهما بها النحوي واللغوي عليهما واجب واحد هام . واجب الملاحظة واستخلاص قواعد عامة من كلام « المرهفين » من الكتّاب والشعراء .

على أن الأديب الذي سنتفق على تسميته «مرهفاً»، لا بد أن يملك ثقافة عميقة تمتد جذورها في صميم الأدب المحلي قديمه وحديثه ، مع اطلاع واسع على أدب أمة أجنبية واحدة على الأقل ، بحيث يتهيأ له حس لغوي قوي ، لا يستطيع معه ان هو خلق ، إلا أن يكون ما خلق جمالاً وسموا . فإذا خرق قاعدة ، أو أضاف لوناً الى لفظة ، أو صنع تعبيراً جديداً ، أحسسنا انه أحسن صنعاً ، وأمكن لنا أن نعد ما أبدع وخرق ، قاعدة ذهبية .

ولن تقف وظيفة الأديب المرهف ، عنـــد خرق قاعدة هنا ، وإضافة معنى هناك ، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هـــذا تفرضه عليه طبيعة التطور ،

في اللغات الإنسانية الحية . سيكون عليه أن يدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمَل في أدب عصره ، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التي كانت مستعملة في القرن المنصرم ويُدخل مكانها ألفاظاً جديدة لم تكن مستعمَلة . ذلك لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هـذه الحيـاة المتغيرة ، وهي تكتسب بمرور السنين ، جموداً يسبغه عليها التكرار ، فتفقد معانيها الفرعية شيئاً فشيئاً ، ويصبح لها معنى واحد محدود ، يشلّ عاطفة الأديب ، ويحول دون حرية التعبير .

ثم ان هنالك سبباً آخـر هاماً يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها ، هو أن الأذن البشرية تمـل الصور المألوفـة والأصوات الـتي تتكرر ، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها ، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه : « عمبر ، كافور ، غصن بان ، قد ، هـلال ، صدغ ، عود ، نرجس ، لؤلؤ » وهي ألفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة

شعرية ، وربما كانت يوماً مما لا يستعمله إلا المجددون من الشعراء .

وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة ، هذه الملاحظة الطريفة : لاحظت أننا ، في هذا العصر ، قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة « البدر » فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً ، ونؤثر عليها لفظ « القمر » وقلّ في الشعراء المعاصرين مَن يرضى استعمال كلمة « بدر » إلا في الحالات النادرة ، وأنا أعترف ، انني أكلف نفسي أحياناً متاعب كثيرة ، لكي لا أستعملها ، والتعليل السايكولوجي لهذا يسير ، فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطفىء الماضي ، واستعملوا فيها كلمة « بدر » حتى جردوها من جمال معناها ، وأطفأوها ، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها .

ربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس الاقتران Ass.ciation وربما كان له عندهم تعليل آخر ، سوى أن هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر ، فالمهم أن الألفاظ تصدأ وتحول ، وتحتاج إلى استبدال

بين حين وحين . وقد رأينا أن هذا الاستبدال وظيفة الأديب يقوم بها وهو « نصف واع » لأن الوعي التام قلما ينتج شيئاً ذا قيمة .

* * *

لنعد إلى حديث الأوزان .

في هـذا الديوان لون بسيط من « الخروج » على القواعـد المـألوفة ، يـلاحظ ، في قصائد مثل « جامعة الظلال » و « لنكن أصدقاء » و « مرثية يوم تافه » و «أغنية الهاوية » وسواها . وقد يحسن بي أن أؤكد للقارىء أنني لا أعـدُّ نفسي واحدة من المرهفين الذين تحدثت عنهم في الصفحات السابقة ، سوى انني أحسست أن هذا الأسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد . وسأحاول فيما يلي أن أبسط خاصية هذا الأسلوب ، ووجه أفضليته على أسلوب الخليل . الأبيات التالية تنتمي إلى البحر الذي سماه الخليل « المتقارب » وهو يرتكز إلى تفعيلة واحدة هي « فعولن » :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم
يداك لجمع الظلال
وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة ؟ ألف لا . فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم بيتاً له شطران ، فأتكلف معاني أخرى غير هذه ، أملأ بها المكان ، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي :

يداك للمس النجوم الوضاء
ونسج الغمائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة . ألم نلصق لفظ « الوضاء » بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته الأربع ؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة « الغيوم » إلى مرادفتها الثقيلة « الغمائم » وهي على كل حال لا تؤدي معناها بدقة ؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة « ملء السماء »

التي رقعنا بها المعنى ، وقد أردنا له الوقوف فخلقنا له عكازات ؟

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن « المتقارب » ، أما إذا اخترنا « الطويل » مثلاً ، فالبلية أعمق وأمر . إذ ذاك تطول العكازات وتتسع الرقع ، وينكمش المعنى انكماشاً مهيناً ، فنقول مثلاً :

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة
يسيرها الإعصار في كل مشرق

ليلاحظ القارىء بلادة التعبير ، وتقلص المعنى . وأين هذا من تعبيرنا الأول :

يداك للمس النجوم
ونسج الغيوم

وينبغي ألا ننسى أن هــذا الأسلوب الجديد ، ليس « خروجاً » على طريقة الخليل ، وإنما هو تعديل لهـا ، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل . فالخليل قــد جعل وزن البحر « الكامل » كما يلي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
كفـاي ترتعشان أين سكينتي ؟
متفاعلن متفاعلـن متفـاعلن
شفتـاي تصطخبان أين هدوئي ؟

مرتكزاً إلى « متفاعلن » التي اعتاد العرب أن يضعوا ثلاثاً منها في كل شطر . وكل مـا سنصنع نحن الآن ، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها فتجيء القصيدة من هذا البحر أحياناً كقصيدة « جدران وظلال » وهذا مقطع منها :

وهناك في الأعماق شيء جامد
حجزت بلادته المساء عن النهار
شيء رهيب بارد
خلف الستار
يدعى جدار
أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن متفاعلان

متفاعلن متفاعلن
متفاعلان
متفاعلان
متفاعلن متفاعلان

ومزية هذه الطريقة انها تحّرر الشاعر من طغيان الشطرين ، فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة ، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة ، وإن كان المعنى الذي يريده قــد انتهى عند التفعيلة الرابعة ، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء .

* * *

ثم نتحدث عن القافية ، ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت . قالوا أن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التي اتخذت القافية الموحدة سنة في قصائدها ، ونسوا أن أية لغة مهما اتسعت وغنيت ، لا تستطيع أن تمد « ملحمة » بقافية موحدة ، أياً كانت ، ولم ينتبهوا إلى أن ذلك كان واحــــداً من الأسباب التي حالت دون وجود

الملحمة في الادب العربي ، مع أنها وجدت في آداب الأمم المجاورة ، كالفرس واليونان .

وليس هذا مكان الحديث عن الخسائر الفادحة التي أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربي طيلة العصور الماضية ، وانما المهم أن نلاحظ أن هذه القافية تضفي على القصيدة لوناً رتيباً على السامع فضلاً عما يثير في نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية. ومن المؤكد أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة، ووأدت معاني لا حصر لها في صدور شعراء أخلصوا لها . ذلك لأن الشعر الكامل « الغنائي منه خاصة ، والشعر العربي غنائي كله تقريباً » لا يستطيع أن يكون إلا وليد الفورة الأولى من الاحساس في صدر الشاعر ، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى أول عائق يعترض سبيل اندفاعها ، فهي أشبه بحلم سرعان ما يفيق منه النائم ، والقافية الموحدة قد كانت دائماً هي « العائق » ، فما يكاد الشاعر ينفعل ، وتعتريه الحالة الشعرية ويمسك بالقلم فيكتب بضعة أبيات ، حتى يبدأ محصوله من القوافي يتقلص ، فيروح يوزع ذهنه بين

التعبير عن انفعاله ، والتفكير في القافية ، وسرعان ما تفيض الحالة الشعرية وتهمد فورتها . ويمضي الشاعر يصف الكلمات ويرص القوافي دونما حس . ولذلك ، قلما نجد في أدبنا القديم قصائد موحدة الفكرة ، يسيطر عليها جو تعبيري واحد منذ مطلعها إلى ختامها . فالشاعر يضطر إلى مصانعة القافية ، وأنا أعرف شعراء يختارون القافية ، ثم يكتبون البيت وفقاً لها ، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه الإلهة المغرورة .

إلا أن من حسن الحظ ، ان شعراءنا المعاصرين قد استخفوا بسلطان القافية ، وخرجوا عليه فاستعملوا نظام الرباعية وأشباهها ، ويكاد هذا يصبح الآن أمراً مقبولاً ، لا يبقي على قوافي هذا الديوان اعتراضاً ، إلا أنني أعترف مع ذلك بأنني أخضعت القافية أحياناً، لأكثر مما فعل سواي ، فنظمتها في قصيدة « مسامير» هكذا : « أ ب أ ، ب ج ب ، ج د ج ، د ه د ، ه و ه .. الخ . »[1] وفي « رماد » التي استعملت

(١) تكرار الحرف يعني تكرار القافية .

فيها نظام الرباعية كما يلي : « أ ب ب أ » وفي « غرباء » التي استعملت فيها نظام « المقطوعة Stanza » وكانت القافية في كل مقطوعة تجري هكذا « أأ ب ب أ ب ». أمـا قصيدة « الكوليرا » فقد كانت المقطوعة فيها أطول مما « ينبغي » قليلاً وقد جرت على هذا النسق « أ ب ب ج ج ب د د ب هـ هـ هـ هـ » على انني حررت القافية تحريراً تاماً في قصائد مثل « مر القطـــار » و « نهاية السلم » و« خرافات » و « جدران وظلال» وسواها ، فتركتها تتكرر كما يشاء السياق دون تقيد بنظام معين، ولعل هذه هي الخطوة الوحيدة التي تسبق الشعر المرسل Blank Verse . وان كان لا بـــد من إشارة إلى قصيدة « الجرح الغاضب » فلأقرر أن الأسلوب الطريف في تقفيتها مقتبس مباشرة عن الشاعر الأميركي « ادغار آلان بو » في قصيدته البديعة « Ulalume » .

* * *

قلت أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، لأن كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة

وراء الألفاظ استغلالا تاماً ، إلا حديثاً ، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة « المظلمة .. » تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها . وربما كان ذلك هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوحاً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للالفاظ ، كالرمزية ، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمل اللغة أثقالاً من الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة ، واتجاهات اللاشعور ، ومثل ذلك مما لا تنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها .

والواقع أن القارىء العربي يتهرب من الشعر الرمزي ، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة ، فليس غريباً أن تتلكأ قليلاً، وتتوتر . أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربي تنفر بطبعها من الرموز ولا تجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى وراء الحس ، والعوالم الخفية التى يعسر إدراكها ، فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل ..

ذلك لأن النفس البشرية عموماً ، ليست واضحة ، وإنما هي مغلفة بألف ستر . وقد يحدث كثيراً أن

تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية ، تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الراكدة في أعماق العقل الباطن منذ سنوات وسنوات ، ومئات الصور العابرة التي تمر فيحدق فيها العقل الواعي ببرود وينساها نسياناً كلياً فيتلقفها العقل الباطن ويكنزها مع ملايــين الصور التافهة ، ويغلق عليها الباب ، حتى إذا آنس غفلة من العقل الواعي ، أطلقها صوراً غامضة لا لون لها ولا شكل .

وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على إنسان دون إنسان ، سوى أن التعبير عنها يختلف . فالإنسان العادي يراها في أحلامه . أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معاً . وما دمنا لا نستغرب حين نستيقظ أحياناً في أعماق الليل وقد حلمنا أننا نركض حفاة ، في قبو قديم ، كان جزءاً من دار خربة كنا نسكنها منذ ثماني عشرة سنة كاملة ، لم نعد اليها خلالها مطلقاً ، ومع ذلك لاحظنا في الحلم أدق الأشياء المنطمسة التافهة التي شاهدناها في السنين الغابرة : ذلك المسمار القديم المعوج على الجدار ، وقد تدلى منه الحبل

الباهت القديم نفسه . ثم هناك ، على ارتفاع أمتار ، أنبوب المياه الذي كنا في طفولتنا نتسلقه أحياناً . أقول : ما دمنا لا تستغرب ذلك في حـلم فلماذا لا نتقبله حين يصفه شاعر في قصيدة ؟ إن الشاعر الذاتي الذي يراقب نفسه ، كما لو كان يراقب بحراً زخراً لا شطئان له ولا قرار ، لا يستطيع أن يتهرب من مثل هذه الصور الباهتة الممحوة ، فهي تلاحقه أبداً ، ولا بد له من وصفها في شعره . والابهام جزء أساسي من حياة النفس البشرية ، لا مفر لنا من مواجهته ان نحن أردنا فناً يصف النفس ، ويلمس حياتها لمساً دقيقا .

ومع ذلك فالابهام ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو صورة من صور الحياة ، ولذلك يندر أن نجد شاعراً، كل شعره معقد ملتو . أمـا الذين يتعمدون تعقيد شعرهم ، فقـد يكون (ألدس هكسلي) التمس لهم بعض العذر حين قال ان المعاصرين يهربون إلى الابهام خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الأساسية في الأدب الشعبي .

وليس قصدي من هذا التمليل للتعبير الرمزي

والسريالي، أن أقول ان طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي إلى هذه المدرسة أو تلك . وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عالجت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً ، وباللاشعور أحياناً ، وهي حالات لم يقف عندها الشعر العربي إلا نادراً ، فهو قد وقف نفسه على معالجة السلوك الخارجي للإنسان .

ففي « الخيط المشدود في شجرة السرو » حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجىء بنبأ موت حبيبته . وسيلاحظ أن القصة العاطفية في هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان له من صلة وثيقة بشرود الشاب المصدوم ، وفي حالة الهذيان الداخلي التي اعترته . فعقدة القصيدة تعتمد على الحـــالة التي تعتري إنساناً يتلقى نبأ مثيراً فاجعاً ، لا يتوقعه . فهو إذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق ، ويبدو أنه لم يسمع النبأ . ويتلفت حوله فتعلق عينـاه بأول شيء تافه تصادفانه ، فيغرق في التفكير فيه . وقد كان الشيء التافه فيهذه القصيدة هو الخيط . كان مشدودا

في شجرة سرو تقوم عند الباب فانشغل العقل المصدوم بالتفكير فيه ، وبقي منشغلاً حتى عـــاد اليه وعيه وإدرك فداحة المأساة التي نزلت به .

ولن يعثر القارىء على شيء مثير في قصيدة « مر القطار » إن هو توقع أن يجد فيها وصفاً للقطار أو لرحلة في القطـــار . فقد كان غرضي الأساسي من كتابتها أن أعـبر عن الشعور الغامض الذي يحسه المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار . فهناك حـالة التعب الكلي التي يجد فيها المرء نفسه مشوبة بلون من الكسل والارتخاء . وهناك صوت عجلات القطار الرتيب الذي لا يتغير ، ولون الغبار المتراكم على كل شيء ، على الحقائب ، وعلى الوجوه والثياب . ثم هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفاً . والقطار يصفر بين حين وحين فيثير إحساساً غريباً في النفس . كل ذلك والسكوت يغمر العربة ، التي نام أغلبية الموجـــودين فيها وهم جالسون على مقاعدهم . وبين فترة وأخرى ، يصدف أن يتثاءب مسافر غريب لا نعرفه ، يهتف بملل وبرود « كم الساعة

الآن ؟ » أو « متى نصل ؟ » أو « أين نحن ؟ » أو مثل ذلك من العبارات . فإذا أحس قارىء « مر القطار » ببعض هذا الجو كان ذلك حسبي .

أما قصيدة « الأفعوان » فقد عبرت فيها عن الإحساس الخفي الذي يعترينا أحيانا بأن قوة مجهولة جبارة ، تطاردنا مطاردة نفسية ملحة . وكثيراً ما تكون هذه القوة ، مجموعة من الذكريات المحزنة ، أو هي الندم ، أو عادة نمقتها في سلوكنا الخارجي ، أو صورة مخيفة قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها ، أو هي النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف وشرود ، أو أي شيء آخر ... فالأمر متوقف على ذاتية القارىء ، وليس يعنيه أن أعين «افعواني» أنا ، فذلك أمر ثانوي ، وإنما المهم ، ان هذا الأفعوان يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه ، حتى إذا لذنا باللابرنث Labyrinth « وهو تيه معقد المسالك يدخله المرء فلا يملك مغادرته لالتواء طرقه وكثرة أبوابه » ، حتى إذا استعملنا طريقة الإيحاء الذاتي كما صنعت أنا في القصيدة :

إنه لن يجيء
لن يجيء وإن عبر المستحيل
أبداً لن يجيء

فالنتيجة الحتمية ، انه يجيء أخيراً ، وسرعان ما نصرخ « انه جاء ! » وفي قصيدة « خرافات » يجد القارىء لوناً من الشعور أحسه ، ويحسه كثيرون ، كلما ساد السكون مكانا . فإذ ذاك نسمع بأذن الروح ألف قصة تقصها الأشياء الراكدة حولنا . فالسياج يتكلم ويعيد ما كانت عنده من ذكريات انطمست وماتت ، و « قصائص الورق الممزق في الخرائب » تحكي أقاصيص مثيرة عن حوادث بعيدة منسية . و « الغبار » يقص قصة النسيان الذي تذره العصور على كل شيء ، و « مقاعد الغرف القديمة » تحدث عن جيل من الناس مر بها يوماً ثم انتقل إلى أفق بعيد مجهول ، وهكذا ... حتى يكاد الإنسان الحساس لا يرى شيئاً إلا ويحسه يغمغم ويهمس ويطارده بالكلام.

* * *

والذي أعتقده أن الشعر العربي ، يقف اليوم على

حافة تطور جارف عاصف لن يبقي من الأساليب القديمة شيئاً ، فالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعاً ، والألفاظ ستتسع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير ، والتجارب الشعرية «الموضوعات» ستتجه اتجاهاً سريعاً إلى داخل النفس ، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد . أقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته وأقوله لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قراءة الآداب الأوروبية ودراسة أحدث النظريات في الفلسفة والفن وعلم النفس . والواقع أن الذين يريدون الجمع بين الثقافة الحديثة وتقاليد الشعر القديمة ، أشبه بمن يعيش اليوم بملابس القرن الأول للهجرة ، ونحن بين اثنين : اما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبقها ، أو ألا نتعلمها إطلاقاً .

وقد يفيدنا أن نتذكر دائماً أن التطور الذي يحدث في الفنون والآداب في عصر ما ، أكثر ما يكون ناشئاً عن التقاء أمتين أو أكثر . فقد يحدث أن أمة معينة ،تخمد قابلياتها وتركد قروناً كاملة بتأثير عوامل خاصة . ثم يأتي عليها زمن متوثب يوقظها فتتململ

وتتحرك ، وترنو إلى ما حولها ، وتبدأ باستيعاب ما فاتهـا من ثقافات ، فتستفيد من تجارب أمة مجاورة بقيت نشيطة فأضـافت إلى الفكر الإنساني فصولاً لامعة . فمـا يمضي نصف قرن حتى تنتهي الأمة التي كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب ، وتبدأ حيث وقفت الأمة المجاورة . تبدأ بالإضافة . وهـذا هو الأسلوب الذي يتبعه خط التطور في تاريخ الأمم ، بحيث لا نستطيع أن نعثر على مذهب ، أو اختراع ، أو نظرية ، توصلت إليهـا أمة بعينها ، دون أن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى .

* * *

آخر ما أود أن أقوله في هذه المقدمة ، انـني أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيماناً حاراً عميقاً . أؤمن انه مندفع بكل مـا في صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات ، ليتبوأ مكانـاً رفيعاً في أدب العـالم .

وألف تحية لشعراء الغد .

٣ / ٢ / ١٩٤٩

نازك الملائكة

كبرياء

لا تَسَلني عن سرّ أدمعيَ الحرّ
يْ فبعضُ الأسرار يأبَى الوضوحا
بعضُهــــا يؤثرُ الحياةَ وراءَ الـ
حسِّ لُغْزاً وإن يكنْ مجروحا

* * *

بعضُها إن كشفتَهُ يَستحِلْ حُبَّـ
ـاً مُهاناً يموتُ موتاً حزينا

بعضُها بعضُها تكبَّرَ أن يكـ
شفَ عمـــا وراءَهُ أو يُبينا

* * *

ومئاتُ الأسرارِ تكمنُ في دمـ
ـعةِ حُزْنٍ تلوح في مُقلتينِ
ومئاتُ الألغـــاز في سكتة تهـ
ـتزُّ خلفَ انطباقة الشفتينِ

* * *

وعيونٌ وراءَ أهدابهـــا أشـ
ـباحُ يأسٍ في حَيرةٍ وانكسارِ
تؤثِرُ الظلَّ والظلامَ ارتياعاً
من ضياءٍ يبـــوحُ بالأسرارِ

* * *

وقلوبٌ تضُمُّ أشلاءهــــا فو
قَ جراحٍ وأدمعٍ وذهـــولِ
تؤثِرُ الموتَ كبرياءً ولا تنـط
ـقُ بالسرِّ بالرجـاءِ الخجولِ

* * *

وشفـاهٌ تموتُ ظمأىٰ ولا تَسْ
ـألُ أينَ الرحيقُ؟ أينَ الكاسُ؟
ونفوسٌ تحسُّ أعمـــقَ إحسَا
سٍ وتبدو كأنّهـا لا تُحِـسُّ

* * *

وأكفٌّ تودُّ لو مَزّقتْ لو
قَتَلَتْ لو تمرّدتْ في جُنونٍ

لو رأتها الحياةُ قالتْ : هدوءٌ
وادعٌ في براءةٍ وسكونِ

* * *

لو رأتْها ماذا ترَى ؟ كلُّ شيءٍ
مُغْرَقٍ خلفَ داكناتِ السُّتورِ
ألفُ سترٍ وألفُ ظلٌّ من الكبـ
ـتِ عميقٍ وألفُ قيدٍ ونيرِ

* * *

لا تَسَلني لا تجرحِ السرَّ في نفـ
ـسي ولا تَمْحُ كبرياءَ سكوتي
لو تكلمتُ كانَ في كلِّ لفظٍ
قبرُ حلْمٍ وفجرُ جرْحٍ مميت

* * *

لو تكلمتُ كيفَ ترتعشُ الأشـ
ـعارُ حزناً. وترتمي في عَيَاءِ
لو كشفتُ السرَّ العميقَ فماذا
يتبقّى منّي سوى الأشلاءِ؟

* * *

لو تكلمتُ رعشةٌ في حياتي
وكياني تُلحُّ أن أتكلّمْ
وسكوتي العميق يكتم أنفا
سي وقلبي يكادُ أن يتحطّمْ

* * *

لو تكلمتُ لو سكتُّ نداءا
نِ عميقانِ كالحياة آستِعارا

نتـــلاقى عليها كلُّ أمرا
ري فأبقى شعرا وحبّا ونارا

* * *

وتظَلُّ الحياةُ تخلُقُ من وجـ
ـهي قناعاً صلْداً يفيضُ رياءا
جـــامداً بارداً أصمّاً ويُخفي
بعضَ شيء سمّيتُهُ كبرياءَ

(١٩٤٨)

يوتوبيا الضائعة

صدىً ضائعٌ كسَرابٍ بعيـــد
يجـــاذبُ روحي صباحَ مساء
أنامُ على رَجْعِهِ الأبـــديّ
ويوقظـني برقيـقِ الغناء
صدىً لم يشابِهْه قطّ صَدىً
تغنّيه قيثــارةٌ في الخفَـاء
إذا سمعتْه حيـــاتي ارتمتْ
حنيناً ونادَتْـهُ ألفَ نــداء

يموتُ على رَجْعه كلُّ جُرْح
بقلبي ويُشرقُ كلُّ رجـــاءْ

ويمضي شعـــوريَ في نشوةٍ
يخـــدّرُهُ حُلْم يوتوبيا

* * *

ويوتوبيـــا حُلُمٌ في دمي
أمـــوتُ وأحيا على ذكرهِ

تخيلتُهُ بـــلداً من عبـــير
على أُفـقٍ حرْتُ في سرّهِ

هنالكَ عـــبرَ فضَاء بعيد
تذوبُ الكواكبُ في سحرِهِ

يمـــوتُ الضياءُ ولا يتحققُ
مـــا لونُهُ ما شذَى زهرِهِ

هنالك حيثُ تـذوبُ القيود
وينطلـقُ الفكـرُ من أسرِهِ
وحيث تنامُ عيونُ الحيـــاة
هنالـكَ تمتـدُّ يوتوبيـــا

* * *

ويوتوبيا حيث يبقى الضياء
ولا تَغْـرُبُ الشمسُ أو تَغْلَسْ
وحيث يظَلُّ عبيرُ البنفسجِ
حيّاً ولا يذْبُـــلُ النرجسُ
وحيث تفيضُ الحيـاةُ رحيقاً
نميـــراً ولا تفرُغُ الأكؤسُ
وحيث تضيـعُ حدودُ الزمـان
وحيثُ الكواكبُ لا تنعسُ

هناكَ الحيـاةْ امتداد الشباب
تفـــورُ بنشوتِـهِ الأنفسْ
هنـــاك يظَـلُّ الربيـعُ ربيعاً
يظلّـلُ ســـكان يوتوبيا

* * *

هنالكَ حيث وعتْ شهرزاد
أقاصيصَ غنّتْ بها ألفَ ليله
وحيثُ دِيانا تسوقُ الضيـــاء
ونارسيسُ يعبُدُ في الشمسِ ظلّـهْ
هنالكَ يوتوبيـــا في الضّباب
على شَفَقٍ لم تَرَ العينُ مثلَـهْ
يحفُّ بهـــا أبدٌ من عطور
ويمنحُها ألفَ لحـــنٍ وقُبْـلهْ

وترقدُ في سَكْرةٍ لا تُحَدُّ
على رَجْعِ أغنيَةٍ مضمحله

على شاطئٍ كضياءِ النجوم
أسمّيه شاطئَ يوتوبيا

* * *

هنالك طوّفتُ ذات مساء
وكان معي هيكلٌ كالسراب

أحسُّ خطاهُ على الرَمْل لكن
أرى غيرَ شيءٍ وبعضَ سَحابْ

وكنتُ أحسُّ بجسمي حياة
تطيرُ بروحيَ فوق الترابْ

وكان أمامي ممرٌّ غريبْ
تغلّفهُ دَفَقاتُ الضبابْ

ويمتدّ عن جـانبيهِ خليجَ
وبعضُ جزائرَ بعضُ هضابْ
وفي حُلْمي صحتُ : أين أسير؟
فردَّ صدىً : قربَ يوتوبيا!

* * *

أحسستُ في قعرِ روحي جنوناً
وشوقاً عميقاً كبحرٍ عميـقْ
رِيدُ انتهاء الطريقِ الغريب
إلى البـلد المتمنّى السحيقْ
لى ذلـكَ الأفُقِ الأزليّ
وحيث يعيشُ أبولو الرقيقْ
سيرُ أسيرُ ولا شيءَ يبدو
أماميَ غـيرَ امتداد الطريقْ
لِي ظما لوجـودٍ عجيب
يذوبُ عليه النّدى والبريقْ

على ظَمأ صارخٍ وأخـــيراً
صحوتُ ولم أرَ يوتوبيـــا
* * *
وفي حُلْـم آخرٍ كنتُ أمشي
على شاطىء من حَصىً ورمالْ
غريبٍ غريبٍ بلونِ الأثـير
يحفُّ بـــه أفُقٌ كالخيالْ
تناهى بأقـــداميَ المُتْـعَبات
إلى صخرةٍ رسخَتْ كالمحـــال
تسلّقتُها أمـــلٌ مضمحلٌّ
فقد تتزحلقُ حتى الظـــلالْ
وقفتُ على قَدَمَيْهـــا أنوحُ
على حُلْـمٍ بائسٍ لـــن يُنالْ
وساءلتُ مـاذا ترى خلفَـها ؟
فقال ليَ الرملُ : يوتوبيـــا !
* * *

وفي حُلمٍ ثالثٍ خُلتُ نفسي
على بابِها المرمريّ الكبيرْ
أحدّقُ في نشوةٍ لا تُحدُّ
أكادُ أجنُّ .. أكادُ أطيرْ

أحقاً أرى البابَ ؟ ألواحهُ
تلوحُ مبطّنةً بالحريرْ
تقدمتُ واجفةً في خشوع
وفي مقلتي ومْضُ حلْمٍ قريرْ

أدقُّ على الباب في نَشْوة
ولا ردَّ غيرَ السكونِ المريرْ
فصحتُ بصوتٍ حبيسٍ : دعوني
أموتُ على بابِ يوتوبيا

* * *

ومرتْ حياتيَ مــــرّت سدىً
ولا شيءَ يُطفىء نارَ الحنينْ

سدىً قد عبرتُ صحارى الوجود
سُدىً قد جررتُ قيودَ السنينْ

وما زلتُ أذرعُ صمتَ القفارِ
وأسألُ عن سرِّهـــا العابرينْ

يطـــولُ على قلبيَ الإنتظار
وأغرَقُ في بحرِ يأسٍ حزينْ

أحـــاولُ أن أتعزى بشيءٍ
بغابٍ ، بوادٍ ، بظـلة تـينْ

دقائقَ ... ثم أخيبُ وأهتـفُ :
لا شيءَ يُشبهُ يوتوبيـــا

* * *

سابقى تجـــاذبني الأمنيات
إلى الأفُـق السرمديّ البعيدْ
وأحلُمُ أحلُمْ لا أستفيـــ
ـقُ إلا لأحلُمَ حُلْماً جديدْ
أقبّـلُ جدرانَهـــا في الخيال
وأسالُ عنها الفضاء المديــــدْ
وأسالُ عنها انسكابَ العطور
وقَطْـرَ الندى ورُكامَ الجليدْ
وأسالُ حـــتى يموتَ السؤال
على شفتيَّ ويخبـــو النشيدْ
وحـين أموتُ .. أموتُ وقلبي
على مـــوعدٍ مـــع يوتوبيا

١٩٤٨

تواريخ قديمة وجديدة

لِنَسِرْ كان أمسُ ومات   منذُ بضعِ مئاتِ السنينْ
مسحت ذكرَهُ السنواتْ   وطوتْهُ مع الميّتينْ

وبحثْنا زماناً طويل   عن كواكبه الآفلاتْ
واستعرنا يدَ المستحيل   لنُعيدَ إليهِ الحياةْ

وأهبْنا بركبِ العُصورْ   أن يعودَ على بَدْءِ
علّنا نستعيدُ الشعورْ   فرَجعْنا بلا شيءِ

كم شققنا هناكَ الظلامْ وعبرْنا سكونَ الركودْ
ونبشنا رُكَامَ العظامْ لم نجدْ شيئَنا المفقودْ

ورأينا هنـاك جباهْ لا ترى فهي عميـاءْ
وعيونا طوتْها الحياهْ صمتتْ فهي خرسـاءْ

ورأينا رفاتَ قلوب حنّطتْها يدُ الذكرياتْ
وسدىً حاولتْ أن تؤوبْ معنا فهْي.. فهي رُفاتْ

ورأينـا شفاهاً خوتْ لم تَعُد تشتكي أو تجوعْ
وأكفّاً ذوتْ وانطوتْ لم يعد لأساها دموعْ

وسألنا عن الأمسِ فعثرنا على تابوتْ
وهناكَ على الرمْسِ يجثمُ الزمنُ المبهوتْ

ورَجعنا إلى التقويمْ علَّمنا نخـــدعُ الأيامْ
فسمعنا صُراخَ المشيمْ خلفَ سخـرية الأرقـامْ

ورأينا الغـدَ المنتظرْ ساحباً نصفَهُ المشـــلولْ
ساحباً نصفَـهُ المحتَـقَرْ نصفَـهُ الجامدَ المملولْ

وهناكَ انطوى سِفْـرُ واختتمْنا النشيدَ القديمْ
وغــــدا ينبُتْ العُمْرُ فوقَ جُرْحِ الزمانِ الأليم

ويتيهُ صــــدى الأمسِ في مدار الزمانِ العميقْ
ونُحِسُّ على الكـــاسِ فورةَ الحُـــلمُ المستفيقْ

١٩٤٨

صراع

أحبُّ .. أحبُّ .. فقلبي جُنون
وسورةُ حبٍّ عميــقِ المَدَى
أحبُّ فروحيَ حسٌّ غريبٌ
يضيــع لديه جمـودي سُدَى
حياتيَ في العالم الشاعريِّ
لهيبٌ من الحبِّ لــن يَخْمَدا
وجسمي قلبٌ خفـوقٌ خفوق
سيلبثُ ملتهباً موقَـــدا

وأكرهُ أكرهُ قلـــبي لهيبٌ
وسورةُ مَقْتٍ كبيرٍ كبـــيرْ

وروحيَ مستعرُ الإحتقـــار
يرى الكونَ أفْقاً وضيعاً حقير

حياتي تحسّ وجيبَ الحُقُـود
على عـالم مغرَقٍ في الشُرُور

ونفسيَ في ثورة لا تَقَـــرُّ
تحقّرُ ما حولها من صخور

أحبُّ وأكرهُ .. حبّي شقاءْ
أحبّ وأكره .. كُرْهي ألمْ
ففيمَ أعيشْ ؟ سئمتُ البقاءْ
وشاقَ حياتيَ صمْتُ العَدَمْ

* * *

وأبكي .. وأبكي .. فدمعي لهيب
يحطّمُ روحي ويُذوي المنى
تعذّبني حيرتي في الوجود
وأصرُخُ من ألمي : من أنا
مُنحتُ عيوناً تحبُّ الدموع
وقلباً يحبّذُ أن يُطعنا
وروحاً تعثّر فيما يريد
فمجَّ الظلامَ وعاف السَّنا

وأضحكُ من كلّ ما في الوجود
وفي ضَحِكي مَرَحٌ ساخرٌ
فقلبيَ سخريّةٌ واحتقارٌ
يثيرهما العالمُ العاثرُ

أحدّقُ من قِمّتي في الثَرَى
فيُضْحكني دودُهُ الناخرُ
وأضحكُ ضُحْكةَ ربٍّ كئيب
تمرّدَ مخلوقُـــهُ الكافرُ

وأبكي واضحكُ .. دمعي دماءُ
وأبكي واضحكُ .. ضُحْكي نَدَمْ
ففيمَ أمرّغُ تحت الضيـــاءْ
فؤاداً سيرقُـدُ تحت الظُلَمْ

* * *

أريدُ وأجهلُ ماذا أريد
أريـــد وعاطفتي لا تُريدْ
أحبُّ السماء ولونَ النجوم
وامقتُها كلَّ فجرٍ جديدْ

أريدُ وأشعُرُ أني أحسُّ
ويسخَرُ مما أحسُّ الوجودْ
وأرغبُ في حُلمٍ غامضٍ
فليس له هيكلٌ أو حدودْ

وأنفِرُ من كلِّ ما في الوجود
وأهرُبُ من كلِّ شيءٍ أراهْ
ففي عُمْق نفسيَ صوتٌ غريب
يعلّمُ قلبي ازدراءَ الحياهْ
ويصرُخُ بي : إهربي إهربي
ويُتْعب احساسَ روحي صَداه
فاهتفُ يا عالمي : لا أريد !
وتصرخُ بي ذكرياتي : النجاه !

أريدُ وانفرُ تحت السماءْ
فارسِمُ كلَّ صراعى نَغَمْ
ومن أجلِ لحني سأرضى البقاء
وعارَ الحياةِ وذُلَّ الألمْ

* * *

أحبُّ وأكره مــاذا أحبُّ
وأكرَهُ ؟ أيُّ شعورٍ عجيبْ ؟
وأبكي وأضحك مــاذا ترى
يثيرُ بكائي وضُحْكي الغريبْ ؟
أريدُ وأنفرُ ، أيُّ جنونٍ
حياتيَ ؟ أيُّ صراعٍ رهيبْ ؟
لماذا أغنّي ؟ لماذا أعيشُ ؟
ومنذا أصارعُهُ ، من يُجيبْ ؟

١٩٤٧

عندما انبعث الماضي

أمسِ في الليــــل وكانت صورُ الأسرار شتّـى
تتصبّى حاضري الغافي وكان الأمسُ مَيْـتا
خِلْتُـني كفّـنتـُه ذاتَ مساء
وتحصنتُ بدعوى كبريائي
سمعتْ روحيَ في إغفـــاءةِ الظُـلمة صوتا
لم يكن حُلْـماً خُرافيّاً الستورِ
بعثتْـهُ رغبةٌ خلف شعوري
كان شيئاً ، كان في صمتِ الدُجَـى صوتَكَ أنتا

ذلـــك الصوتُ الذي يعرِفُـهُ سمعي مليّا
صوتُ ماضيٍّ الذي ماتَ ومـــا خلّـفَ شيّـا
غـيرَ أشتاتِ احتقارٍ باهتِ
رسبتْ في قَعْـر قلبي الصامتِ
غيرَ أشتاتِ ادّكاراتِ لحبٍّ كان حيّا
منذ أعوامٍ .. وقد فاتَ ومرّا
منذُ أعوامٍ.. وصار الآن ذكرا
لفّـها المــاضي وواراها الـــترابَ الأبديا

ذلك الصوتُ الذي مـــرّ على سمعيَ أمسِ
كان يومـــاً رغبةً تُجْـهشُ في أعماقِ نفسي
كان حُلْـماً ذائباً في عبراتي
كان حُبّاً تائهـــاً في أمنياتي
ثم حطّمتُ على ذكراهُ قيثاري وكـــاسي
عندما ضيعتُـهُ تحت الضّبابِ
وتعثّرتُ بأشـــلاءِ شبابي

وتهاويتُ على جُثّة أحــلامي وأنسي

ومضى عامانِ مُمطوطانِ مَرّا في شُحُوبِ
كان عُمري خِربةً يصبغُهـــا لونُ الغُروبِ
تذرعُ الأشباحُ في الصمت دُجَاها
ويعيشُ اليومُ في ظلّ أساهـا
كلّما جالتْ بيَ الحيْرةُ في القببـو الغريبِ
مدتْ الذكرى ذِراعَيْها إليّا
لونُها يخلقُ من رُعبيَ دنيا
ويثيرُ الوترَ الميّتَ في قلـــبي الكئيبِ

وانقضى عامانِ ملعونانِ من أعوامِ حبي
مزّقتْ روحيَ أظفارُها ، روحي وقلبي
لم تدَعْ حتى شِراعاً من رجاء
أبداً لم تُبقِ إلا كبريائي

وأباديدَ ادّكاراتٍ لهـا قسوةَ ذئبِ
عرفتْ روحيَ فيها لونَ أمسي
أمسيَ الراسبُ في أعماقِ حسّي
عرفتْ فيها صدى الصوت الذي غمغم قربي

انه الأمسُ إذنْ عاد ليحيا من جديدِ
إنـــه عاد إذن يطرقُ أبوابَ شُرودي
اسفاً يا شبحي عُدْ للترابِ
لم تعُدْ تملكُ أن تطرُقَ بابي
لم يعـد يربطنا إلا ركامٌ من حـدودِ
هُوّةٌ أعمقُ من ذنبكَ ! ماذا ؟
قد تبقّى لك عندي غيرُ هذا ؟
غير ذكرىً عبرتْ يوماً ومرّتْ بوجودي ؟

مر القطار

ألليلُ ممتدٌّ السكونِ إلى المدَى
لا شيءَ يقطعُـهُ سوى صوتٍ بليدْ
لحمامةٍ حَيْرى وكلبٍ ينبَـحُ النجمَ البعيدْ ،
والساعةُ البلهاءُ تلتهم الغدا
وهناك في بعضِ الجهاتْ
مرّ القطارْ
عجلاتُهُ غزلتْ رجاءً بتُّ أنتظرُ النهارْ
من أجلِـهِ .. مرّ القطارْ

وخبا بعيداً في السكونْ
خلفَ التلالِ النائياتْ
لم يبقَ في نفسي سوى رجْعٍ وَهُونْ
وأنا أحدّقُ في النجومِ الحالماتْ
أتخيلُ العرباتِ والصفّ الطويلْ
من ساهرينَ ومتعبينْ
أتخيلُ الليلَ الثقيلْ
في أعينٍ سئمتْ وجوهَ الراكبينْ
في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ
سَئمتْ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ
أتصوّرُ الضجَرَ المريرْ
في أنفس ملّت وأتعبها الصفيرْ
هي والحقائبُ في انتظارْ
هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارْ

تغفو دقائقَ ثم يوقظُها القطارْ
ويُطِلُّ بعضُ الراكبينْ
متثائباً ، نعسانَ ، في كسلٍ يحدّق في القِفارْ
ويعودُ ينظُرُ في وجوهِ الآخرينْ
في أوجهِ الغُرَباء يجمعُهم قطارْ
ويكادُ يغفو ثم يسمَعُ في شُرُودْ
صوتاً يغمغمُ في بُرُودْ
« هذي العقاربُ لا تسيرْ !
كم مرَّ من هذا المساء ؟ متى الوصولْ ؟ »
وتدقُّ ساعتُهُ ثلاثاً في ذُهُولْ
وهنا يقاطعُهُ الصفيرْ
ويلوحُ مصباحُ الخفيرْ
ويلوحُ ضوءُ محطةٍ عبرَ المساءْ
إذ ذاكَ يتئدُ القطارُ المُجْهَدُ

... وفتىً هنالكَ في انطواءْ
يأبَى الرقادَ ولم يزلْ يتنهدُ
سهرانَ يرتقبُ النجومْ
في مقلتيه برودةُ خطّ الوجومْ
أطرافَهَا .. في وجهِهِ لونٌ غريبْ
ألقتْ عليه حرارةُ الأحلام آثارَ احمرارْ
شفَتاهُ في شبهِ افترارْ
عن شِبْهِ حُلْمٍ يفرُشُ الليلَ الجديبْ
بخفيفِ أجنحةٍ خفيّاتِ اللُحونْ
عيناهُ في شِبْهِ انطباقْ
وكأنّها تخشَى فرارَ أشعةٍ خلف الجفونْ
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يُطاقْ
هذا الفتى الضَجِرُ الحزينْ
عبثاً يحاول أن يَرَى في الآخرينْ

شيئاً سوى اللُغْزِ القديمْ
والقصّةِ الكبرى التي سئمَ الوجودْ
أبطالهَا وفصولهَا ومضَى يراقبُ في برودْ
تَكْرارَها البالي السقيمْ
هذا الفتى .....
وتمرُّ أقدامُ الخفيرْ
ويُطِلُّ وجهٌ عابسٌ خلفَ الزُجاجْ ،
وجهُ الخفير !
ويهزُّ في يدِهِ السِراجْ
فيرى الوجوهَ المتعَبه
والنائمينَ وهُمْ جلوسٌ في القطارْ
والأعينَ المترقبه
في كلِّ جفْنٍ صرخةٌ باسمِ النهارْ ،
وتضيعُ أقدامُ الخفيرِ الساهدِ

خلفَ الظلامِ الراكدِ

مرّ القطارُ وضاع في قلبِ القفارْ
وبقيت وحدي أسألُ الليلَ الشَرُودْ
عن شاعري ومتى يعودْ ؟
ومتى يجيءُ به القطارْ ؟
أتراهُ مرّ به الخفيرْ
ورآه لم يعبأ به .. كالآخرينْ
ومضى يسيرْ
هو والسِراجُ ويفحصانِ الراكبينْ
وأنا هنا ما زلتُ أرقُبُ في انتظارْ
وأوَدُّ لو جاءَ القطارْ ....

١٩٤٨

عروق خامدة

يا حبٌّ لم تَبْقَ لنا ذكرى		لم يَطْوِها الموتُ
كان لنا ماضٍ وقد مرَّا		ولفّهُ الصمْتُ

نحن هُنَا وهمانِ ، لا لونا		لا صوتَ لا شكلا
سرابُ لا شيئينِ ، لا معنى		لا لفظَ لا ظلاّ

تدفعُنَا الآهاتُ والأحزانْ		وما لنا مأوى
يا ليتنا نَظْفَرُ بالنسيانْ		أو نُمنحُ السلوى

نبكي فلا تحنو علينا يدُ		بربتةٍ من حنانْ
نحن هنا اللاأمسُ واللا غَدُ		نحن هنا اللاكيانْ

أعينُنَا أفْقٌ بلا لونِ لا يعكِسُ الأشياءْ
شفاهُنَا لحمٌ بـلا لحنِ وروحُنَا أشلاءْ

ونلتقي فتسكُتُ النجوى وتُكْتَمُ الأنفاسْ
وضُحْكَةٌ تبدو بلا جَدْوى ينقصُها الإحساسْ

وتلتقي الكفّانِ أينَ الرغابْ ورعْشةِ الأشواقْ؟
أصابعٌ ميّتةٌ الأعصاب ليس لها أعماق

وأعينٌ فارغةُ الأحداقْ ليسَ لهـا قلبُ
الشَرْقُ فيها أسودُ الآفاق ويلهَثُ الغـربُ

وأذرعٌ صمّاءُ كالأحجارْ فارَقَهـا الشوقُ
جامدةٌ لو لامستْها النارْ لم يستفِقْ عِرْقُ

ونلتقي ينقصُنَا شيءُ شيءٌ وراءَ الروحْ
شفاهُنَا يُنْكِرها الضوءُ وليلُنَا مجروحْ

ونلتقي تفْصِلُنا آلامْ وأدمــعٌ خُرْسْ
يَعُزُّ أنْ تجمعَنا الأيامْ وبينَنَـا الأمسُ

وبيننا هــاويةُ الذكرى تقْـذِفُ بالأشباحْ
سُدَىً أريدُ الضَّفَّةَ الأخرى قـد غَرِقَ الملاّحْ

١٩٤٨

الجرح الغاضب

أغضبُ أغضبُ لن أحتملَ اُلجرْحَ الساخرْ
جرحٌ قد مرَّ مساء الأمسِ على قَلْبي
جُرْحٌ يجثم كاللّيـــلِ اُلمعْتِم في قلبي
يجثمُ أسودَ كالنِقْمة في فكرٍ ثائـــرْ
جُرْحٌ لم يعرِفْ إنسانٌ قبلي مثلَهُ
لن يشكوَ قلبٌ بَشَريٌّ بعدي مثلَهْ
ألظلمـــةُ في أمسي اَلمطْويّ أحستْهُ
ومضتْ تهمسُ في صَمْت الليلِ : من الجاني

حتى الأبديّــــةُ والآفـــاقُ أحسَّتْهُ
وتناسى ، لم يعبأ ، لم ينتبهِ الجـــاني .

* * *

أغضبُ ، تغضبُ لي هَمَساتُ الليلِ الصامتْ
وتُحيلُ الجـــوُّ الواجمَ صرخةَ جبّارِ
وتقـــولُ الأنجمُ : هــذي نقمــةُ جبّـارِ
ويثورُ بقلبِ الأبــديَّــةِ جُــرْحٌ ساكتْ
أغضبُ ، يرتعشُ الموجُ معي تحت القَمَرِ
ويضُجُّ وتبلُــغُ ثورتُــهُ سَمْــــعَ القَمَرِ
ويُجَنُّ الغيمُ الأسودُ في عَرْض الأُفُــقِ
ويلُــفُّ الشاطىءَ ثوبُ حِدادٍ كجنازه
يتحوّلُ صمتي نـــاراً تصرُخُ في الأُفُــقِ
وأغـــني رقّــةَ إحساسي لحـــنَ جنازه

* * *

أمسي ، في أمسي قــد دُفِنتْ أشلاءُ غدي
كانتْ ، لم يَدْرِ بها أحدٌ ، شبهُ جريحه
الجرحُ الدنيانُ سيشهد ، أيُّ جريحه
كيفَ على الأرض تساقطَ حُلْمي بين يدي
كيف المقدورُ مضى نَزِقاً يقتُل قلبا ؟
وتبقّتْ بضعةُ أشلاءٍ كانتْ قلبا
وتبقّتْ ذكرى مُطْفَأةٌ كانتْ أمسا
وتبقّت أنّاتٌ حَيْرَى كانتْ لحنا
جُدرانٌ عاريةٌ كانتْ يوماً أمسا
أصداءٌ في غارٍ خاوٍ كانتْ لحنا

* * *

ومن الأعماق تصاعدَ صوتٌ مخنوقُ
يهتُفُ في حُزْنٍ ، في جَزَعٍ : كيف أبوحُ ؟
ليتَ الجرْحَ المظلومَ الى الليلِ يبوحُ

قد يثارُ لي مطرٌ ورعودٌ وبروقْ
ورأيتُ على الأفُق المخضوب بفيضِ دمي
شبَحاً تفترُّ على فيهِ قَطَراتُ دمي
عيناهُ الزرقاوانِ مساءا أهوالِ
ويداهُ السوداوانِ ذراعا عفريتِ
شبَحٌ مجنونٌ أيقظَ عاصفَ أهوالِ
وأحالَ دياجيري أحجيّةَ عفريتِ

* * *

أغضبُ للجُرحِ المختلج الشاكي أغضبْ
سيُجَنُّ معي الصبرُ المذبوحُ المرتعشُ
ستُجَنُّ معي اللعنةُ والحِقْدُ المرتعشُ
ستثورُ معي الذكرى ستثورُ ولا مَهْربْ
لا مهربَ من جُرْحٍ قد مرَّ على قلبي
جرحٌ يصرُخُ كالجوع البائسِ في قلبي

ألظلمـــةُ في صمْت الآفاقِ أحسّتْهُ
ومضتْ تسالُ في قلبِ الليلِ : من الجاني ؟
حتى القُمـــريّةُ والأشجـــارُ أحسّته
وتضاحكَ ، لم يشعرْ ، لم ينتبهِ الجـــاني

١٩٤٨

الباحثة عن الغد

«غداً نلتقي» نَبَأٌ في الزمانْ رَوَتْهُ الحيـاهْ
تلاشى ولم تَروِهِ شَفَتانْ تلاشى وتـــاهْ

وجاءَ غدٌ ثم ولّى وماتْ وعادَ ضَبَابا
فأينَ «غداً نلتقي» يا حياةْ أعادتْ ترابا ؟

«غداً نلتقي» ثم ماتَ الزمانْ وضـاعَ المكانْ
وهل يلتقي أبداً عاشقانْ على لا كيانْ ؟

وكان لنا موعدٌ فانطوَى   صداهُ وماتْ
وكم كوكبٍ في الدياجي هَوَى   وعادَ رُفاتْ

وكانت لنا قِصّةٌ كالبَشَرْ   نسيجُ السنينْ
فاسفَر آخِرُها عن قَدَرْ   وذابَ الرنينْ

وكنّا نمرُّ فترنو الحياةْ   وتومي الينا
وها نحنُ تختصم الذكرياتْ   على شَفَتَيْنا

ويطرُدُنا الأمسُ من كلّ ما   ملكناهُ يوما
سوى حاضرٍ مُغْرَقٍ في الدِما   ويقطُرُ سُمّا

ونسمَعُ بعضاً وراءَ المساءْ   من المَشْرقِ
صدى لفظتينِ يجوسُ الفضاءْ   « غداً نلتقي »

ويأتي غَدٌ في أسىً وشُرُودْ   بصَمْتٍ طويلْ
بألفِ صدىً ساخرٍ في برودْ   وراءَ النخيلْ

« غداً نلتقي » ويسود السكون سكون الخريفْ
وأسمع تحت المساء الحنون صراخاً عنيف

وقهقهـــة ، فظـــة ، بارده كجـوّ القبور
ترددها شفـةٌ حـــاقده وراء العصور

« غـــداً نلتقي » وتمطّ النغم وتسخـر مـني
ويبقى غدي تائهـــاً في الظلم يفتّش عـــني

١٩٤٨

الأفعوان

أين أمشي ؟ مللتُ الدروبْ
وسئمت المروجْ
والعدوّ الخفي اللجوج
لم يزل يقتفي خطواتي ، فاين الهروب ؟
الممرات والطرق الذاهباتْ
بالأغاني إلى كل أفق غريبْ
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجى الحالكات
وزوايا النهار الجديب
جبتها كلها ، وعدوّي الخفيّ العنيدْ
صامد كجبال الجليد
في الشمال البعيد

صامدٌ كصُمُودِ النُجُومْ
في عُيونٍ جَفَاها الرُقـادْ
ورمتْهـا أكُفُّ الهمُومْ
بجراحِ السُهـادْ
صامدٌ كصُمودِ الزَمنْ
ساعـةَ الانتظارْ
كلَّما أمعنتْ في الفِرارْ
خُطُواتي تَخطّى القُنَنْ
وأتاني بما حطّمتْهُ جُهودُ النهارْ
من قيودِ التذكّرِ ... لن أنشُدَ الانفلاتْ
من قيودي ، وأيُّ انفلاتْ
وعدوّي المخيفْ
مقلتاهُ تمجُّ الخريفْ
فوقَ روحٍ تُريدُ الربيعْ

ووراءَ الضَّبَابِ الشفيفْ
ذلك الأفعوانُ الفظيعْ
ذلك الغولُ أي انعتاقْ
من ظلال يَدَيْهِ على جَبْهتي البارده
أين أنجو وأهدابُهُ الحاقده
في طريقي تَصُبُّ غداً ميّتاً لا يُطاقْ ؟

*

أين أمشي ؟ وأيُّ انحناءْ
يُغلِقُ البابَ دونَ عدوّي المُريبْ
إنه يتحدّى الرجاءْ
ويقهقهُ سخريّة من وجومي الرهيبْ
إنه لا يُحسّ البكاءْ
أينَ .. أينَ أغيبْ
هَرَبي المستمرُّ الرتيبْ

لم يَعُدْ يستجيبْ
لنداءِ ارتياعي وفيم صُراخُ النداءْ ؟
هل هناك ملاذٌ قريبْ
أو بعيدٌ .. سأمضي وإن كانَ خلفَ السماءْ
أو وراءَ حُدود الرجاءْ
ثم ذاتَ مساءْ
أسمعُ الصَوْتَ :
« سيري فهذا طريقٌ عميقْ
يتخطّى حدودَ المكانْ
لن تعي فيه صوتاً لغمغمةِ الأفعوانْ
إنه « لا بَرِنْثٌ » سحيقْ
ربما شيّدتْهُ يدٌ في قديمِ الزمانْ
لأميرٍ غريبِ الطباعْ
ثم ماتَ الأميرُ .. وأبقى الطريقْ

لأكُفَّ الضياع ،
أسمعُ الصوتَ ملءَ البقاعْ
فأسيرُ لعلّي أفيقْ
من دياجيرِ كابوسيَ الأبديِّ الصفيقْ
ربما سيَضِلُّ عدوّي الطريقْ
ما أحبَّ المسيرَ وليس ورائي خُطىً مائتــه
تتمطّــى باصدائها الباهته
في محاني طريقي الطويلْ
إنــــه لن يجيءْ
لن يجيءَ وإنْ عبَرَ المستحيلْ
أبـــداً لن يجيءْ
لن يراهُ فؤادي البريءْ
من جديدٍ يثيرُ الرياحْ
لتسُدَّ عليَّ السبيلْ

في هدوءِ الصباحْ
أبـــداً لن يجيءْ
لـــن يجيءَ !
وأسمعُ قهقهةً حاقده
إنه جاء . يا لضياعِ رجائي الكسيرْ
في دُجَى اللاَبرنْث الضريرْ
وأحِسُّ اليدَ المـــارده
تضغَطُ البردَ والرُعْبَ فوق هدوئي الغريرْ
باصابعها الجامده
إنه جاءَ .. فيمَ المسيرْ ؟
ساودّعُ حُلْمي القصيرْ
وأعودُ بجُثّتهِ البارده .

وتمرُّ تمرُّ الحيـــاة
وعدوّي الخفيُّ العنيدْ

خلف كلِّ طريقٍ جديدْ
في ليـالي الأسى الحالـكات
خلفَ كلِّ سحَـرْ
وأراهُ يُطلُّ عليّ مع المنتظَـرْ
مع أمسي البعيدْ
مع ضوءِ القمرْ
في الفضاءِ المديدْ
أينَ أينَ المفرْ
من عدوّي العنيدْ
وهو مثْلُ القَـدَرْ
سرمديٌّ ، خفيٌّ ، أبيدْ .
سرمديّ ، أبيدْ .

١٩٤٨

خرافات

« هدية إلى صديقي ديزي الأمير تحية
لذكرى مساء فلسفنا فيه كل شيء حتى
الكراسي والمناضد والستائر » .

قالوا الحياة
هي لونُ عينَي ميّتِ
هي وقعُ خَطو القاتلِ المتلفّتِ
أيامُها المتجعداتْ
كالمعطفِ المسمومِ ينضَحُ بالمماتْ
أحلامُها بَسَماتُ سَعْلاةٍ مخدِّرةِ العيونْ
ووراءَ بسمتِها المَنُونْ

قالوا الأملْ

هو حسرةُ الظمآنِ حينَ يرى الكؤوسْ
في صورةٍ فوق الجدارْ
هو ذلكَ اللونُ العَبُوسْ
في وجه عصْفورٍ تحطّمَ عشُّه فبكى وطارْ
وأقام ينتظرُ الصباحَ لعلَّ معجزةً تُعيدْ
أنقاضَ مأواهُ المخرَّبِ من جـــديدْ .

قالوا النعيمْ

وبحثتُ عنه في العيونِ الغائراتْ
في قصّةِ البؤسِ التي كُتبتْ على بعض الوجوهْ
في الدهْرِ تأكلُهُ سنوه
في الزهرِ يرصُدُ عِطرَهُ شَبحُ الذبولْ

في نجمـــةٍ حسناءَ يرصُدُها الأفولْ
قالوا النعيمُ ولم أجدْهُ فهل طَوى غدَهُ وماتْ؟

قالوا السكونْ

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جَمادْ
يُصغي باذنيه ويتركُ روحَه تحت الرَمادْ
لم يسمعِ الصَرَخاتِ يُرْسلُها السياجْ ،
وقصائصُ الورقِ الممزّق في الخرائبِ، والغبارْ،
ومقاعدُ الغُرَفِ القديمة ، والزُجَاجْ ،
غطّاهُ نَسْجُ العنكبوت، ومعطفٌ فوق الجدارْ.

قالوا الشباب

وسالتُ عنه فحدثوني عن سنينْ

تأتي فينقشعُ الضَّبابْ
وتحدثوا عن جنَّةٍ خلف السَّرابْ
وتحدثوا عن واحةٍ للمتعَبينْ
وبلغتُها فوجدتُ أحلامَ الغَدِ
مصلوبةً عند الرتاج الموصَدِ

قالوا الخلودْ

ووجدتُهُ ظلا تمطَّى في بُرُودْ
فوق المدافنِ حيثُ تنكمشُ الحياهْ
ووجدتُهُ لفظاً على بعض الشفاهْ
غنَّته وهي تنوحُ ماضيْها وتُنزِلُهُ اللحودْ
غنَّتْهُ وهي تموتُ ... يا للإزدراء !
قالوا الخلودُ ، ولم أجدْ إلا الفناءْ .

قالوا القلوبْ

ووجدتُ أبواباً تؤدي في اختناقْ

لمقابرٍ دُفِن الشعورُ بها ومات َغدُ الخيالْ
جُدرانُها اللزِجاتُ تبتلعُ الجَمالْ
وتمجُّ قبحاً لا يُطاقْ
وهربتُ شاحبةً أتلك إذنْ قلوبْ ؟
يا خيبةَ الأحلامِ . إني لن أؤوبْ .

قالوا العيونْ

ووجدتُ أجفاناً وليس لها بَصَرْ
وَعرَفْتُ أهداباً شُدِدْن إلى حَجَرْ
وخبرتُ أقباءً مقفّعةً بأستار الظنونْ
عمياءَ عن غير الشُرور وإن تكن تُدعى عيونْ
وعرفتُ آلافاً وأعينُهم صفائحُ من زجاجْ
زرقاءُ في لون السماء ، وخلف زرقتها دَياجْ

قالوا وقالوا

ألفاظُـهم لاكت تَرَدُّدَها الرياحْ
في عالمٍ أصواتُهُ الجوفاءُ يرصُدُها الفناءْ
المتعبونَ بلا ارتياحْ
الضائعونَ بلا انتهاءْ
قالوا وقلتُ وليس يبقى ما يُقالْ
يا لَلخرافةِ ! يا لَسُخريةِ الخيالْ !

١٩٤٨

جمود

في سُكونِ المساءْ   في ظلامِ الوجودْ
حينَ نامَ الضياءْ   واعتراني جُمودْ

خِلْتُ نفسي أسيرْ   في مكانٍ بعيدْ
فوق قلبي أثيرْ   تحت رجلي قُيودْ

في كياني فُتورْ   في دمي نَوْءُ
لقّبوه الشعورْ   وهو لا شيءُ

في إسار الألمْ   روحيَ المبهمْ
يا معاني العَدَمْ   آهِ لو أفهمْ

في ضَبابِ الوجودْ أنا كالسرّ
وغـداً ساعود دون أنْ أدري

جَسَدي في الألمْ خاطري في القيودْ
بين هَمْس العَدَمْ وصُراخ الوجودْ

وسكوني حياة وظلامي بريقْ
ألنجاةُ النجاةْ من شعوري العميقْ

ألأنا حُلْمُ وشعورٌ طَهورْ
أم أنا جسمٌ مُغْرَقٌ في الشرورْ

بل أنا آفاق من شعورٍ عنيفْ
وأنا أعماقْ من خِضَمٍّ مخيفْ

ألمقاييسُ ليس تَغْنيني
الأحاسيسُ هي قانوني

أنا لا أهـــوَى ما يُحبُّ الناسْ
فـــإذا دوَّى في دمي إحساسْ

سرتُ لا ألْـوي سرتُ خلفَ الصوت
فغـــداً يَطْوي فجرَ عُمْري الموتْ

في دمي إعصارْ عـاصفٌ بالجمودْ
وشظـــايا نارْ تتحدّى الركودْ

كلُّ قلـبي شكْ في معاني الخـــيرْ
فكرةٌ تُضحِـكْ أنا أهـوى الشر

إنْ يكُ الجسْمُ من ترابٍ حقيرْ
فـــأنا إثمُ ... أنا لستُ أثـــيرْ

إن يكُ العقـــلُ يمقتُ الإنفجـارْ
فأنا حِـــلٌ منه ... يا للعارْ !

إنْ يـكُ الايمانْ   هو هذا الُجمـُودْ
فانا نُكرانْ   أنا كلّـي جُحـُودْ

١٩٤٧

مرثية يوم تافه

لاحتِ الظلمةُ في الأفْق السحيقِ
وانتهى اليومُ الغريبُ
ومضت أصداؤه نحو كهوفِ الذكرياتِ
وغداً تمضي كما كانت حياتي
شفةٌ ظمأى وكوبُ
عكست أعماقُهُ لونَ الرحيقِ
وإذا ما لمسْتْهُ شفتايا
لم تجدْ من لذّةِ الذكرى بقايا

لم تجد حتى بقايا

إنتهى اليومُ الغريبُ
إنتهى وانتحبتْ حتى الذنوبُ
وبكتْ حتى حماقاتي التي سمّيتُها
ذكرياتي
إنتهى لم يبقَ في كفّيّ منه
غيرُ ذكرى نَغَمٍ يصرخُ في أعماق ذاتي
راثياً كفّي التي أفرغتُها
من حياتي ، وادّكاراتي ، ويومٍ من شبابي
ضاعَ في وادي السرابِ
في الضبابِ .

كان يوماً من حياتي
ضائعاً ألقيتُهُ دون اضطرابِ

فوق أشلاء شبابي
عند تلّ الذكرياتِ
فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضَبابِ
في مَتاهاتِ الليالي الغابراتِ .

كان يوماً تافهاً . كان غريبا
أن تَدُقّ الساعةُ الكَسْلى وتُحصي لَحظاتي
انه لم يكُ يوماً من حياتي
انه قد كان تحقيقاً رهيبا
لبقايا لعنةِ الذكرى التي مزقتُها ،
هي والكأسُ التي حطّمتها
عند قبرِ الأمل الميّتِ ، خلفَ السنواتِ ،
خلف ذاتي

كان يوماً تافهاً .. حتى المساءِ

مرت الساعاتُ في شِبْـهِ بكاءِ
كلّها حتى المساءِ
عندما أيقظَ سمعي صـــوتُـهُ
صوتُهُ الحلْوُ الذي ضيّعتُـه
عندما أحدقتِ الظلمةُ بالأفْـقِ الرهيبِ
وامّحتْ حتى بقايا ألمي ، حتى ذنوبي
وامّحى صوتُ حبيبي
حملت أصداءه كفُّ الغروبِ
لمكانٍ غابَ عن أعينِ قلبي
غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبّي
وصدى يومٍ غريبِ
كشحوبي
عبثاً أضرعُ أن يُرجِعْ لي صوتَ حبيبي .

١٩٤٨

الغاز

دَعْني في صمتي في إحساسي المكبوتِ
لا تسألْ عن ألغازِ غُمُوضي وسكوتي

دعني في لُغزي لا تبحث عن أغواري
إقنع من فَهْم أحاسيسي بالأسرارِ

لا تسألْ إني أحياناً لُغزٌ مُبْهمْ
أبقَى في الغيْبِ مع الأسرارِ ولا أفهمْ

روحي لا تَعْشَقُ أن تحيا مثلَ الناسِ
أنا أحيانا أنسى بَشريّةَ إحساسي

حتى حبُّكَ .. حتى آفاقُكَ تــؤذيني
فــأنا روحٌ أسبحُ كالطيفِ المفتونِ

قلبي المجهــولُ يُحسُّ شعوراً عُلْويّا
لا حسّاً يُشْبِهه لا وعياً بَشَريّا

إذذاكَ أحسُّكَ شيئاً بَشَرياً قلقــا
قِمّةُ أحلامي تَرْفِضُه مهما ائتلقا

إذذاكَ يحسُّكَ روحي بعضَ الأمواتِ
ما سُمّيَ «أنتَ» هَوَى، لم تبقَ سوى ذاتي

في وجهــكَ أنظُرُ لكنّي لا أبصرُهُ
في روحيَ أبحثُ عــن شيءٍ أتذكرُهُ

أتذكّرُ، لا أدرى ماذا، ماذا كانا؟
شيءٌ لا شَكْلَ يحــدّدُه .. لا ألوانا

أَلمبهَمُ في روحي يبقَى في إبهـامِهْ
دعْهُ لا تسألني عنه ، عن أنغامهْ

دعني في ألغازي العُلْيا ، في أسراري
في صمتي ، في روحي ، في مهمهِ أفكاري

في نفسي جُزْءٌ أبديّ لا تفهمُهُ
في قلبي حُلمٌ عُلويّ لا تعلمُهُ

دعْهُ ، ماذا يَعنيك لتسألَ في إصرارْ ؟
ألحبُّ يموتُ إذا لم تحجُبْه أسرارْ

إني كالليلِ : سكونٌ ، عمقٌ ، آفاقُ
إني كالنجمِ : غموضٌ ، بُعدٌ ، إبراقُ

فافهمني إن فُهم الليلُ ، إفهم حِسّي
والْمُسني إن لُمِسَ النجمُ ، إلمس نفسي

١٩٤٧

جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياهْ
وأدركتُ ما هي أيُّ فراغٍ ثَقيلْ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقاقيعِ واخيبتاهْ
وأدركتُ أني أضعتُ زماناً طويلْ
ألمُّ الظلالَ وأخبطُ في عَتْـمة المستحيلْ
ألمُّ الظلالَ ولا شيءَ غير الظِـلالْ
ومرّتْ عليَّ الليـالْ
وها أنا أُدْركُ أني لمستُ الحياهْ
وإن كنت أصرُخُ واخيبتاهْ !

* * *

ومرَّ عليَّ زمانٌ بطيءُ العُبورْ
دقائقُهُ تتمطّى مَلالاً كأنَّ العُصورْ
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبُها أن تدورْ
زمانٌ شديدُ السواد ، ولونُ النجومْ
يذكّرُني بعيونِ الذئابْ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغُيومْ
عرَفتُ به في النهايةِ لونَ السَرابْ
ووهمَ الحياهْ
فواخيبتاهْ

أهذا إذن هو ما لقّبوهُ الحياهْ ؟
خُطوطٌ نظَلُّ نخطّطُها فوقَ وجهِ المياه ؟
وأصداءُ أغنيةٍ فظّةٍ لا تَمَسُّ الشِفاهْ ؟
وهذا إذنْ هو سرُّ الوجودْ ؟
ليالٍ ممزّقةٌ لا تعودْ ؟

وآثارُ أقدامِنا في طريقِ الزمان الأصَمْ
تمرُّ عليها يدُ العاصفه
فتمسحُها دونما عاطفه
وتُسلِمُها للعَدَمْ
ونحنُ ضحايا هنا
تجوعُ وتعطشُ أرواحُنا الحائره
ونحسَبُ أن المنى
ستملأ يوماً مشاعرَنا العاصره
ونجهلُ أنّا ندورْ
مع الوَهْم في حَلَقاتْ
نجزّىءُ أيامَنا الآفلاتْ
إلى ذكرياتْ
وننتظرُ الغَدَ خلفَ العُصورْ
ونجهلُ أن القبورْ
تمدُّ إلينا بأذرعِها البارده

ونجهلُ أنَّ الستائرَ تُخفي يداً مارده

* * *

عرَّفتُ الحياةَ ، وضِقتُ بجمع الظلالْ
وأضجرَني أن نجوبَ التلالْ
نحدّقُ في حسرةٍ خلفَ ركبِ الليالْ
تسيرُ بنا القافله
نجوسُ الشوارعَ في وحدةٍ قاتله
إلامَ يُخادعُنا المبهَمُ ؟
وكيفَ النهايةُ ؟ لا أحدٌ يعلم

* * *

سنبقى نسيرْ
وأبقى أنا في ذُهولي الغريرْ
ألمُّ الظلالَ كما كنتُ دونَ اهتمامْ
عيونٌ ولا لونَ ، لا شيءَ إلا الظلامْ

شفاهٌ تُريدُ ولا شيءَ يَقرَبُ مما تريدْ
وأيدٍ تُريدُ احتضانَ الفضاءِ المديدْ
وقلبٌ يريدُ النجومْ
فيصفعُهُ في الدياجيرِ صوتُ القَدُومْ
يُهيلُ الترابَ على آخر الميّتينْ
وأقصوصةٌ من يَرَاع السنينْ
تضجُّ بسمعي فأصرخُ : آه !
أخيراً عرفتُ الحياه
فواخيبتاه !

١٩٤٨

اجراس سوداء

لِنَمُتْ فالحياة جفّت وهذي الأ
كؤسُ الفارغاتُ تَسخَرُ منا
وغيومُ الذهول في أعين الأيـ
ـام عادت أجلى واعمقَ لونا
وسكونُ الحياة في جَسَد الأحـ
ـلام لم يُبقِ قَطُّ للعيش معنى
وفراغُ الآهاتِ أثبتَ أنّا
قد فرِغنا من دورنا وانتهينا

* * *

وعميقاً في الليـــل نسمعُ أقدا
مَ الليالي في رهبةٍ ووجومِ
ودويُّ الأجراس يُنـــذرنا أنّـ
ـا انتهينا من دورنا المحمومِ
أن ما في الكؤوس يُوشكُ أن ينـ
ـضبَ الا من حفنةٍ من همومِ
أنّ ما في العيونِ من عَطش الأحـ
ـلامِ أمسى رمادَ حبٍّ قديم

* * *

وبعيداً في الجوّ تُنذرنا الأصـ
ـواتُ أنّ الحياةَ عادتْ جُنونا
أنّ لونَ الخيالِ قد حالَ وارتدّ
شُحوباً وواقعـــاً محزونا
أن «قَبْلَ» الرجاء أصبح لا «بَعـ
ـدَ» له فهو فكرة لن تكونا

أنْ شيئاً في عُمق أنفسنا يجـ
ذُبنا للسماتِ ، شيئاً مكينــــا
* * *
ولماذا نبقى هنـــا ؟ أوَلم نشـ
بعْ ونضجرْ ونروَ دونَ انتهاءِ ؟
أوَلم نُدركِ النعيمَ وخمر النـ
ـصر والحبُّ نابضاً بالرجاءِ ؟
أوَلم نعرفِ الأسى العاصرَ
نونَ والنومَ بعد طول البكاءِ ؟
أولم نُشبعِ الوجودَ ومن فيـ
ـهِ احتقاراً ونمضِ باستهزاءِ ؟
* * *
ولماذا نبقى هنا ؟ أسمعُ المو
تَ ينادي بنا فلمْ لا نُجيبُ ؟
لِنَمُتْ فالرياحُ تجرح وجهَيـ
ـنا ولونُ الدُجى عميقٌ رهيبُ

وهنا نحنُ مُتعبانِ غريبـــا
نِ تعايىُ بنا الشبابُ الكئيبُ
وهنا نحنُ ميّتان وإن كا
نَ لِعرق الحيـــاة فينا وجيبُ

* * *

« الغريبان ِ » هكذا يهمسُ الليـ
لُ وأجراسهُ تلفُّ الوجودا
أيها الليلُ لن يعيشَ الغريبا
نِ ولن يَلمُسَا مساءً جديدا
خُذْهما أرخِ جُنحكَ الأسودَ الها
دىءَ حوليهما وحلّقْ بعيدا
خُذْهما عزّ ان يقولوا « غريبا
نِ » وكانت أقصوصةً لن تعودا

١٩٤٨

نهاية السلم

مرّتْ أيامٌ منطفئاتْ
لم نلتقِ لم يجمعْنا حتى طيفُ سَرابْ
وأنا وحدي ، أقتاتُ بوقْعِ خُطى الظُلماتْ
خلف زُجاجِ النافذةِ الفظّةِ ، خلفَ البابْ
وأنا وحدي . . .
مرتْ أيامْ
باردةً تزحفُ ساحبةً ضجَري المرتابْ
وأنا أصغي وأعدُّ دقائقَها القلقاتْ
هل مرَّ بنا زمنٌ ؟ أم خُضنا اللازمنا ؟

مرَّتْ أيامْ
أيامٌ تُثقلُها أشواقي . أينَ أنا ؟
ما زلتُ أحدّقُ في السُلّمْ
والسلّمُ يبدأ لكنْ أينَ نهايتهُ ؟
يبدأُ في قلبي حيثُ التيهُ وظلمتُهُ
يبدأ . أين البابُ المبهَمْ ؟
بابُ السُلّمْ ؟

* * *

مرّتْ أيامْ
لم نلتقِ ، أنتَ هناك وراءَ مَدَى الاحلامْ
في أفْقٍ حفّ به المجهولْ
وأنا أمشي ، وأرى ، وأنامْ
أستنفدُ أيامي وأجرُّ غدي المعسولْ
فيفِرُّ إلى الماضي المفقودْ
أيامي تاكلُها الآهات متى ستعودْ ؟

مرّتْ أيامٌ لم تتذكرْ أن هناكْ
في زاويةٍ من قلبكَ حُباً مهجورا
عضّتْ في قدَميهِ الأشواكْ
حباً يتضرّعُ مذعورا
هَبه النورا

* * *

عُدْ . بعضَ لقاءْ
يمنحُنا أجنحةً نجتازُ الليلَ بها
فهناكَ فضاءْ
خلفَ الغاباتِ الملتفّاتِ ، هناكَ بحورْ
لا حدَّ لها تُرْغي وتَمورْ
أمواجٌ من زَبَد الأحلامِ تقلّبُها
أيدٍ من نورْ

* * *

عدْ ، أم سيموتْ ،

صوتي في سمعكَ خلف المُنعرَجِ المقوتْ
وأظلُّ أنا شاردةً في قلب النسيانْ
لا شيءَ سوى الصمتِ الممدودْ
فوقَ الأحزانْ
لا شيءَ سوى رجْعٍ نعسانْ
يهمسُ في سمعي ليس يعودْ
لا ليس يعودْ

١٩٤٨

أنا

اللّيلُ يسألُ من أنا
أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ
أنا صمتُـهُ المتمرِّدُ
قنّعتُ كنهي بالسكونْ
ولففتُ قلبي بالظنونْ
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسألني القرونْ
أنا من أكون ؟

والريحُ تسأل من أنا

أنا روحُـها الحيران أنكرني الزمانْ
أنا مثلها في لا مكان
نبقى نسيرُ ولا انتهاءْ
نبقي نمرُّ ولا بقـاءْ
فاذا بلغنـــا المُنْحَنَى
خلناهُ خاتمةَ الشقاءْ

فإذا فضـــاءْ

والدهرُ يسألُ من أنا
أنا مثلهُ جبّــــارةٌ أطوي عُصورْ
وأعودُ أمنحُها النشورْ
أنا أخلقُ الماضيْ البعيدْ
من فتنةِ الأمـــل الرغيدْ
وأعودُ أدفنُـــهُ أنا
لأصوغَ لي أمساً جديدْ
غَدُهُ جليد

والذاتُ تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرَى أحدّقُ في ظلام

لا شيءَ يمنحُني السلامْ

أبقى أسائلُ والجوابْ

سيظَل يحجُبُه سراب

وأظلّ أحسبُهُ دنا

فاذا وصلتُ اليه ذابْ

وخبا وغابْ

١٩٤٨

غرباء

أطفىء الشمعةَ واتركنا غريبين هنـــا
نحن جزءانِ من الليلِ فما معنى السنا ؟
يسقطُ الضوءُ على وهمينِ في جفنِ المساءْ
يسقطُ الضوءُ على بعضِ شظايا من رجاءْ
سُمّيتْ نحنُ وأدعوهـــا أنا :
مللاً . نحن هنـــا مثلُ الضياءْ
غُرَباءْ

ألّلقاء الباهتُ البـــاردُ كاليومِ المطيرِ

كانَ قتلاً لأناشيدي وقــبراً لشعوري
دقّتِ الساعةُ في الظلمةِ تسعاً ثم عشرا
وأنا من ألمي أصغي وأحصي. كنت حَيرى
أسالُ الساعةَ ما جَدْوى حبوري
إن نكن نقضي الأماسي، أنتَ أدْرى،

غرباءْ

مرّتِ الساعاتُ كالماضي يُغشّيها الذُبولُ
كالغدِ المجهولِ لا أدري أفجرٌ أم أصيلُ
مرّتِ الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ
خلْتهُ يخنق أنفاسي ويَطغى في دمائي
خلتهُ يَنبِسُ في نفسي يقولُ
أنتما تحت أعــاصيرِ المساءِ

غرباءْ

أطفىءِ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفِ

يسقطُ النورُ على وجهينِ في لون الخريف
أولا تُبْصرُ ؟ عينـــانا ذبولٌ وبرودْ
أولا تسمعُ ؟ قلبانا انطفـــاءٌ وخمـودُ
صمتنا أصـــداءُ إنذارِ مخيـــفِ
ساخرٌ من أننـــا سوفَ نعودُ
غرباءْ

نحن من جاء بنا اليومَ ؟ ومن أين بدأنا ؟
لم يكنْ يَعرفُنا الأمسُ رفيقين .. فدَعنا
نطفرُ الذكرى كأن لم تكُ يوماً من صِبانا
بعضُ حبٍّ نزقٍ طـــافَ بنا ثم سلانا
آهِ لو نحنُ رَجَعنـــا حيثُ كنا
قبلَ أن نَفنَى وما زلنـــا كلانا
غُرباءْ

١٩٤٨

اغنية الهاوية

مججتُ الزوايا التي تلتوي
وراءَ النفوسْ
وراءَ بريقِ العُيُونْ
وأبغضتُ حتى السُكونْ
وتلكَ المعاني التي تنطوي
عليها الكؤوسْ
معاني الصَدَى والُجنونْ
معاني الخطايا التي تُبرقُ
بريقَ النجومْ

وفي لمسها اللهبُ المُحرقُ
ولونُ الهمومْ
كرهتُ الجفونَ التي تأسرُ
وخلفَ سماء ابتساماتها
لهيب الحقود
كرهتُ الاكفَّ الـــتي تعصرُ
وخلفَ حرارة رَعْشاتها
جمودٌ كذُلِّ الحياه
على جُثةٍ تحت بعض اللحودْ
تعيشُ بها دودةٌ في برودْ
كرهتُ ارتعاشَ الشفاهْ
برَجعِ الصلاه
ففي كلِّ لفظٍ خطيئه
تجيشُ بها رَغباتٌ دنيئه
وعفتُ طُموحي وبحثي الطويلْ

عن الخيرِ ، والحبِّ ، والمُثلِ العاليه
وحقّرتُ سعيي إلى عالمٍ مستحيلْ
فخلفَ انخداعيَ تنتظرُ الهاويه
وعفتُ جنوني القديمَ وعفتُ الجديدْ
وأودعتهُ في مكانٍ بعيدْ
دفنتُ به رَغباتِ البشرْ
وسمّيتهُ جنة الواهمين
ستمضي السنينْ
لماذا أُحسُّ الأسى والضّجَرْ ،
وكفُّ المطَرْ
تلفُّ على عنقي المختنقْ
حبالَ الفِكرْ ؟
وأينَ أسيرُ وقلبي النزقْ
هنالكَ ما زالَ ، لا يبرُدُ
ولا يحترقْ

كقلبِ أبي الهولِ . أين الغدُ ؟
أحسُّ حياتي تذوبْ
قفي لحظةً واحـــده
ولا تَسحبي يَدكِ البارده
فاغنيةُ الهاويه
تُهيبُ باقداميَ الشارده
وتَلوي الدروبْ
قفي لحظةً يا حبالَ الحياه
ولا تتركيني هنا
معلقةً بالفراغِ الرهيبْ
فامسي القريبْ
تلاشى على آخرِ المنحنى
وظلُّ غدي
تَلثّـمَ أواهُ لو أهتدي .
قفي لحظةً واحده

ولا تَسحبي يَدَكِ البارده
فاغنيةُ الهاويه
تردّدها الأنفسُ الجانيـــه
تكرّرُها في جُنونْ
على سمعيَ المُجهَدِ
تكرّرُها لم يَعُدْ لي سكونْ
أكادُ أسيرُ الى الهاويه
مع السائرينْ
وأدفِنُ آخرَ أحلاميه
وأنسى غدي

١٩٤٨

في جبال الشمال

عُدْ بنا يا قطارْ
فالظلام رهيبٌ هنا والسكونُ ثقيـــلْ
عُدْ بنا فالمدَى شاسعٌ والطريقُ طويل
والليــالي قِصارْ
عدْ بنا فالرياحُ تنوحُ وراءَ الظـلالْ
وعُواءُ الذئابِ وراءَ الجبالُ
كصراخِ الأسى في قلوبِ البشرْ
عُدْ بنا فعلى المنحدَرْ
شَبحٌ مكفهرٌ حزينْ

تركتْ قَدَماهُ على كلِّ فجرٍ أثرْ
كلَّ فجرٍ تقضّى هنا بالأسى والحنين
شَبحُ الغربةِ القاتله
في جبال الشمالِ الحزينْ
شبحُ الوَحدةِ القاتله
في الشمالِ الحزينْ
عد بنا قد سئمنا الطّـوَافْ .
في سُفوحِ الجبال وعُدْنا نخافْ
أن تطولَ ليالي الغيابْ
ويغطي عُواءُ الذئاب
صوتنا ويعزُّ علينا الإيابْ
عُدْ بنا للجنوب
فهناكَ وراءَ الجبالِ قلوبْ
عدْ بنا للذينَ تركناهمُ في الضباب
كلُّ كفٍّ تلوِّحُ في لهفةٍ واكتآبْ

كل كفٍّ فؤاد
عدْ بنا يا قطارُ ، سئمنا الطّـوَافَ وطالَ البعادْ
وهنالكَ همسٌ عميقْ
لاثغٌ خلفَ كلِّ طريق
في شعابِ الجبالِ الضِخامْ
ووراءَ الغمامْ
في ارتعاشِ الصُنوبرِ ، في القريةِ الشاحبه ،
في عُواءِ ابن آوى ، وفي الأنجمِ الغاربه ،
في المراعي هنالكَ صوتٌ شَرُودْ
هادسٌ أن نعودْ
فهناكَ بيوتٌ أُخَر
ومراعٍ أخرْ
وقلوبٌ أخرْ
وهناكَ عيونٌ أبت أن تنامْ
وأكفٌّ تضمُّ الدُّجى في اضطرام

وشفاهٌ تردّدُ أسماءنا في الظلامْ
وقلوبٌ تُصيخُ لأقدامنا في وُجومْ
وتنادي النجومْ
في أسىً وسكونْ :
« ومتى يا نجومُ سيذكرنا الهاربونْ ؟ »
« ومتى يَرْجعونْ ؟ »

لحظةً ، سنعودْ
لن يرانا الدُّجى هاهنا ، سنعودْ
ستعودُ ، ستطوي الجبالْ
ورُكامَ التلالْ
لن ترانا ليالي الشمالْ
ها هنا من جديدْ
لن يحسَّ الفضاءُ المديد
نارَ آهاتِنا في المساءِ الرهيبْ

في سكونِ المساءِ الرهيبْ

* * *

عُدْ بنا يا قطارَ الشمالْ
فهناكَ وراءَ الجبالْ
ألوجوهُ الرقاقُ التي حجَبَتها الليالْ
عُدْ بنا ، عُد إلى الأذرُعِ الحانيه
في ظلالِ النخيلْ
حيثُ أيامُنا الماضيه
في انتظارٍ طويلْ
وقفتْ في انتظار
تتحرى رجوعَ القطارْ
لتسير مع السائرينْ
حيثُ أيامُنا تسألُ العابرينْ
واحداً ، واحداً ، في حنينْ
« ومتى عودةُ الهاربينْ ؟ »

* * *

لنعُدْ فهناكَ نشيد قديمْ
حولَنا هامسٌ بالرُجوعْ
ما أحبَّ الرجوعْ
بعد هذا الطوّاف الأليمْ
في جديبِ الشِعابْ
حيث تَعْوي الذئاب
لنعدْ ، فالدُّجى بارد كالجليدْ
وهنالكَ خلفَ الفضاءِ البعيدْ
أذرعٌ دافئه
لنعدْ فالجبالُ تكشّرُ عن ليلها المظلمِ
وهنالكَ خلفَ الدُّجى المبهَمِ
صوتُ أحبابنا ، في الظلامِ السحيقْ
نابضاً بالحنينِ العميقْ
صوتُهم مُثقلا بالعتابْ
صوتُهم ردّدته الشِعابْ

صوتُهُم في سكونِ المكانْ
دائرٌ كالزمانْ
لنعُدْ قبلَ أن يقضيَ الأفعوانْ
بفراقٍ طويلٍ ، طويلْ
عن ظلالِ النخيلْ
عن أعزّائنا خلفَ صمتِ القفارْ
عدْ بنا يا قطارْ
فالليالي قصار
وهنالكَ أحبابُنا في أسىً وانتظارْ

سرسنك ١٩٤٨

إلى عمتي الراحلة

أنا لم أزل في الفَجر رانيةً   للأفق في صمتٍ وإعياءِ
تتدافعُ الذكرى على شفتي   بعضَ ارتعاشاتٍ وأصداءِ
أُلجرْحُ نديانٌ تعيشُ به   أصداءُ ماضٍ ميتٍ ناءِ
أيامهُ عادتْ صَدَى حلمٍ   لم تَبْقَ منه غيرُ أشلاءِ
غيرُ ابتساماتٍ ممزّقةٍ   أودتْ بهنّ مرارةُ الداءِ

تتدافعُ الذكرى وتملأني   أشباحها قلقاً وأشجانا
ألأمسُ ما زالتْ كآبته   حرّى تذكرني بما كانا :
بالليلِ كيفَ سهرته ألماً   بالفجر كيفَ أطلّ ظمآنا

بدموعيَ العطشى وحرقتها　　بتدفق الإحساس أحزانا
باليأسِ كيف طغت مرارته　　وتمرّدت حُرَقاً ونيرانا

الامس هل في الأمس من حُلمٍ　　هل فيه ما ينجي من الحرقِ؟
هل فيه بعض صدى يناغمني　　ذكرى؟ رجاءٌ غيرُ محترق
لفظٌ يمرُّ؟ وبسمةٌ؟ ويدٌ　　مرّت برقتها على قَلقي؟
أوّاهُ. بعض خطى ألوذ بها　　من حزني القاسي ومن أرقي
بعض ابتسامتك التي غربت　　في الصمت واحترقت على الأفق

ألدمع أذرفهُ ويذرفني　　قلباً يجنّ أسىً ويُحتضرُ
قطراتهُ نارٌ تمزّقني　　ما زال منها في دمي أثر
عينايَ تحترقان من ألمٍ　　تدمى وتقطرُ فيهما الصور
جرحانِ لاجفنان أين غدي؟　　أين الطبيعة والهوى النضرُ؟
ما للحياةِ هوَت أشعتُها　　ليلاً وعكّر جوّها القدر؟

أين التفتُّ تصدُّني صوَرٌ وحشيةٌ ، وشتيتُ آلام
ذكرىً من الماضي تحطمنيُ وتظل تصهرُ جفني الدامي
أوّاهُ . كيفَ سقطتِ ميتةً وانا أعيشُ وتلك أوهامي
وأنا أعيشُ رؤىً ممزّقةً وأحوكُ أهوائي وأحلامي
تتلفتُ الذكرى اليكِ وبي ظمـاٌ يعتّـمُ جوَّ أيامي

وأريدُ أن أنسى فتخنقُـني رَعَشاتُ حزنٍ ساهدٍ مُرٍّ
أبقيتِ جُرحاً حافراً قلقاً في قلبِ أحلامي وفي شعري
كفُّ الحنانِ نسيتُ ملمسَها وفقدت معبرَها على شَعري
لم يبقَ منها غـيرُ أغنيةٍ جفّـت مرارتُها على ثَغري
وسهرتُ أنشدها وأنشدها في ليلةٍ ماسورةِ الفَـجرِ

أواهُ من حُزني ومن ظمـاي هل عُدت طيفاً مطـفاً المُقَـلِ

ألقبرُ ضمَّكِ في برودته بعد ارتعاشةِ قلبيَ الخضِلِ
لا طيرَ يوقظُ فيكِ عِرْقَ هوىً لا شيءَ يبعثُ خامدَ الأملِ
ألظلُّ مرَّ وأنتِ ساهيةٌ عن رَقْصِهِ وشُعاعِهِ الثملِ
والنجمُ لاحَ وأنتِ هامدةٌ لا تعبأين بضوئه الخجِلِ

وتمرُّ أصداءُ الحياةِ ضُحىً بوسادكِ المحزونِ وا أسفا
صوتُ المؤذّنِ كم سهرتِ له ما بالُهُ في مسمعيكِ غفا ؟
ما بالُ رعشتهِ تمرُّ على قلبٍ تناسى كيف أمسِ هفا
ما بالُها لاذتْ بغُرْبتها ومضتْ تُباكي حولكِ (النجفا)
تبكي وترسمُ في انتفاضتِها صوتاً يبيتُ الليلَ مُرتجفا

أوحيدةٌ في القَبْرِ هامدةٌ وأنا أَمسُّ سريرَكِ الخاوي؟
خُصُلاتُ شعركِ فوقه حُرَقٌ في عُمْقِ ياسي الصارخِ الداوي
ومكانُ رأسِكِ في الوسادةِ في قلبي بقايا كوكبٍ هاوِ
وقميصُكِ الباكي أما بقيتْ فيه حرارةُ جسمِكِ الذاوي؟

كيف انطويتِ وأنتِ خالدةٌ في أدمعي؟ شُلَّتْ يدُ الطاوي

أصْغي وهل تُصْغين؟ هل بَلَغتْ مثواكِ أصداءُ ارتعاشاتي
كيف انتفضتُ وأنتِ هامدةٌ في مخلَبَيْ ألمي وآهاتي
تتعثّرُ النغَماتُ في شفتي بصُراخِ أحزاني وأنّاتي
مزّقتُ أيامي التي سَلفَتْ ودفنتُ فيكِ بشاشةَ الآتي
وأضعتُ أفراحي ومن عَبَثٍ شِبْهُ ابتساماتي وضُحْكاتي

١٩٤٨

الكوليرا

سكَن الليلُ
أصغِ إلى وَقْعِ صَدَى الأنَّاتْ
في عُمْقِ الظلمةِ ، تحتَ الصمتِ ، على الأمواتْ
صَرَخاتٌ تعلو ، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ ، يلتهبُ
يتعثّر فيه صَدَى الآهاتْ
في كل فؤادٍ غليانُ
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مـكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُـماتْ
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ
هذا ما قد مَزّقَـهُ الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

طَلَـع الفجرْ
أصغِ إلى وَقْـع خُطـى الماشينْ
في صمتِ الفجـر، أصِخْ، أنظـُرْ ركبَ الباكين
عشرةُ أمـواتٍ ، عشرونا
لا تُحـْصِ أصِخْ للباكينا
إسمعْ صوتَ الطِفْل المسكين
مَوْتى، مَوْتى ، ضاعَ العددُ
مَوْتى ، موتى ، لم يَبْقَ غدُ

فِي كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبهُ محزونْ
لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ
هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

ألكوليرا
في كَهْفِ الرُعْب مع الأشلاءْ
في صمْت الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءْ
إستيقظَ داءُ الكوليرا
حقْداً يتدفّقُ موتورا
هبطَ الواديْ المرِحَ الوُضّاءُ
يصرخُ مضطرباً مجنونا
لا يسمَعَ صوتَ الباكينا

فيِ كلّ مكانٍ خلّفَ مخلبُهُ أصــــداءْ
في كوخ الفلاّحة في البيتْ
لا شيءَ سوى صرَخاتِ الموتْ
ألموتُ الموتُ الموتْ
في شخص الكوليرا القاسي ينتقمُ الموتْ

ألصمتُ مريرْ
لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ
حتّى حفّارُ القبر ثوَى لم يبقَ نَصِيرْ
الجامعُ مــــاتَ مؤذّنُهُ
الميّتُ من سيؤبّنُهُ
لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ
الطفلُ بــــلا أمٍّ وأبٍ
يبكي من قلبٍ ملتهبٍ

وغـــداً لا شكَّ سيلقفُـهُ الداءُ الشرّيرْ

ياشبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ
لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ
ألموتُ ، الموتُ ، الموتْ
يا مصرُ شعوري مزّقَهُ ما فعلَ المـــوتْ

١٩٤٧

لنكن أصدقاء

لنكنْ أصدقاءْ
في مَتاهاتِ هذا الوجودِ الكئيبْ
حيثُ يمشي الدَمارُ ويَحْيا الفَناءْ
في زوايا الليالي البِطاءْ
حيثُ صوتُ الضَحايا الرهيبْ
هازئاً بالرجاءْ
لنكنْ أصدقاءْ
فعيونُ القَضَاءْ
جامداتُ الحدَقْ

تَرْمُقُ البَشَرَ المُتْعَبينْ
في دروبِ الأسى والأنينْ
تحتَ سوطِ الزمان النَزِقْ
لنكنْ اصدقاءْ ،
ألأكفُّ التي عَرَفتْ كيف تَجْبي الدماءْ
وتحُزُّ رقابَ الخليّين والأبرياءْ
ستُحسُّ اختلاجَ الشعورْ
كلّما لامستْ إصْبَعاً أو يدا
والعيونُ التي طالما حدّقتْ في غرورْ
ترْمُقُ الموكبَ الأسودا
موكبَ الرازحينَ العبيدْ
هذه الأعينُ الفارغاتْ
ستُحِسُّ الحياةْ
ويعودُ الجمودُ البليدْ
خلفَها الفَ عِرْقٍ جديدْ

والقلوبُ التي سَمِعَتْ في انتعاشْ
صَرَخاتِ الجياعِ العطاشْ
ستذوبُ بكاءً على الجائعينْ
ستذوبُ لتسقي صدَى الظامئين
كاسةً ولتكنْ ملئتْ بالأنينْ

لنكنْ أصدقاءْ
نحنُ والحائرون
نحنُ والعزّل المتعبونْ
والذينَ يُقال لهم « مجرمونْ »
نحنُ والأشقياءْ
نحنُ والثملونَ بخمرِ الرخاءْ
والذينَ ينامونَ في القفر تحت السماء
نحن والتائهون بلا مأوى
نحن والصارخونَ بلا جدوى

نحن والأسرى
نحن والأممُ الأخرى
في بحارِ الثلوجْ
في بلادِ الزُنوجْ
في الصحارى وفي كلِّ أرضٍ تضمُّ البشر
كلُّ أرضٍ أصاخت لآلامنا
كلُّ أرضٍ تلقتْ توابيتَ أحلامنا
ووعتْ صرخاتِ الضجَرْ
من ضحايا القدَرْ

لنكنْ أصدقاءْ
إن صوتاً وراءَ الدماءْ
في عروقِ الذين تساقَوْا كؤوسَ العداءْ
في عُروقِ الذينَ يظلّون كالثملينْ
يطعنونَ الاخاءْ

يطعنونَ أعزّاءَهم بِاسمين
في عروقِ المحبّينَ ... والهاربين
من أحبّائهم ، من نداءِ الحنين
في جميعِ العُروق
إنّ صوتاً وراءَ جميعِ العُروق
هامساً في قرارةِ كلِّ فؤادٍ خفُوق
يجمعُ الأخوةَ النافرين
ويشُدُّ قلوبَ الشقيّينَ والضاحكين
ذلكَ الصوتُ ، صوتُ الإخاء
فلنكنْ أصدقاء

في بعيدِ الديار
ووراءَ البحار
في الصحارى، وفي القُطْب ، في المدْنِ الآمنه
في القُرَى الساكنه

أصدقاءُ بَشَرْ
أصدقاءُ ينادونَ أينَ المَفَرْ ؟
ويصيحونَ في نَبْرةٍ ذابله
ويموتونَ في وَحْدةٍ قاتله
أصدقاءُ جياعٌ ، حُفَاةٌ ، عُراه
لفظتْهم شفاهُ الحياهْ
إنهم أشقياءْ
فلنكنْ أصدقاء

من بعيدْ
صوتُ عَصْفِ الرياحِ الشديدْ
ناقلاً ألفَ صوتٍ مديدْ
من صُراخ الضَحَايا وراءَ الحُدُود
في بقاعِ الوجودْ
ألضحايا ، ضحايا العراكْ

وضحايا القيُودْ
وصدَى « هَيَاواثا » هناك
مُثقلا بأنينِ الجياعْ
بأسى المصطلينَ لَظى الحُمّى
بالذينَ يموتون دونَ وَدَاعْ
دون أن يَعرفوا أُما
دونما آباءْ
دونما أصدقاءْ .

١٩٤٨

جنازة المرح

سأغلق نافذتي فالضياء　　　يعكّر ظلمتيَ البارده
سأسدل هذا الستار السميك　　　على صفحةِ القصةِ البائده
وأطردُ صوتَ الرياح البليد　　　وإشعاعةَ الأنجمِ الحاقده
وأسندُ رأسي إلى الذكريات　　　وأغمس عينيّ في دمعتينْ
وأرسلُ حبي يلفُّ القتيل　　　ويُدفيءُ جبهتهُ الهامده
لعلي أردُّ اليه الحياة　　　وأمسحُ من زُرْقه الشفتينْ

سأغلقُ نافذتي فالقتيل　　　يحبُ الظلامَ العميقَ العميق
وأكرَهُ أن يتمطى الضياء　　　على جسمه الشاعريِّ الرقيق

على جبهةٍ زرعتها النجوم ولوّنها ضوؤها بالبريقْ
وكانت تُشعُّ الحياةَ فعادت تمجُّ الأسى والردى والعذابْ
تخطُّ عليها ذراعُ الممات أساطيرَ عهدٍ سحيقٍ سحيق
أمرُّ عليها بكفي فأصرُخُ رعباً وأسقط فوق الترابْ

سأغلقُ نافذتي فالظهيرةُ لا ينتهي حقدُها الراعب
تصبُّ سكينتها في برودٍ ويسخرُ بي وجهُها الغاضبُ
يطاردُني صمتها السرمديُّ ويكئبني لونها الراسبُ
وأينَ المفرُّ ؟ تكاد الستائـــرُ تدخلها غرفتي المظلمه
وأين المفرُّ ؟ وهذا القتيلُ يروّعني وجهه الشاحبُ
أمامي القتيل وخلفي الظهيرةُ يا للمطاردةِ المؤلمـــه

سأصبرُ حتى يجيءَ الدُجىَ ويغرب خلف الوجود الضياء
فأحملُ هذا القتيلَ البريء الى هوّةٍ من كهوف المساءْ
أسيرُ باشلائـه موكباً بطيءَ الخطى كليالي الشتاء

وتتبعني شهقات التذكـ ـرِ مهمومةً في أسى وشرود
وفي آخر الموكب المترنــحِ وجهٌ يشيعُهُ في ازدراءْ
وفي آخرِ الموكبِ المترنــح وجهٌ يشيعهُ في بُرُودْ

عَرفتُ الجبينَ عرفت الشفاه وهذي العيون الغلاظ الأديمْ
عرفتُ بها وجه حزني الدفين وقد عاد يحمل جرحي القديم
وفي يَدِه مُديةٌ لم يَزَلْ على حدّها دمُ أمسي الأليم
عرفتُ العدوّ اللجوجَ هناك يسيرُ على أثر الموكبْ
يُحدّقُ مستهزئاً بالقتيـل ويضحك ضحكةَ فظٍّ أثيمَ
نعم هوَ .. أعرفهُ جيداً فكم مرةٍ قبلُ قد مرّ بي

وأبصرتُ في أثري ألف طيفٍ حزينٍ تلفّعَ بالعبراتْ
عرفتُ بها البسماتِ التي لَقيتُ بها لَطَماتِ الحياة
عرفت بها الضحِكات التي سكبتُ نداها على الذكريات

أهذي إذنُ بسماتي ؟ حنانا   أعدْنَ عبوساً ورجع أنين؟
أهذي إذن ضحكاتي أهذي   نهايةُ ما صُغتُ من بسمات
وهذا القتيلُ أحقاً فقدتُ   به مرحي المضمحلَّ الدفين؟

١٩٤٨

يوتوبيا في الجبال

« مهداة إلى اختي إحسان التي شهدت معي مولدها عند عين المـــاء الثلجية المتحدرة بين صخور سرسنك الملونة »

تفجَّـري يا عُيُونْ
بالماءِ ، بالأشعَّـةِ الذائبه
تفجَّـري بالضوءِ،بالألوانِ،فوقَ القرْيةِ الشاحبه
في ذلكَ الوادي المُغَـشَّـى بالدُّجى والسكونْ
تفجَّـري باللحونْ

فوقَ انبساط السفْحِ بين التلالْ
في المُنْحَنَى حيثُ تموجُ الظِلالْ
تحتَ امتدادِ الغُصُونْ
تفجّري بالجمالْ
وشيّدي يوتوبيا في الجبالْ
يوتوبيا من شَجَراتِ القِمَمْ
ومن خريرِ المياهْ
يوتوبيا من نَغَمْ
نابضةً بالحياه
تفجّري، سيلي على مُنْحَدَراتِ الصُخُور
حيث يطيرُ الفَرَاشْ
في نشوةٍ وارتعاشْ
تفجّرى حيثُ تنامُ الطيورْ
في جنّةٍ من عُطورْ
حيثُ يغطّي السَفْحَ غابٌ كثيفْ

صنوبريٌّ الحفيفْ
تفجّري نقيّةً فوق حصى المُنْحدَرْ
في عطفةِ الوادي العميقِ المخيفْ
في ظُلَلِ الجوْز الرقيقِ الوريفْ
تحتَ انبساطِ الشجرْ
تفجري في الصباحْ
تفجّري جارفةً كالرياحْ
تفجري في الغروب
وشيدي يوتوبيا من قلوب
من كل قلبٍ لم تَطاهُ الحقودْ
ولم تدنسهُ أكفُّ الركودْ
من كلِّ قلبٍ شاعريٍّ عميقْ
لم يتمرّغْ بخطايا الوجودْ
من كلِّ قلبٍ رقيقْ
مستغرقٍ في حُلمه لا يُفيقْ
إلا على حُلمٍ بعيدِ المدى

ليسَ له من حدودْ
حُلمٌ تحدى الغدا
من كلّ قلبٍ لا يُطيقُ الُجمودْ
ولا صريرَ القيودْ

تفجّري بيضاءَ فوقَ الصَخَرْ
لوناً وضوءاً يتحدى كل رجس البشرْ
تفجري لن يسأم المنحدر
سيلي على النائمينْ
وأغرقي تهويمةَ الظالمين
فيضي على الميّتينْ
على قُلوبٍ لا تحسُّ الحنينْ
على عيونٍ لم تُطهرْها أكفُّ البكاء
على نفوسٍ لا تحسُّ السماءْ
على أكفٍ تجهل الكبرياءْ

سيلي بعيداً في القرى الجائعه
حيثُ الحفاةُ العُراه
وحيث لا يبلُغُ سمعَ الحياه
إلا صُراخُ الأنفس الضارعه
إلا عُواءُ الذئابْ
في عطفة الوادي الشقيِّ الحزينْ
في شاهقات الهضابْ
وحيثُ لا تُبْصرُ عينُ السنينْ
إلا أسى المتعَبينْ
قوافلٌ يحدو بها أشقياءْ
في جنَّةٍ من رَخاءْ
قوافلُ الجائعينْ
في ذلك الوادي الخصيبِ التُرابْ
قوافلُ الظامئينْ
يلتمسونَ السَرابْ

والماءُ يجتاحُ انزلاقَ السنينْ
قوافلٌ للملالْ
يحرِمُها الكدُّ نقاءَ الجبالْ
قوافلٌ مَجّتْ رنينَ الفؤوسْ
وغيرُها للكؤوسْ
للنومِ والأحلامِ تحتَ الظلالْ
أنصافُ موتى لا تُحِسّ الجمالْ

تفجّري يا مياهْ
تفجّري فوقَ قُبورِ البَشَرْ
تفجّري في الصَخَرْ
وسجّلي مأساةَ هذي الحياهْ
فوقَ جبينِ القَدَرْ
ما زالتِ القريةُ منذُ القِدَمْ
أقصوصةً ممزوجةً بالألمْ

قصّت أساهـــا الرياحْ
على شُحوبِ الصباحِ
تفجري ، سيلي وغطّي القمم
ألقِي على القِصّةِ سِترَ العَدَمْ
لا تذكري هذا النشيدَ الحزين
ما كانَ إلا رجعَ صوتٍ وهونْ
أصغتْ اليه السنينْ
في لحظةٍ ، ثم مَضتْ في سُكون

مرسنك ١٩٤٨

وجوه ومرايا

يا كؤوسَ الأحلامِ يا من تخيّلْـ
ـتُكِ أفقاً تضمُّهُ الأضواءُ
آهِ لو تُدركين كيف أحسُّ الـ
ـكونَ صحراءَ خلفَها صحْراءُ
والرحيقُ الذي حَلُمْتُ بهِ كيـ
ـفَ طوتْهُ المرارةُ الخرساءُ
كيفَ حينَ استلمتُ كاسيَ أرسلْـ
ـتُ دموعي ولم يُفِدني ارتواءُ

* * *

إرتوائي ؟ أوّاهُ من حُرَقِ الرُّو
حِ لماذا تظَلُّ روحيَ ظمأى ؟
إرتوائي ؟ هذا السَّرابُ الذي يرْ
كضُ قلبي وراءَهُ وهْوَ ينأى
إرتوائي حَسِبْتُهُ شفقاً حُلْ
ـواً فلمّا دنوتُ لم أرَ شيئاً
ليس إلا اللاشيءُ يصدِمُ شوقي
ويُذيبُ الأحلامَ جُزْءاً فجزءا

* * *

ألفراغُ الفراغُ يقتلُني أوّ
اهُ لو كان للوجود وجودُ
آهِ لو لم تَحُلْ مواقعُ أقدا
مي امتداداً حدودُهُ اللاحدودُ
السكوتُ السكوتُ يَفْغَرُ فاهُ
وغداً يغرُبُ الهَوَى والنشيدُ

والظلامُ يُطفِئُ عينيّ
فماذا أحسُّ ؟ مــاذا أريدُ ؟

* * *

أيّها الليلُ ليلَ روحيْ أما مِن
ملجأٍ من بُرُودةِ الظلماءِ ؟
ظمأٌ صارخٌ بأعماقِ نفسي
لشُعَاعٍ مُسَلْسلٍ من ضياءِ
آهِ لو لم يَحُلْ رجائي الإلهيُّ
سَراباً ضَحْلاً وبعضَ عزاءِ
آهِ لو كانتِ السعادةُ شيئاً
غيرَ هذي الفُقَاعةِ السوداءِ

* * *

لقبّوها الحياةُ وهي آضطرابٌ
أبديٌّ ولهفــةٌ لا تَقَرُّ

وامتدادٌ للاّنهـــايةِ لا يبـ
ـدأ لا ينتهي فأينَ المفرُّ ؟
لقبّــوني «أنا» ولم يُفْهِموني
ما أنا ما وجوديَ المكفهرُّ
أنا ماذا ؟ تحرُّقٌ ليس يرتا
حُ وظلٌّ سُرْعانَ ما سيمرُّ ...

* * *

في صفاء المرآةِ حدّقْتُ في طيـ
ـفي طويلاً والشكُّ في مقلتيّا
كائنٌ شاحبٌ يحدّقُ في وجـ
ـهيَ مثلي محيّـراً مطويّا
هذهِ هذه أنا ليس من شكٍّ
فــلم لا أمسُّها بيديّا ؟

لِمَ لا أستطيعُ أن أَلْمُسَ الذا
تَ ؟ وأمحو تحرُّقي الأبديّا ؟

* * *

ثم ماذا ! أُمدُّ كفّيَ في شو
قٍ عميقٍ فــلا أعانقُ ذاتي
صدمةٌ صدمةٌ تمزّقُ روحي
ليس إلا بُرودةُ المــرآةِ
الزجاجُ الجبّارُ شَفَّ ولكن
عن مثالٍ مشوّهٍ للحياةِ
عن كيانٍ رسمتُهُ أنا وحدي
فإذا غبتُ غابَ في الظُلُماتِ

* * *

الكيانُ الممسوخُ ها أنا أمحو
هُ كَفاهُ هُزْءاً بنار أسايا

ضربةٌ من يدي تحطّمتِ المر
آةُ فوق الثَّرَى وعادت شظايا
ليتَني كنتُ صُنْتُها عادَ وجهي
ألفَ وجهٍ تُطِلُّ منها الضَّحايا
ليتني كنتُ صنتُها ليتني أعـ
ـلمُ كيف المرآةُ عادتْ مَرَايا

١٩٤٧

قبر ينفجر

ناديتُ أكداسَ الرمالِ : تفجّري
لن تَـــدْفِني جَسدي النقيَّ الثائرا
وهتفتُ يا روحَ المـــماتِ : تمزّقي
لن تحبِسي قلبي الجريءَ الساخرا
وصرختُ بالأرض الدنيئة : إرفعي
من قلبِ هذا الطين روحي الشاعرا
هـــذا فؤادي نابضاً ، هذا دمي
متفجّراً تحتَ الترابِ مشاعـــرا

بالأمسِ في هـــذا الظلامِ دفنتني
تحتَ الثـرَى ولففتِـني بصخُـورِهِ
لم تَسمعي دقّـاتِ قلبي في الدُجى
وأشحتِ عـــن إحساسه وشُعورِهِ
لم تَفهمي روحي وخلْـتِ سكونَهُ
موتاً ولم يبلُـغْـكِ رَجْـعُ هديرِهِ
ووهمتِ أيتُـها الحياةُ فـــلم تَرَيْ
في أدمعي غـيرَ الرَدَى وفتورِهِ

ما نَفْـعُ أكداسِ التراب جميعِـها ؟
ألآنَ ينفجر التُـرَابُ الغاصبُ
ألجُـثة الظَـماى الـــتي أودعتِـها
بالأمس والوجهُ الـكئيبُ الشاحبُ
ألآنَ يَنْـفجرانِ ناراً حيّـةً
ويسابقُ الإعصارَ روحي الصاخبُ

والآن ينبثقانِ من قلبِ الثَرى
ويعودُ لي الأملُ الجميلُ الذاهبُ

ما خِلتِه صَخْراً إليكِ وجيبَهُ
ما خلتهِ صَمْتاً إليكِ نشيدَهُ
ألقبرُ ضجٌ وضاقَ تحتَ عواطفي
والطينُ حولي لن أطيقَ رُكودَهُ
هذا الرَمادُ حذارِ من أعماقه
فوراءَهُ جمْرٌ نسيتِ رعودَهُ
يا من حَسِبْتِ النارَ طيناً خامداً
ونسيتِ إعصارَ الصِبا وخُلودَهُ

هذي العيونُ حذارِ منها . انها
خلفَ الجفونِ عميقةٌ أغوارُها

هذي العروقُ حَذارِ من فَوَرانها
فغداً سيصرُخُ في المدى إعصارُها
هذي الشفاهُ حَـــذارِ من سَكَناتها
فغداً ستجتاحُ المدى أشعارُهـــا
هذا الفؤادُ حَذارِ من غَفَـوَاتـــه
فوراءَ رقدتِه الحيـــاةُ ونارُهـــا

ناديتُ أكداسَ الرمال : تفجّـري
وهتفتُ يا روحَ المماتِ ، تمزّقي
وصرختُ بالأرض الدنيئةِ إرفعي
أسْرَ الترابِ عن الشبابِ المرهَقِ
فإذا الحياةُ مُشيحةٌ عن صرختي
لم يأتِهـــا نَغَمُ اللهيبِ المُحرِقِ
وأنا على صَدْرِ التُرابِ تمـــرّدٌ
حُـــرٌّ ونارٌ توثّبٍ وتحرّقِ

لم يبقَ إلا أن يحطِّمَ ساعدي
هذي القيودَ وها أنا ، هذي يدي !

سأفجّرُ القبرَ الصغيرَ حجارةً
وأطيرُ من أمسي القريبِ إلى غدي

وسأصرعُ الموتَ الضعيفَ وأنثني
بمخاوفي وسعادتي وتنهّدي

وسأنثرُ الألحانَ في صمتِ الدجى
يا أنجمَ الليلِ المضيئةَ فاشهدي

ناديْتُ أكداسَ الرمالِ تفجّري
فتفجّرتْ تحتَ المساءِ المُظلِمِ

وجمعتُ أحلامي ومزّقتُ الثرى
بصفائها ووقفتُ تحتَ الأنجمِ

وفتحتُ صدرى للضياءِ وسحره
وصرختُ بالكون الجميل الملهمِ
أنا حيّةٌ يا أرضُ ، هذي نغمتي
هـــذا نشيدُ فؤاديَ المتكلّمِ

١٩٤٧

كانَ ليلٌ، كانتِ الأنجُمُ لُغزاً لا يُحَلّْ
كان في روحيَ شيءٌ صاغَهُ الصمتُ المُملّْ
كان في حسّيَ تخديرٌ ووعيٌ مضمحلّْ
كان في الليلِ جُمودٌ لا يُطاقُ
كانتِ الظُّلمة أسراراً تُراقُ
كنتُ وحدي لم يكن يتبَعُ خطْوي غيرُ ظلّي
أنا وحدي ، أنا والليـــل الشتائيُّ... وظلّي

لم أكنْ أحلُمُ لكن كانَ في عينيَّ شيءُ
لم اكنْ أبسمُ لكنْ كان في روحيَ ضوءُ

لم اكنْ أبكي ولكنْ كان في نفسي نَوْءُ
مرَّ بي تَذْكارُ شيءٍ لا يُحَدُّ
بعضُ شيءٍ ما لَهُ قبلٌ وبَعْدُ
ربَّما كانَ خيالاً صاغَهُ فِكريْ وليلي
وتلفتُّ ولكنْ لم أقـــابلْ غيرَ ظلي

* * *

كان صمْتٌ راكدٌ حولي كصَمْتِ الأبديَّه
ماتت الأطيارُ أو نامتْ باعشاشٍ خفيَّه
لم يكنْ ينطِقُ حتى الرَغَباتُ الآدميَّه
غيرَ صَوْتٍ رنَّ في سَمْعي وذابا
لحظةً لم أدرِ حتى أينَ غـــابا
آهِ لو أدركتُ من ألقاهُ في الصَمْتِ المُملّ
أتراني لم أكنْ أمشي أنا وحدي وظلي ؟

كانتِ الظُلْمةُ تمتدُّ إلى الأفْقِ الغريبِ

كلُّ شيءٍ مغرَقٌ فيها كقلبي ، كشُحُوبي
ظلمةٌ ممتــدَّةٌ كالوهْمِ كالموتِ الرهيبِ

غيرَ ضوءٍ خاطفٍ مَرَّ بجَفْني
لحظةً لم تَدْرِ ماذا كانَ ، عيني

كانَ ضوءاً لونُهُ لونُ خَيالٍ مضمحلّ
مرَّ بي لَمْحاً وأبقاني أنا وحْدي وظلّي

* * *

كان في الجــوِّ الشتائيِّ ارتعاشٌ وجُمُودُ
جَمَدَ الظلُّ من البَرْدِ وغشّاهُ الركُودُ
ليلةٌ يرجفُ في أجوائهـــا حتى الجليدُ

غيرَ دفءٍ طاف في قلبي الوجيعِ
فزتُ فيــه من شتائي بربيعِ

وإذا في عُمْقِ قلبي فرحةُ الفَجْرِ المطلّ

غيرَ أني كنتُ في الليلِ أنا وحدي وظلي

كانَ في روحي فَرَاغٌ جائعٌ كاللاَّنهايه
كانَ ظلي صامتا لا لحنَ لا رجْع حكايه
باهتاً يتبَعُ مَسْرَى خُطُواتي دونَ غايه

غيرَ كاسٍ عبَرت حين صَرَخْتُ
قطرةٌ واحدةٌ ثم ارتويتُ

أتراهُ كانَ أكذوبةَ إحساسي المُضلّ
أوَما كنتُ أنا وحدي مع الليلِ وظلّي ؟

* * *

كان قلبي مُتعَباً يسكنُه حُزْنٌ فظيعُ
رقصتْ فيه وشدَّتْه الى الجُرْح دُموعُ
صوَرٌ في قَعْره يصبُغُ مرآها النجيعُ

كانَ ، لكنَّ يداً مرَّتْ عليهِ
حملتْ بعضَ تحاياهــا اليــهِ
باركتْ آلامَهُ السوداءَ كانتْ يدَ طفْلٍ
أيُّ طفْلٍ ؟ لم يكنْ في الليل غيري غير ظُلي

١٩٤٨

تهم

أعبِّر عمّا تُحسّ حياتي وارسمُ إحساسَ روحي الغريب

فابكي اذا صدمتْني السنين بخَنْجرها الأبديّ الرهيب

وأضحَكُ مما قضاهُ الزمان على الهيكل الآدميّ العجيب

وأغضَبُ حين يُداسُ الشعور ويُسْخَرُ من فَوَرانِ اللهيب

أعبِّرُ عن كلّ حسّ أعيه

وأبكي الحياةَ ولا أُنكِرُ

واضحَك من كلِّ ما تحتويه
وأغضبُ لكنّني أشعرُ

يقولونَ شاعرةٌ في السّحاب   تحلِّقُ خلفَ سَرابِ النجوم
أنانيّةٌ لا تُحِسُّ الوجود   وان صرعتْه جبالُ الغمومْ
خياليّةٌ تمقُتُ الكائنات   وتخلُقُ عالَمها في الغُيومْ
خريفيّةٌ تكرَهُ الضاحكين   لتدفِنَ جبهتَها في الهُمومْ
أنانيّةٌ وأحِبُّ البَشَرْ
خياليّةٌ وحياتي تَسيرْ
خريفيّةٌ وأناجي الزَهَرْ
وعاطفتي لهَبٌ من شُعُورْ

يقولونَ : عاشقةٌ للظلامْ تُحبُّ الدياجي وتَهْوَى السُكونْ
وتُنشِدُ أشعارَها للجبال   وتَرْسُمُ أحلامَها للعيونْ
تحبُّ الحياةَ ولكنّها   تعكِّرُها بخيالِ المَنُونْ
ترَى جوَّها غيهباً حالكاً   يضيقُ بآثامِهِ المُلْهَمون

أحبُّ الظـــلامَ ولكنني
أثورُ على كلِّ أحلامكم
أحبُّ الحيـــاةَ على أنني
أحقـِّرُ موكبَ أيامكم

* * *

يقولونَ : جامدةُ الحسِّ تَحْـيا
مع الأمس في حُـــلُمٍ جامدِ
يقولونَ: صوفيَّةٌ فالحياةُ تنوحُ على حِسِّها الخامدِ
عواطفُـها جَمَدَتْ كالنجوم كتهويمةِ القـمَـرِ البارد
وتحليقُـها كانَ ثم امـَّحى على صَدرِ إحساسِها الراكد

يقولونَ لكنـَّني تائهٌ
ألوذُ بصَمْتي الخفيِّ الغريبْ
أعيشُ حيـاتيَ كالآلهه
وقلبي شعورٌ وروحي لهيبْ

يقولون دَعهم غداً يعلمون		ودعني أنا للشّذى واَلجمال
أحبُّ الحياةَ بقلبي العميق		وأمزُجُ واقعَها بالخيال
أُحبُّ الطبيعةَ حُبّ جنون		أحبُّ النخيلَ أُحبُّ الجبال
وأعشَقُ ذاتي ففي عُمقها		خيالُ وجودٍ عميقِ الظلال

وأهتُفُ يا نارَ قلبي الغريب
وموجَ أحاسيسيَ الثائره
إذا اتّهموا فلماذا أُجيب
بغيرِ ابتساميَ الساخِرَه؟

١٩٤٧

رمــاد

أهكذا داستْ علينا الحياه لم تُبقِ منا صَدَى
لم تُبْقِ إلا النَدَمَ الأسودا وصوتَ وا خيبتاهْ

أهكذا لم يَبْقَ إلا الرَّماد في الموْقد الذابلِ ؟
أليسَ من كوكبنا الآفلِ إيماضةٌ تُستعادْ ؟

أليسَ عنَّا نبأً أو نشيدْ أو همْسَةٌ واحده ؟
ألم تعدْ قِصَّتُنا البائده توقظُ عِرقاً جديدْ ؟

ألم يَعُدْ قطُّ لنا من مكانْ في القصَّة الجاريه ؟
أليسَ في كاساتنا الخاليه شيءٌ يهمُّ الزمانْ ؟

وذلك الموكبُ والسائرونْ فوقَ ثَرَى المُنْحدَرْ
لم يُدركوا أنَّ هَوانا اندثر في عُمْقِ قبرِ السكونْ

ووقعُ أقدام الهَوَى الراحله إلى مكانٍ بعيد
تنقُلُها الريحُ فلا تستعيدْ ألحانَها القافِله

ونحن ما زِلْنا نجُرُّ الحنينْ والأمسَ والذكرياتْ
أقيادُنا مثقَلَةٌ بالحياة ونحنُ في الميِّتينْ

ونحن ما زِلْنا نسوقُ الرَّمادْ لنُطعمَ الموْقِدا
وأذرعُ الأحلام ترجو سُدَى خلْقَ غدٍ من جمادْ

وبعثَ ماضٍ لونُ أركانِهِ من مِزَقِ الأحلامْ
أمسَى رهيباً تُنكِرُ الأيامْ عارِيَ جُدْرانِهِ

أمسَى بعيداً تحجُبُ الوديانْ أسوارَهُ القاتمه
تعيثُ فيه الهدأةُ الساهِمه ويحكُمُ النسيانْ

والرِّيحُ لم تُبْقِ على بابِهِ حُروفَ أسمائنا
لم تُبْقِ حتى وقْعَ أقدامِنا في جَوِّ محرابِهِ

وربّما طافتْ بهِ في ذُهولْ أشباحُنا الباكيه
تطوفُ حولَ الغُرَفِ الخاليه سُدىً تُريدُ الدُّخولْ

أشباحُنا يُضلّها الإعصارْ تحتَ غِلافِ الضّبابْ
تَظَلُّ وهي تلطُمُ الأبوابْ والحائطَ المُنْهارْ

أشباحُنا حافرةٌ في ارتعاد مقبرةَ الذكرياتْ
لا صورةٌ تنبُضُ فيها حياة لا شيءَ غير الرَّمادْ

تُنْصِتُ في رُعْبٍ وفي إعياءْ عند السياجِ الحزينْ
فلا تعي إلا بقايا أنينْ تُرْسِلُهُ الأقباء

أشباحُنَا تستفهمْ النِسيانْ عن أمسِها الضائعْ
فلا تَرَى إلا الرَّدَى الجائعْ يقوِّضُ البُنْيان

وأذرعُ السَرْو تَمُدُّ الذُهولْ   فوق شُحوبِ الخرابْ
كأنها تَقْذِفُ فوقَ القِبابْ   مَعْنى الرَدَى والذُبولْ

ولفظةٌ واحدةٌ واحده   تكرَّرتْ في المَكانْ
سمعتُها تفحُّ كالأفعوانْ   في الشُرَف البارده

أبصرتُها مكتوبةً باللهيبْ   في الغُرَفِ الباليه
وفوقَ ساقِ السرْوة العاريه   وفي الفِناءِ الجديبْ

أحسستُها تهمس معنى «مَضى»   ملءَ المساءِ الكئيبْ
أبصرتُها في كلِّ ركنٍ رهيبْ   أبصرت لفظَ «انقضى»

وتلتقي أشباحُنا في المَساءْ   باردةً واجمه
تنظُرُ في تقطيبةٍ ساهمه   في سَوْرةٍ من غَباءْ

أشباحُنا تطلُبُ ماضينا   لا تُدْرِكُ الأسرارْ
كيف انقضى؟ ألم يعدْ في الدارِ   صوتٌ ينادينا ؟

أهكذا داستْ علينا الحياه   لم تُبقِ منا صَدَى؟
لم تُبْقِ إلا النَدَمَ الأسودا   وصوتَ وا خيبتاه؟

١٩٤٨

الخيط المشدود في شجرة السرو

- ١ -

في سَوادِ الشارعِ المُظلم والصمتِ الأصمّ
حيثُ لا لونَ سوى لونِ الدياجي المدلهمّ
حيثُ يُرخي شجرُ الدُفلى أساهُ
فوقَ وجه الأرضِ ظلاّ ،
قصةٌ حدّثني صوتٌ بها ثم اضمحلا
وتلاشتْ في الدّياجي شَفتاهُ

- ٢ -

قصةُ الحبِّ الذي يحسبه قلبكَ ماتا
وهو ما زالَ انفجاراً وحياةَ
وغداً يَعصرُكَ الشوقُ إليَّا
وتناديني فتَعيَى ،
تَضغَطُ الذكرى على صدركَ عبثا
من جنونٍ ، ثم لا تَلمُسُ شيئا
أيُّ شيءٍ ، حُلمٌ لفظٌ رقيقُ
أيُّ شيءٍ ، ويناديكَ الطريقُ
فتُفيقُ .
ويراكَ الليلُ في الدَرْب وحيدا
تسألُ الأمسَ البعيدا
أن يعودا
ويراكَ الشارعُ الحالمُ والدُفلى ، تسيرُ
لونُ عينيكَ انفعالٌ وحبورُ

وعلى وجهك حبٌّ وشعورُ
كلّ ما في عمق أعماقِكَ مرسومٌ هناكْ
وأنا نفسي أراكْ
من مكاني الداكن الساجي البعيدْ
وإرى الحُلْمَ السعيدْ
خلفَ عينيكَ يُناديني كسيرا
. . . وترىَ البيتَ أخيرا
بيتنا ، حيثُ التقينا
عندما كان هوانا ذلك الطفلَ الغريرا
لونُهُ في شفتَينا
وارتعاشاتُ صِباهُ في يَدَيْنا

ـ ٣ ـ

وترى البيتَ فتبقى لحظةً دونَ حراكْ :
« ها هو البيتُ كما كان ، هناك
لم يزلْ تحجبُهُ الدُّفلَى ويحنو

فوقَهُ النارنجُ والسروُ الأغنُّ
وهنا مجلسنا ...
ماذا أُحسُّ ؟
حَيرةٌ في عُمق أعماقي ، وهمسُ
ونذيرٌ يتحدّى حُلمَ قلبي
ربما كانت ... ولكن فِيمَ رُعبي ؟
هي ما زالتْ على عَهد هوَانا
هي ما زالت حَنانا
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما
وستلقـــاني .... » .

وتمشي مطمئناً هادئا
في الممرِّ المظلم الساكن ، تمشي هازئا
بهتافِ الهاجسِ المنذرِ بالوَهم الكذوب:
« ها أنا عُدت وقد فارقتُ أكداسَ ذنوبي
ها أنا ألمحُ عينيكِ تُطِـلُّ

ربما كنتِ وراءَ البابِ ، أو يُخفيكِ ظلٌ
ها أنا عُدتُ ، وهذا السلّمُ
هو ذا البابُ العميقُ اللونِ ، مالي أُحجمُ ؟
لحظةً ثم أراها
لحظةً ثم أعي وَقْعَ خُطاها
ليكن .. فلأطرقِ البابَ ... »

وتمضي لَحَظاتْ
ويَصِرُّ البابُ في صوتٍ كئيبِ النَبَرات
وترى في ظُلْمة الدهليزِ وجهاً شاحبا
جامداً يعكِسُ ظلاً غاربا :
« هلْ ...؟» ويخبو صوتُكَ المبحوحُ في نَبرٍ حزينْ
لا تقولي إنها ... »

« يا لَلجنونْ !
أيها الحالمُ ، عمّن تسألُ ؟
إنها ماتتْ »

وتمضي لحظتانْ

أنت ما زلتَ كأنْ لم تسمعِ الصوتَ المُثيرْ
جامداً ، تَرمُقُ أطرافَ المكانْ
شارداً ، طرفُكَ مشدودٌ الى خيطٍ صغيرْ
شُدَّ في السرْوة لا تدري متى ؟
ولماذا ؟ فهو ما كانَ هناكْ
منذُ شهرين . وكادتْ شفتاكْ
تسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغيرْ
ولماذا علّقوهُ ؟ ومتى ؟
ويرنُّ الصوتُ في سمعكَ : « ماتتْ .. »
« إنها ماتتْ .. » وترنو في برودِ
فترَى الخيطَ حِبالاً من جليدِ
عقدتها أذرُعٌ غابت وواراتها المَنُونْ
منذ آلافِ القرونْ
وترى الوجهَ الحزينْ

ضخّمتْهُ سحُبُ الرُّعب على عينيكَ . « ماتتْ .. »

– ٤ –

هي « ماتتْ .. » لفظةٌ من دونِ معنىً
وَصدى مطرقةٍ جوفاءَ يعلو ثم يَفنى
ليسَ يعنيكَ تَوَاليه الرتيبُ
كل ما تُبصرُهُ الآن هو الخيطُ العجيبُ
أتراها هي شَدَّتهُ ؟ ويعلو
ذلك الصوتُ الُملِحُّ
صوتُ « ماتت » داوياً ، لا يضمحلُّ
يملأ الليلَ صُراخاً ودويا
« إنها ماتت » صَدَىً يَهمِسهُ الصوتُ مليا
وهُتافٌ رددته الظلماتُ
وَرَوَتهُ شجراتُ السرو في صَوتٍ عميقِ
« إنها ماتت » وهذا ما تقولُ العاصفاتُ

« إنها ماتت » صَدىً يصرخُ في النجم السحيقِ
وتكادُ الآن أن تسمعهُ خلفَ العروقِ

– ٥ –

صوتُ ماتتْ رنَّ في كلِّ مكانِ
هذه المطرقةُ الجوفاءُ في سَمع الزمانِ
صوتُ « ماتتْ » خانقٌ كالأفعوانِ
كلُّ حرفٍ عصبٌ يلهثُ في صَدركَ رُعبا
ورؤى مشنقةٍ حمراءَ لا تملكُ قلبا
وتجني مخلبٍ مُختلجٍ ينهشُ نهشا
وصَدَى صوتٍ جحيميٍّ أجشّا
هذه المطرقةُ الجوفاءُ : « ماتت »
هي ماتت ، وخلا العالمُ منها
وسُدىً ما تسألُ الظلمةَ عنها
وسُدىً تُصغي إلى وقع خُطاها

وسُدَىً تبحثُ عنها في القمر
وسدىً تحلُمُ يوماً أن تراها
في مكانٍ غيرِ أقباءِ الذِكَرْ
إنها غابتْ وراءَ الأنجُمِ
واستحالتْ وَمْضةً من حُلُمِ

- ٦ -

ثم ها أنتَ هُنا ، دونَ حَراكْ
مُتعَباً ، تو شِكُ أن تنهارَ في أرض الممرّ
طرفُكَ الحائرُ مشدودٌ هناكْ
عند خيطٍ شُدَّ في السروةِ ، يطوي ألفَ سرّ
ذلك الخيطُ الغريبْ
ذلك اللُغزُ المُريبْ
إنه كلُّ بقايا حبِّكَ الذاوي الكئيبْ .

- ٧ -

وَيراكَ الليلُ تَمشي عائدا
في يديكَ الخيطُ ، والرعشةُ ، والعِرْقُ المُدَوِّي .
« انها ماتتْ .. » وتَمضي شاردا
عابثاً بالخيط تطويهِ وتَلوي
حولَ إبهامِكَ أخْراهُ ، فلا شيءَ سواهُ ،
كلُّ ما أبقى لكَ الحبُّ العميقُ
هو هذا الخيط واللفظُ الصفيقُ
لفظُ « ماتت » وانطوى كلُّ هُتافٍ ما عداهُ

١٩٤٨

للقارىء

وردت في سياق القصائد بضع كلمات أوربية، قد يهم القارىء ان يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً :

يوتوبيا Utopia

كلمة أغريقية معناها « لا مكان » استعملتها للدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلامي، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيـا التي تخيلها الكاتب الانـكليزي توماس مورفي في كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية ادارية للجزيرة المثلى كما يريدها هو ، قياساً على جمهورية افلاطون .

ديانا Diana

عند اليونان القدماء ، إلهة القمر، وحامية الصيد. كانوا يتخيلون انها تسوق عربة القمر البيضاء كل مساء عبر السماء .

نارسيس Narcisse

زهرة النرجس . في الاساطير اليونانية القديمة ان نارسيسَ كان شاباً فاتناً شديد الغرور بجماله ، فعاقبته الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق صورته ، بعد ان رآها منعكسة في ماء بحيرة صافية ذات يوم . ثم رقت له فحولته الى الزهرة التي ما زالت تحمل اسمه .

ابولو Apollo

إله الوحي والفن ، وقائد عربة الشمس في الفضاء عند قدماء الاغريق،وهو شقيق ديانا التي مر ذكرها .

لابرنث Labyrinth

كلمة اغريقية الأصل ، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر لها متصلة بعـــدد كبير من الممرات والدهاليز والاقباء ، بحيث إذا دخله انسان لم يملك الخروج منه .

وقد استعملت هذه اللفظة في قصيدة «الافعوان» اسما لطريق شيده « أمير غريب الطباع . ثم مات

الأمير .. وابقى الطريق .. » وربما كان باعث كلمة امير في ذهني ، اقتران كلمة – لابرنثوس – بشبه حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم فقد حكي عن هيرودوتس أنه حين مرّ بمصر رأى بناء غريباً هائل الضخامة أشبه بلغز كبير محيّر ، من دخله لم يجد مخرجاً منه، شيده أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة

ومن يدري ؟ لعل الملك الذي شيد هذا البناء أراد أن يتخذ منه مخبأ لا يدركه فيه «أفعوانه» الخاص

هياواثا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال في أميركا أختارها الشاعر الاميركي لونكفلو موضوعاً لملحمة شعرية كتبها سنة ١٨٥٥ والجزء الذي تهمنا الاشارة اليه من هذه الملحمة ، ان زوجة هياواثا الشابة قد ماتت على اثر شتاء قاس انشب ثلوجه وأعاصيره في القرية ، منزلا بسكانها الجوع والحمى والموت. ولذلك استعملت كلمة « هياواثا » في قصيدة «لنكن اصدقاء» رمزاً لصرخات الاستغاثة والشكوى في أرض يموت سكانها مدفونين في الثلج جائعين محمومين .

قرارة الموجة

إلى أمي ..

أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها

« نازك »

مقدمة للطبعة الثالثة

-١-

كنت قد كتبت هذا الحوار التحليليّ عام ١٩٥٧ لأجعله مقدّمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة) . وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧ – ١٩٥٣) والفترة التي كنت أمرّ بها عام١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديواني الرابع (شجرة القمر) . ومن عادتي ألاّ أنشر إنتاجي الشعري إلا بعد مرور الزمن عليه، ليكون حكمي عليه أصوب ، وذلك سرّ الفـــروق الزمنيّة التي تقوم بين شخصيتي الفكرية في (قرارة الموجة) وشخصيتي الجديدة عام ١٩٥٧ ولذلك سميت بطلة قرارة الموجة بـ (الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧

بـ (الثانية) فشخصت بذلك الفروق بين ذهنيها . وقد عدلت يومها عن نشر هذه المقدمة لأترك للقرّاء فرصة يدرسون فيهـــا القصائد بمعزل عن تحليلاتي ، أما الآن وأنا أقدّم للطبعة الثالثة ، فـلا أرى مانعاً من نشر الحوار لما يلقيه من أضواء كاشفة على هـــذا الشعر قد تساعد الناقد في فهم وجهة نظري الفلسفية وتطوّري الذهنيّ بين الفترتين .

« ن. م. »

البصرة
في ١٩٦٧/١٢/٢٣

-٢-

الثانية : انهم يسألونني عنك ، أيتها الصديقة القديمة، ويريدون أن يعرفوا لماذا سمّيته « قرارة الموجة » .

الأولى : (في لهفة) أوَليس في وسعك أن تردي عليهم؟

الثانية : (دون مبالاة) : بلى . لست أنكر أن عندي معلومات كثيرة عن هذه القصائد ، وفي وسعي أن أتحدث طويلاً عن كل واحدة منها . ولكني – والحقّ يقال – لا أحسّ برابطة تربطني بها أو بكِ . هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنيني . أتريدين أن أقف منها موقف الناقد ؟

الأولى : أنتِ ؟ بمقاييسكِ التي لا أقرُّها ؟

الثانية : مـــاذا في وسعي إذن ؟ لقد سألتكِ أن تتحدثي أنتِ إليهم عن نفسكِ فأبيتِ .

الأولى : إنـّك ترفضين أن أقولَ ما أريد ، وتصرين على أن أقول ما تريدين أنتِ ، مع أني أنا التي نظمتُ هذا الشعر لا أنتِ .

الثانية : فلنفرض اني أذنت لك بالكلام .

الأولى : (ساخرة) كرمٌ عظيم منكِ . إني أحبُّ أن أحدثهم عن « الموجة » ، عن النقطة العليا التي أسمّيها القمّة ، والنقطة السفلى أو « القرارة » . القمّة الـتي تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى ، والقرارة الـتي تصل إليها حين تستجمُّ حركة الاندفاع المتوتر .

الثانية : يا أختي ! أما كان الأفضل أن تنشري لهم الشعر الذي نظمته وأنت في قمة الموجة ؟ ألتِ تدرين أنهم يتهمونكِ بالتشاؤم .

الأولى : (في ازدراء) القمّة ؟ لا شيء على القمّة إطلاقاً . إني أكتب قصائد باردة حين أبلغها. وما القمة بعد ؟ انها بداية الانحدار. أمـــا القرارة فليست إلا الاستجمام الذي ينطوي على بذرة التحفّز إلى الانبثاق الحار والصعود إلى القمة التالية .

الثانية : سيقولون حين يسمعونك : ما قيمة الصعود إن كانت القمة نفسُها باردة ؟

الأولى : مهما يكن فإنّ عنواني « قرارة الموجة » متفائل .

الثانية : هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) إن لم أخطىء .

الأولى : كلا . إن الشظايا قمة عالية حقـاً ، ولكنّ الرماد هو النهاية التي لا حياة بعدها . أمـا الموجة فهي لا تركد أبداً ، والنقطة السفلى فيها ليست إلا القفزة الجديدة نحو القمة . وهكذا ترين أن (قرارة الموجة) يرى

الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات
لا نهاية لها ، وإذا كان هذا الشعر قد نظم
في منحدر الموجة فإنهـــا محض صدفة
لا أكثر .

الثانية : آمنّا . ولكني أحبّ أن أعترض على شيء
إن سمحتِ .

الأولى : (في ضيق) كما تشائين .

الثانية : اني أحب أن أغـــير عنوان الديوان من
(قرارة الموجة) إلى (طريق العـودة)
فما رأيك ؟

الأولى : فكرة ذات إمكانيات . أتعلمين انّ هذا قد
خطر لي أنا نفسي مـــرارا ؟ إن قصيدة
(طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدّها
مفتاح الفلسفة التي قامت عليها حياتي .

الثانية : اتفقنا إذن . فلنسمّه (طريق العودة) .

الأولى : كلا . ليس في وسعي أن أوافق . إنّ
القرّاء سيظنون العنوان غواية لا أكثر .

سيحسبون أنني لم أجد عنواناً يلخص عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت إلى تسميته باسم إحدى القصائد : الواحدة الأثـــيرة إلى قلبي .

الثانية : وماذا لو ظنـّوا هذا ؟ إن ديوان شعرٍ ما ليس عملاً موحّداً بحيث يجب أن يلخصه العنوان .

الأولى : هذا ما لا أوافق عليه . إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر ، ولا بدّ لكل فترة في حياة الشاعر الحق من اتجاه مميز . انه شيء قائم. وهو يحتم العنوان .

الثانية : رأي متعنـّت . أنتِ جـديّة أكثر مما ينبغي . وبعد فإن عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لا يمثل القصائد كلها . إنّ في هذه المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة .

الأولى هذا حقّ . وأنتِ المسؤولة . لقد حذفتِ

نصف قصائد هذا الديوان . أنكري هذا .

الثانية : إني لا أنكر ، هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها .

الأولى : ولكنها مقاييسُكِ أنتِ ، أنت التي لم تنظم هذه القصائد . وليس من حقك أن تتحكمي في شعري أنا . أمامكِ ديوانك أنتِ فاحذفي منه ما تشائين .

الثانية : ألا يبدو ان فتاةً أخرى هي التي ستتحكم في شعري أنا ؟ واحدة لا أعرفها الآن ، ستنبع من المستقبل وتواجهني ولن يروقها شعري . أغنيتي هذه الأخيرة التي تنتفض فيها الوردة الحمراء وتتفجر الدموع المختبئة فيها ... هذه الأغنية التي أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم ، يجوز أنها لن تسمح لي بنشرها كما أصنع أنا بقصائدك .

الأولى : (كأنها لا تسمعني) حقاً ماذا أبقيتِ من (قرارة الموجة) ؟

الثانية : يكفي ما أبقيت منه . إن القارىء سيألف الفلسفة . ألا يكفي أنكِ ملأت بها (لعنة الزمن) و (الشخص الثاني) و(سخرية الرماد) و(يحكى أنّ حفّارين) و(صلاة الأشباح) ؟ بل ألا تكفيك قصيدة (طريق العودة) هذه القصيدة التي تولعين بها ؟

الأولى : إنّها تلخصني .

الثانية : طبعاً تلخصُكِ . ولهذا أراني لا أنسجم معك.إني أحبّ طريق العودة ولا أستسيغ كرهك له وثورتك عليه. اسمعي ما تقولين:

لماذا نعودْ
أليس هناك مكان وراء الوجودْ
نظلّ إليه نسير
ولا نستطيع الوصولْ

الأولى : (في لهجة حالمة) حقاً ، لماذا نعود ؟ إن

طريق الرواح مملوء بالحياة والجمال دائماً .
وما نكاد نقرّر الرجوع حتى يركد كل
شيء ، وتلوح الأشياء جامدة مملّة . طريق
الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرة فنراها
بلهفة تخفي ما فيها من معايب ، بينما يقدّمها
لنا طريق العودة وقد فقدتْ جدّتها .

الثانية : وا أسفاه . أنتِ إذن تؤمنين أنّ آمالنا
هي دائماً أجمل من تحقّقها . أترى الكأس
أعذب حين لا نملكها ؟ أتصبح بلا طعمٍ
إذا نحن بلغناها وتناولناها ؟

الأولى : (ما زالت تحلم) تماماً . أنتِ تلخصين
فكرتي التي جاءت في قصيدة (وجوه ومرايا)
في « شظايا ورماد » حيث قلت :

كيف حين استلمت كأسيَ أرسلـ
ـت دموعي ولم يُفدْني ارتواءُ

الثانية : وهذه عين صرختك في قصيدة (الزائر الذي
لم يجيء) في هذا الديوان :

ولو كنتَ جئتَ ..
أما كنتَ تصبح كالحاضرينَ وكان المساءْ
يمرّ ونحن نقلّب أعيننا حائرين

الأولى : صرختي طبعاً . وأنا أحبّها . ان مجيء زائري المنتظر ليس إلا قمة الموجة ، وتحقّقه ينذر بالمنحدر .

الثانية : إنك يا صديقتي لا تقوين على التحديق في الأشياء خوفاً من أن يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى . أليس هذا هو السرّ في قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق وألححتِ عليه ؟ إسمعي أبياتكِ :

وما زال وجهُكَ مثل الظلام،له ألف معنى
وقد يعتريهِ جمود الصنَمْ
إذا رفع الليل كفّيه عنّا

هكذا تحاولين أن تهربي من التحديق في

الأشياء ، وتؤثرين أن تستبقي على عينيكِ
غشاوة تحجب عنكِ كل شيء. إنك تكرهين
أن تبلغي القمة لئلاّ يلوح لكِ المنحدر .
وتمقتين أن تصلي إلى نهـــاية الطريق لئلا
تضطري إلى الرجوع . وتحبّين ... ماذا
تحبّين أنتِ ؟ إنك بكلمة واحدة لا تحبين
الوصول إلى أيّ مكان .

الأولى : وما قيمة الوصول إلى مكان ؟ انظري إلى
الوصول الذي حققته في قصيدتي (وجـوه
ومرايا) .

الثانية : (ساخرةً) أوه ... قصيدتك تلك ...
حيث تحطّمين المرآة ؟ اتذكرين لمـــاذا
حطمت المرآة ؟

الأولى : طبعـــاً . لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه .
كان ينبغي أن أنظم قصيدة سعيدة ، وقد
توقعوا جميعاً أن أفعل .

الثانية : وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء).
لماذا ؟ لقد أدركتِ أنكِ وصلتِ . وبدلاً

من أن تسعدي بالقمة ذهبت إلى المرآة تبحثين فيها عما سميته «ذاتك التي لا تلمس». قولي لي حقاً لماذا حطمتِ المرآة ؟ إنك لم تقولي هذا لأحدٍ قط ؟

الأولى : لم أقلْه لأحد ، ولن أقوله الآن .

الثانية : لا داعي لأن تقولي بعد . أولا أعرف كل شيء عنكِ ؟ أنتِ لا تحبين الوصول والتحقق ، وقد أخافك وجهُكِ في المرآة لأن ظل القمة كان منعكساً عليه .

الأولى : وما ظل القمة في اعتباراتك ؟

الثانية : السعادة يا فتاة .

الأولى : أنت لا تفهمينني على كل حال .

الثانية : مهما يكن — لقد ألقيت بالمرآة على الأرض وحطمتها لتهربي من القمة التي تخيفُكِ : الوصول .

الأولى : وهنا كانت السخرية . لقد [illegible] وجهي

منعكساً على كل شظية من شظايا المرآة .
لقد تعدّدتُ وتجزأتْ نفسي . إن هذا هو
ما أكرهه .

الثانية : لأنكِ تكرهين الوصول وحسب . إنك لم
تطيقي أن تصلي مرة ، وعندما تحطمت
المرآة تعدّد وصولُكِ فلم تطيقي الموقف .

الأولى : وماذا كان سيقع لي بعد ذلك؟بعد الوصول؟
الانحدار إلى القرارة .

الثانية : وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة إن لم
تقرري النزول إلى القرارة ؟ كيف تنعمين
بطريق الرواح إن كنتِ لا تطيقين طريق
العودة ؟ قفي إذن حيث أنتِ يا صغيرتي
واغمضي عينيكِ ، أغمضيها بسرعة لئــــلا
يشرق الضــوء – أو يلوح لك القمر وهو
يسخر منك كما تصفينه في (سخرية الرماد).

الأولى : أنتِ تحبين الجـَدَل .

الثانية : ربما . ولكني أجادلظلاً هذهالمرة وبعد فمن

أنتِ ؟ طيف من الماضي. شيء كان ولم يعد له وجود .

الأولى : اني أقوى منك مع ذلك أنظري كيف تتنحين لي وتدعينني أعيش على الورق، بينما تلوذين أنت بالصمت التام .

الثانية : أنت تـَغلبين؟ سرعان ما ستتعبين من المقاومة وتهربين . انك تنسين الأشياء بسرعة، ولا تحبين الثبات على أي شيء . انك تبتدعين الأساليب لكي تغيري أي طريق تسيرين فيه . إن الزمن يدحرك في كل مناسبة .

الأولى : (تنتفض في شبه خوف) الزمن ؟

الثانية : أنظري كيف أفزعتك الكلمة ؟

الأولى : اني لا أخاف الزمن . اني أسأمه وحسب . ولعلي أتعب من مصاحبة أفكاري .

الثانية : ان « قرارة الموجة » أفصح منك في الحديث وأكثر صراحة . أنظري الى قصيدة (لعنة الزمن) انك ترمزين للزمن بالسمكة الميتة التي

كانت طافية على سطح النهر ذات غروب
خلال نصف ساعة متأملة قضاها الصديقان
اللذان تتناول القصيدة قصتهما .

الأولى : طبعاً يكون للزمن تأثيره. أنظري للظروف
التي كانا فيها .

الثانية : ما لهما ؟ لقد أعطيتهما في أول القصيدة
خير ظروف ممكنة :طبيعة ملاطفة،وغروب
وديع يفرش ألوانه في خدمة المحبين اللذين
يحاولان إحياء ماض قد انطوى ويبذل كل
منهما جهداً مخلصاً في هذا الاتجاه وقد نجح
الغروب فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان
ولكنك وأنت ما أنت تدخلت فوضعت
السمكة الميتة في الطريق .

الأولى : (تبتسم) أنا وضعتها ، إنها كانت طافية
على الماء ولم أضعها أنا هناك ؟

الثانية : انها مجرد سمكة ميتة ، وكان في وسعها أن
تظل كذلك لو لم تصري أنت على أن تكبر
وتكبر .

الأولى : « في احتجاج » أنت تتكلمين وحسب . ان السمكة قد بدأت تكبر فجأة .

الثانية : لانهما القيا بالهما إليها يا ساذجة .

الاولى : « في جهل مخلص » لقد قابلاها بالشفقة اولا ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التي نجحا في تحقيقها اتريدين ان تقولي أنهما كانا يستطيعان ان يقاوما الشعور بالانزعاج من ان تطفو سمكة ميتة في تلك اللحظة ؟

الثانية : ان الصديق قد رفض ان يلقي باله إلى السمكة الا تذكرين احتجاجه القويّ على الفتاة في بعض مقاطع القصيدة ؟

الاولى : انه لم يكن خائفاً

الثانية : طبعاً . هكذا بدأ . ولكنه سرعـان ما خاف بتأثير الفتاة التي نسيت كل شيء وعلق بصرها بالسمكة في رعب . اسمعي صرخاتها

. . . . أي طريقْ
يحمينا من هـــذا المخلوق
لنمد . فالدرب يضيق يضيق
والظلمة محكمة الاغلاق

لقد راحت تثير وساوسه ومخـاوفه حتى نجحت في زعزعة ثقته ، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التي مضت في التضخم حتى فصلتْ بينها وسدّت في وجهيهما الأرجاء .
قولي لي ، الستِ أنت التي وضعتِ بينهما هذه « الجثة » ؟

الاولى : لقد كانت الجثة موجودة ، ولا شأن لي أنا بها . كيف كان يمكن الا أخاف ؟

الثانية : ان السمكة في قصيدتك رمز للزمن أي الفراق بين الصديقين أليس كذلك ؟

الاولى : تماماً . إني أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين الأصدقاء يجعل من المستحيل ان يعودوا أصدقاء

الثانية : أغرب عقيدة. ولماذا ؟ اذا سمحتِ بالسؤال

الاولى : لأنهم لا بدّ ان يكونوا قد تغيروا خلال ذلك ونمت في أنفسهم ترسبّات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثاني .

الثانية : ما هذا الزمن لتخافيه إلى هذا الحدّ ؟ ان التغير مهما كان عميقاً لا يبعد الانسان عن انسانيته التي تبقى تجمعه بالآخرين مهما كانت صفتهم . لكأنك تفترضين ان الناس أصلا منفصلون ولا يجمعهم الا الاتصال . أما أنا فأؤمن بأن قيـام الصلات الودية بين أي انسانين في الدنيا محتمل في كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه .

الأولى : رأيك هو الغريب . إني أقضي أشهراً طويلة أحياناً قبل أن أحس بشيء من الانسجام مع انسان أراه كل يوم .

الثانية : يسرني يا أختاه أنك محض ظل الآن، وخير لك أن تعودي الى قوقعـــة التاريخ التي استدعيتك منها وأنا أهيء (قرارة الموجة) للمطبعة .

الأولى : اني لا أطيقكِ . أنتِ الشخص الثاني الذي أسخر منه في قصيدتي .

الثانية : ها ، قصيدتك (الشخص الثاني) . كنت على وشك أن أنساها وهي دليل حي على رعبك من الزمن الذي يلوح فيها شيطاناً خبيثاً .

الأولى : أنت الشخص الثاني .

الثانية : رائع. ان هذا يناسبني وأنا راضية.أتحسبين أن الناس يخلون من ان يكون فيهم شخص ثانٍ .

الأولى : ماذا ينفعك هذا ؟

الثانية : ان في وسعي أن أصافح هذا الشخص الثاني يا صديقتي . انه أقرب إلي منك .

الأولى : ان الشخص الثاني : بارد ، هازىء ، بلا مشاعر .

الثانية : هكذا ترينه لأنكِ الشخص الأول دائماً . لقد أردتِ ألا تتغيري قط، وكأنك صغتِ

نفسك وفق قالب نموذجي . وعندما عدت من الولايات المتحدة عام ١٩٥١ تخيلت أن انساناً جديداً قد ولد وترعرع ، في داخل كل انسان عرفته في أرض الوطن . قولي لي هذا وحسب : لماذا لم تفترضي ان انساناً جديداً قد ولد فيكِ أنت كذلك خلال أسفارك في أقطار الدنيا ؟ لماذا لم يخطر لك أنك أنت الشخص الثاني ؟

الأولى : معاذ الله . انني لست الشخص الثاني وكفى.

الثانية : ألم أقل لك انك تلقين بالك إلى الزمن أكثر مما ينبغي ؟ أليس الشخص الثاني هو عين السمكة الميتة ؟

الأولى : هو نفسه .

الثانية : هل تصافحينني ؟

الأولى : اني لا أحبكِ .

الثانية : شأنك إذن .

الأولى : لقد آن لي أن أعود إلى قوقعتي كما تسمينها
ولا أظننا سنلتقي ثانية .

الثانية : أما أنا فإن نفسي الجديدة تنتظرني في مكان ما
من المستقبل القريب . وسأذهب للقائها .

الأولى : أرجو ألا يطول بحثك عنها .

الثانية : مهما طال، فلا بد لي من الوصول،وسأجدها
في النهاية وأصافحها . وداعاً يا رفيقة .

الأولى : (لا ترد ، تختفي وراء الضباب) .

٥٧/٢/٢١

نازك الملائكة

اول الطريق

لنلتقِ ، فالرّيـــح تعصف والُمنحنى لا يعي
وغمغمـــةُ الهاجسِ المتهدّدِ في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته ُخطاي السكون
غريبٌ مخيف المعابرِ يُشبه لون المَنُونْ
أحِسّ السراب
وراء الهضـــابْ
وألمس في لونـــه مصرعي
وأنت بعيدٌ وراء الظنون

لنلتقِ ؛ ... إني أخاف المساء الغريقَ الضياءْ
أرى ماردا من أسايَ الممزّقِ يطوي الفضاء
يُنقّل أقدامه السُودَ بين عيُون السنا
ويُطفئها ، عدْت أخشى أذاه على نجمنا

فعــين الإله
غفتْ عن أذاهْ

وقد يستعــير لهيبَ البكاءْ
ويُغمدُهُ في ابتساماتنـــا

●

لنلتقِ .. ما أطول الإنتظارَ على الخائفينْ
لنلتقِ ، تحجُبُنا فكرةٌ عن عيون السنينْ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيــقْ
تمــدّ يديَهــا لترشدنا لمكانٍ سحيقْ

وراءَ الجراحْ
ولسْعِ الرّياحْ

بعيداً وراء كهوفِ الأنين
هنالكَ يبدأ كلّ طريقْ

•

هنالكَ تبتدىء الذكريات سجلا جديد
وتبدو حدودُ طريقٍ يشقّ الفضاء المديدْ
إلى موضعٍ في المدى المرتمي حجبته الظلالْ
وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيالْ

سنعبُر فيهْ
إلى ألفِ تيهْ

سُدًى يتحرّى الزمان البليد

ُخطانا فنحن وراء المُحــال

●

سنحيا معاً في عوالمَ حـافلةٍ بالوعودْ
ونملكُ ليلاً يبيع النّعاسَ وعِطْرَ الورود
سينبجس المـاءُ حيث لمسْنا أديمَ الثرَى
ويرقُص حول ُخطانا بأجنحةٍ من شذَى

سنمحو الزّمانْ
وننسى المكانْ

هناك ونُقْسِمُ ألاّ نعـودْ
إلى أمْسِنا المنطوي .

سرْ بنـا !

٨ / ٤ / ١٩٤٨

اغنية

اسكُني يا أغاني الأملْ
فالهَوَى قد رحلْ
وانطوَى سرّه في مُقَلْ
رُصِفتْ بالمَلَلْ

* * *

أينَ أينَ ترى تذهبينْ
في سكون السنينْ
والطريقُ الذي تسْلكينْ
صامتٌ لا يُبينْ

* * *

ولمن تخلقــينَ العُطورْ
والليـالي تدورْ ؟
ولمن دفـؤكِ المسْحورْ ؟
للدجى ؟ للقبورْ ؟

* * *

ولمنْ أنتِ والمُنْـشدونْ
رحلوا في سكوَنْ؟
والأسى ، يا أغـاني ، ديونْ
دفعتْها غيونْ

* * *

كم ملأنا بــكِ الأقداحْ
وسقيْنا الرّيـاحْ
كم منحنــاكِ للأشباحْ
في رضاً وسَماحْ

* * *

فابحثي في شِعاب الوجودْ
عن هوَانا الشَرودْ
كفّنا ندِيَتْ بالوعودْ
وهو ليس يعودْ

دعوة إلى الأحلام

تعـــالَ لنحلُـمَ ، إنّ المساءَ الجميلَ دنا
ولينُ الدُّجى وخدودُ النُـجومِ تُنادِي بنا
تعالَ نصيدُ الرؤى ونعُـدّ خُيوطَ السّنا
ونُشْهِدُ منحَـدَراتِ الرمال على حبّـنا

* * *

سنمشي معاً فوق صدْر جزيرتنا الساهده
ونُبـْقي على الرملِ آثارَ أقدامنا الشارده
ويأتي الصبـــاحُ فيُـلقي بأندائه البارده
وينْـبتُ حيثُ حلُـمْـنا ولو وردةً واحده

* * *

سنحلُمُ أنّا صعَدنا نزود جبالَ القمرْ
ونمرحُ في عُزْلةِ اللانهايةِ واللاَبشَرْ
بعيداً ، بعيداً ، إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكَرْ
إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكَرْ

* * *

سنحلُمُ أنّا استَحَلْنا صبيَّيْنِ فوقَ التلالْ
بريئينِ نركضُ فوق الصُخورِ ونرْعى الجمال
شريدَينِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخ الخيال
وحينَ ننام نمرّغ أجسامنا في الرمالْ

* * *

سنحلُم أنّا نسير الى الأمسِ لا للغدِ
وأنّا وَصلْنا إلى بابلِ ذاتَ فجرِ ندِ
حبيبَينِ نحْمِل عهدَ هوانا إلى المَعبَد
يُباركُنا كاهنٌ بابليٌّ تقيُّ اليَدِ

١٩٤٨/٩/٢٨

الشهيد

في دجى الليلِ العميقْ
رأسُه النَشْوان ألقَوْه هشيما
وأراقوا دمَه الصافيْ الكريما
فوقَ أحجارِ الطريقْ

* * *

وعقـابيلُ الجريمـــه
حمّلوا أعباءها ظهْرَ العمودِ
ثم ألقَوْه طعـــاماً للحـودِ
ومَتاعـــاً وغنيمـــه

* * *

وصباحاً دفنوهُ
وأهالوا حقدَهم فوقَ ثرَاهُ
عارُهمُ ظَنّوه لن يُبقى شذاهُ
ثم ساروا ونَسُوهُ

* * *

والليالي في سُرَاها
شَهِدَتْ ما كان من جُهْدٍ ثقيلِ
كلّما غطَّوْا على ذكرى القتيل
يتحدّاهم شَذَاها

* * *

حَسِبوا الإعصارَ يُلوى
إن تحامَوْه بسِتْرٍ أو جدارِ
ورأوا أن يُطفئوا ضوء النهار
غير أنّ المجد أقوى

* * *

ومن القبرِ المعطّر
لم يَزَل منبعثاً صوتُ الشهيد
طيفه أثبت من جيشٍ عنيد
جاثمٍ لا يتقهقر

* * *

وسيبقى في ارتعاشِ
في أغانينا وفي صَبر النخيلِ
في خُطَى أغنامنا في كلّ ميل
من أراضينا العطاشِ

* * *

فلْيُجنّوا إن أرادوا
دونهم .. وليقتلوه ألف قتله
فغداً تبعثُه أمواه دجْله
وقرانا والحصاد

* * *

يا لَحَمْقى أغبيـــاءْ
مَنحوه حـين أردوه شهيدا
ألف عُمْـر ، وشباباً ، وخلودا ،
وجمـالاً ، ونَقَـاءْ

* * *

إنّـه عـــادَ نبيّـا
وهو قد أصبح ناراً تتحرّقْ
في أمانينـــا وثاراً يتشوّقْ
وغــداً يبعث حيا

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كان المغرب لونَ ذبيحِ
والأفْق كآبـــة مجروحِ
والأشباحُ الغامضة اللون تجوسُ الظلمـةَ في الآفاقِ
والنهر ظنونٌ سوداءُ
والريـحُ مراوحُ نكراءُ
والضفّــة أرضٌ جرداءُ
تمضغها الظلمة في استغراقْ
كانت خطوات الظلمة ترطم جو الشاطىء في استغراق
والصمت يفكر في الأحداق

* * *

كنّـا نتبـع نعش الضوء
ونراقبُ خطْـوَ اللاشيءِ
نينِ يلوحُ على استغراقها المُبْهم لونُ العُشّاق
كنّـا نرقُـب كاسَ الأفقِ
ترضع من أوشال الشَفَقِ
وتصبُّ الحُمرةَ في قلق
في سيقانٍ صُفْرِ الأوراقْ
سيقان عرّتهـــا الريح من الألوان ، من الأوراق
ومضت تبكيها في إشفاق

* * *

كنـا كالأمواج الخرْسِ
في عينينا لون الشمسِ
وجهَيْنا الوقِرَين خشوعُ المغرب والأبد الخلاق
كنا نهمس كالأنـــداءِ

كصدى مجداف في المـاء
لم تقطعْ صمت الظلمـــاء
بمدامـع ذكرىً أو أشواق
كنّا قد كفّنّا الماضي ودفنّا اللهفة والأشواق
في الظلمة في صمت الأعماق
* * *
وأراقَ المغربُ ألوانـه
فوق الأشياء الوسنانـــه
لم يَبق بناءٌ لم تحمّر أعاليه ، لم يبقَ زقـــاق
حتى في صُفرة خدينـا
حتى في وجـة قلبينـــا
أحسسنا اليقظـةَ واللونا
حتى في دمنا ، في الأعراق
أحسسنا شيئاً كالثورة في الدم ، في الأعين ، في الأعراق
شيئاً كاللهفة ، كالأشواق
* * *

حتى طرق الماضي الخربه
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحةَ الصمت يغازلها ضوءُ القمر المشتاق
لا فيها أشباحٍ حيرى
تتبعنا غاضبةً غيرى
ذات عيون تقطر غدرا
في الليل ، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال ، ولا أنفاق
لا شيء سوى القَمَر البراق

وَهجسنا شيئاً منفعلا
في قلبينا ، شيئاً ثملا
يلهثُ عاطفة بعد جمود سنين مرت في استغراق
وانبجست أشواق وسنى
من أعيننا لوناً .. لونا ..

وتحرّك في دمنـا معنى
ناريّ الشوق َصدٍ تواقْ
وسدىً حاولنا أن نسكتَه فهو صدٍ مرحٌ ، تواق
وسدىً نطمِرهُ في الأعماق

* * *

ووقفنا في الظلمة نحـلم
بالموج وبالليل المبهم
ونحوك من الأنجم والرؤيا والأمواج لنـا أطواق
ونجوب العالمَ في عربات
صنعتها أذرُعُ جنيّات
من عطر الأزهار الخجلات
من أسلاك الضوءِ الألاّقْ
في قعْر النهر على أرضٍ لم يلمسها القمر الألاّق
وتناست مولدها الآفاقْ

* * *

لكنَّا إذ كنّـا نحلُمْ
أحسسنا شبه صدىً مُبهم
في الأمواج الداكنة الصمت ، سمعنا شبه صدىً خفاق
« الجنيّـاتُ المنتقبـاتْ
يصعدن إلينا في عربات »
وأجاب رفيقي: لا ، هيهات
ذلك صوت الموج الرقراق
الريح الحالمة البيضـــاء تمرُّ على الموج الرقراق
وتخادع أسماع العشاق »

* * *

لأياً وتبينّـا الحركه
ثمّـة وإذا جثّـة سمكـه
طافية فوق الموجـة ميـّتة والشاطىء في إشفاقْ
وصرختُ:رفيقي! اين نسير؟
لِنعد ، فالجثة همس نـذير

أرسلها عملاقٌ شرير
إنذارَ أسىً ودليل فراق
فأجاب رفيقي : « نحن هنا يحرسنا الحبُّ فأي فراق ؟ »
وغرقنا في صمت براق

* * *

ومشينا لكنّ الحركه
ظلت تتبعنا ، والسمكه
تكبُرُ تكبرُ حتى عادت في حضن الموجة كالعملاقْ
وصرخت«رفيقي أي طريقْ
يحمينا من هذا المخلوقْ ؟
لنعد ، فالدرب يضيق يضيق
والظلمةُ محكمة الاغلاق»
فأجاب رفيقي مرتعشاً ، والظلمة محكمة الإغلاق :
« نهرُبُ ، لن تسلمنا الآفاق »

* * *

وبقينـــا نهرب والسمكه
تتبع أرجلنـا المرتبكه
تلك الأحداقُ وأين المهرب من لعنة تلك الأحداقْ ؟

وزعانفها السود الشوهاء
سدت في وجهينا الأرجاءْ
وأراقت في الجوّ الوُضاءْ
سحباً سوداء ولون محاقْ
حتى وجه القمر السحري غشاه أسىً وظـــلام مَحاقْ
وتلاشى مبسمه البرّاقْ

* * *

ورجعنا نسحب قلبينـــا
ونجرُّ كـآبـةَ ظلينـا
تتبعنـــا الأحداق النهمات بنظرةِ هزء ليس تطاق

حتى الأغصان المشتبكه
عادت تشبه عين السمكه
وتروع خطانا المرتبكه
والأنجم عادتْ كالأحداقْ

والغدُ والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحداق
رسبت وتوارت في الأعماق

١٩٥٠/٨/١٢

الى العام الجديد

يا عام لا تقرب مساكننا فنحن هنا طيوف
من عالم الأشباح ، يُنكرُنا البشر
ويفر منّا الليل والماضي ويجهلنا القدر
ونعيش أشباحاً تطوفْ
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم ، لا أشواق تُشرق ، لا مُنى
آفاق أعيننا رماد
تلك البحيرات الرواكدُ في الوجوه الصامته

ولنا الجباه الساكته
لا نبضَ فيها لا اتّـقاد
نحن العراة من الشعور ، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان الى العدمْ
الجاهلون أسى الندمْ
نحن الذين نعيش في ترف القصورْ
ونَظَـلُّ ينقصنا الشعور .
لا ذكرياتْ ،
نحيا ولا تدري الحياة ،
نحيا ولا نشكو ، ونجهلُ ما البكاءْ .
ما الموت ، ما الميلاد ، ما معنى السماء .

* * *

يا عامُ سرْ ، هو ذا الطريقْ
يلوى خطاكَ ، سدىً نؤمل أن تُفيقْ

نحن الذين لهم عروق من قصبْ
بيضاءُ أو خضراء نحن بلا شعورْ .
الحزن نجهله ونجهل ما الغضب
ما قولُهم إنّ الضمائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبور
ونوه لو عرف الزمانْ
يوماً الينا دربه كالآخرين
لو اننا كنا نؤرخ بالسنين ،
لو اننا كنا نقيّد بالمكان
لو أن أبواب القصور الشاهقات
كانت تجيءُ قلوبَنا بسوى الهواء ،
لو اننا كنا نسير مع الحياه
نمشي ، نحس ، نرى ، ننام
وينالنا ثلج الشتاءْ

ويلفُّ جبهتَنا الظلام
أواه لو كنا نحسّ كما يحس الآخرونْ
وتنالنا الأسقام أحياناً وينهشنا الألم
لو أنّ ذكرىً أو رجاء أو ندم
يوماً تسدُّ على بلادتنا السبيلْ
لو اننا نخشى الجنونْ
ويثيرُ وحشتَنا السكون
لو أن راحتنا يعكّرها رحيل
أو صدمة أو حزن حب مستحيل .
أواه لو كنا نموت كما يموت الآخرونْ

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ أذن في الطريق الطويلْ
تُواجهُنا الأوجُهُ الجامده
يواجهنا كل شيء رأيناه منذ قليل
كما كان في ركدة بارده
نعود إذن ، لا ضياء ينير
لأعيننا الخامده
نسير ونسحب أشلاء حُلْم صغير
دفنّاه بعد شباب قصيرْ

* * *

نعودُ وهـذا طريق الإياب
يُمدّ مرارتَـه ورتابةَ أسراره
نسير ويبرُزُ بابْ
هنا ، وجدار هناك يسدّ الطريق
باحجارِهِ
وثَمّ سياجٌ عتيق ،
تهدّم عند النَهَرْ .
وعابرةٌ ، دون معنى تمُـدّ البصر
إلى حيث لا نعلمُ ،
تمرّ بنا ، لا تُفكر فينا
وننسى ونجهل أنّـا نسينا
ولا نفهم .

* * *

نعود إذن في طريق الإياب المرير

وكنا قطعناهُ منذ زمانٍ قصير
وكنا نسميه ، دون ارتياب ، طريق الرواحْ
ونعبره في ارتياح :
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكادُ يعانقُنا ويصبّ علينا غدا
دقائقُهُ نسجتها المنى
وكنا نسميه ، دون ارتياب ،طريقَ الأملْ
فما لشذاه أفَلْ
وفي لحظة عاد يُدعى طريقَ الملل ؟
وعدنا نسيرُ ويسلمنا المنحنى
إلى آخرٍ ضيق
ويدفعنا كلُّ شيء نراه
إلى ياسنا المطبق
ونشعُرُ أنّا ضَجِرنا ضجرنا وعفنا الحياه

وعدنا نمج الحياه .

* * *

لماذا نعودْ ؟
أليس هناك مكان وراء الوجودْ
نظل إليه نسير
ولا نستطيع الوصول ؟
مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريق طويل
يظلّ يسير يسيرْ
ولا ينتهي ، ليس منه قفولْ
هنالكَ لا يتكرر مشهد هذا الجدار
ولا شكل هذا الرواقْ
ولا يرسل النهر في مللٍ نغمةً لا تطاق
نُصيخُ لها في احتقارْ
لأن الطريق طريق الرجوعْ

لأنّا بلغنا نهايةَ درب الرّواحْ
وأصبح لا بدّ من أن نذوقَ الجراح
ونحنُ نسير ونقطع دربَ الرجوعْ
ونذرعه بالدموع

* * *

ألا بد من أن نؤوبْ
وتدفعنا خلجاتُ المرارة دون حُلُم؟
ألم ينطفىء كلّ حلم كَذوب
وها نحن نعلم أنّا بلغنا القممْ ؟
وسرْنا على أوجها مرة، ثم حان الإيابْ
وعُدنا نجرّ قيود الألمْ
وندرك كيف تغيّر حتى التراب
تغيّر حتّى الطريقْ
وأصبح رفضُنا في ملال وضيق

وعاد يصُبُّ علينا جموداً عميق .

* * *

وعُدْنا نسير
نجُرّ أحاسيسنا الراكده ،
وتصدمنا الأوجه الجامده .
نسير ، نسيرْ ،
نحدّق في أي شيء نراه ،
بهذا السياج المهدم أو بسواه
نحدّق ، لا رغبة في النظرْ
ولكن .. لأن لنا أعينا .
نعلّق ، لا شوقَ يُغري بنا
ولكن لأنّا سئمنا السكونَ المخيفْ
ووقع خطانا الرتيبات فوقَ الرصيفْ
سئمنا فأينَ المقرْ ؟

ولا بدّ من أن نعودْ
فليس هناك مكانٌ وراء الوجودْ
نظلّ إليه نسيرْ
ولا نستطيع الوصولْ .

١٩٤٩/٣/١٠

الأعداء

نحن إذنْ أعـداءْ

من عالمٍ لا يفهم الأشواق
ولا يعي أغنيـةَ الأحداقْ
أعينُنا لا تفهم النجوى
الحبّ فيها سيرة تُروى
كان لهـا أمـسُ
وضمّـهُ رمسُ

من تربة البغضاءْ

* * *

نحن إذنْ أعداءْ

تفْصِلنا عوالمٌ شاسعه
حدودها المجهولة الضائعه
تبُثُّ في دروبنا المستحيل
فنذرع العُمْرَ الجديب الطويل

بحثاً عن الباب
وحبُّنا الخابي

يغري بنا الصحراءْ

نحنُ إذنْ أعداءْ

ترقد في أعماقنا الذكرى
مشلولةً ، ضائعة ، حيرى
المقت يُلقي فوقها ظلاًّ
والحِقد لم يبق لها شكلا

ولعنـــة الأيّامْ
خلفت الأحـلام

فوقَ الثرى أشلاءْ

* * *

نحن إذنْ أعداءْ

وإن تكن تجمعُنا أحلام
من أمسنا أودت بها الأيّـام
وإن تكن قد خلّـفت أشياءْ
في المُقَـل الفارغة الجدْباء

في الأوجُـه الذاويه
كنجمةٍ خابيـــه

تغرُب في الظلماء

* * *

نحن إذنْ أعداءْ

وإن طغت في دمنا الأشواقْ
ودبّت اليقْظَةُ في الأرماقْ
وبيننا عوالمٌ شتى
نُدرِكُها كما يعي الموتى

تحت التراب المَهين
وَقْعَ خطى العابرينْ

وضجّة الأحياءْ

١٩٤٩/١١/٢٦

حصاد المصادفات

حينما يرقُد الهوى ميّتاً فو
ق تراب الأيّام والأعوامِ
وتعود الذكرى صدىً جامدَ الوَقْ
ـعِ لعهدٍ مغلّفٍ بالظلامِ
وتموتُ الألوانُ في المُقَل الجدْ
باءِ في حَسْرة وفي استسلامِ
ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجدْ
بِ وتطغى الفوْضى على الأنغامِ

* * *

حينما يُصبح الهوى قصّةً كا
نت ومرّتْ بالكونِ منذُ عصورِ

عشّشَ الصمتُ في خرائبها النكـ
راءِ خلفَ الخيالِ والتفكيرِ

وطوَى نبْضَها انصبابُ البرودا
ـمُرّ في كلّ شهْقةٍ وشعورِ

وخمود الفراغ لفّ صداها
بجمود الموْتى وصمتِ القبورِ

* * *

وتُحسّ العيونُ أنّ عيونا
ماتَ فيها المعنى وعادتْ رمادا

لم تعُدْ في أهدابها خلْجةٌ تسْـ
تصرخ الشوقَ والصدى والسُهادا

ضاعَ في جوِّها النداءُ وردَّتْ
آهةٌ في السكونِ تنْعَى المنادَى
وارتمت في أنحائها رَغَباتُ الـ
أمسِ والذكرياتُ عادتْ جَمَادا

* * *

عندما ينطوي النداءُ وتُمْحى
كلماتُ النجوى وتُطْوى الأماني
وتُحسُّ القلوبُ أنَّ قلوباً
بَرَدت في أصابعِ النسيانِ
عنكبوت الجمودِ شبَّك فيها
عُشَّهُ والسكونُ لفَّ الأغاني
وغُبارُ السنينِ جرَّ على الأشـ
واقِ سِتْرَ اللالونِ واللاكيانِ

* * *

ربّما يلتقي هنالك طيفـــا
نِ من الأمسِ في شعابِ طريقِ
يعبُرانِ الحياةَ قد ضيّعا مـ
ـلكةَ الحبّ في الزمانِ السحيقِ
في برودٍ يمـــر كلٌ على الآ
خرِ خابي العيونِ ميْتَ العُروقِ
لا شُعورٌ يلوح في أعين تَمّـ
ـاءَ غرْقى في لُجٍّ صمتٍ عميقِ

* * *

من حصّاد المُصادفاتِ يمـرّا
نِ كنجمينِ في امتداد الفضاءِ
ربّما لخّصا غرامهما المـــا
ضي بشبْهِ ابتسامةٍ جـدْباءِ

ربّما ألقيا التحيّةَ لا عُمْـ
ـقَ لها ، في بُرودةِ الغُـرَباءِ
ثمّ سارا كأنّما لم تكنْ يو
ماً حياةٌ عطْشى وراءَ الدّماءِ

١٣/١٠/١٩٤٩

النائمة في الشارع

فِي الكرّادةِ ، فِي ليلة أمطـــار ورياحْ
والظلمةُ سقفٌ مُـدّ وسترٌ ليس يُزَاح

اِنتصفَ الليــــل وملء الظلمةِ امطـارُ
وسكونٌ رطبٌ يصرخُ فيــــه الإعصارُ

الشارعُ مهجورٌ تُعولُ فيه الريـــحُ
تتوجّـــــع أعمدةٌ وتنـــوحُ مصابيحُ

والحارس يَعبرُ جَهْماً مرتعدَ الُخطُواتْ
يكشِفُهُ البرق وتحجُبُ هيكلَهُ الظُلُماتْ

ليــــل يجرفُهُ السيلُ وينهَشُهُ البَرْدُ
تنتفِض الظّلْمةُ فيـــه ويرتعشُ الرعدُ

* * *

في مُنعَطَفِ الشارعِ ، في ركنٍ مقرورِ
حَرَسَتْ ظُلمتَـــه شرفةُ بيتٍ مهجورِ

كان البرق يمرُّ ويكشفُ جسمَ صبيه
رقدتْ يلسَعُها سوطُ الريحِ الشتويه

الإحدَى عشْرةَ ناطقةٌ في خدّيْــها
في رقّةِ هيكلهـــا وبراءةِ عينيهـــا

رَقَدَتْ فوقَ رخامِ الأرصفةِ الثلجيّه
تُعوِل حول كَرَاهـــا ريحٌ تشرينيّه

ضَمّتْ كفّيْها في جَزَعٍ في إعياءِ
وتوسّدتِ الأرضَ الرطبةَ دون غطاءِ

لا تغفو ، لا تَغْفُلُ عن إعوالِ الرّعدِ
والحمّى تُلْهبُ هيكلَها ويدُ السّهْدِ

ظمأى ، ظمأى للنومِ ولكن لا نوما
ماذا تنسى ؟ ألبردُ ؟ الجوعُ ؟ أمِ الحمّى ؟

ألمٌ يبقَى ينهشُ ، لا يرحَمُ مِخْلبُهُ
السّهْدُ يضاعفُه والحمّى تُلْهبُهُ

نارُ الحمّى تُلْهِمُها صوراً وحشيّه
أشباحٌ تركُضُ ، صيحاتٌ شيطانيّه

عبثاً تُخْفي عينَيها وسُدًى لا تَنْظُرْ
الظلمة لا تدري ، والحمّى لا تشعُرْ

وتَظَلُّ الطفلةُ راعشةً حتى الفجْرِ
حتى يخبو الإعصارُ ولا أحدٌ يدري

* * *

أيّامُ طفولتهـــا مرتْ في الأحزانـِ
تشريدٌ ، جوعٌ ، أعوامٌ من حِرْمانـِ

إحدَى عشرةَ كانتْ حزْناً لا ينطفىءُ
والطفلةُ جـــوعٌ أزلي ، تَعَبٌ ، ظمَأُ

ولمن تشكو؟ لا أحدٌ يُنصِتُ أو يُعْنى
البشريّة لفْظٌ لا يسكُنُه معـــنى

والناس قناعٌ مصطنعُ اللونـِ كَذُوبُ
خلفَ وداعتِـهِ اختبـــأ الحقْد المشبوبُ

والمجتمع البَشَري صريعُ رؤىً وكؤوسْ
والرحمة تبقى لفْظاً يُقْرأ في القاموسْ

ونيامٌ في الشارعِ يقْوْنَ بـــلا مأوَى
لا حُمّـى تشفَعُ عند الناسِ ولا شكوى

هذا الظُلْمُ المتوحّشُ باسمِ المدنيّه ،
باسم الإحساسِ ، فواَخجَلَ الإنسانيّه

مرثية لامرأة لا قيمة لها

« صور من زقاق بغدادي »

ذهبتْ ولم يَشحَبْ لها خدٌّ ولم ترجفْ شفاهُ
لم تَسْمع الأبوابُ قصةَ موتها تُرْوَى وتُرْوَى
لم ترتفعْ أستار نافذةٍ تسيلُ أسىً وشجوا
لتتابعَ التابوت بالتحديقِ حتى لا تراه
إلا بقيّةَ هيكلٍ في الدربِ تُرْعِشُه الذِكَرْ
نبأ تعثّر في الدروب فلم يجدْ مأوىً صداهُ
فأوَى إلى النسيانِ في بعضِ الُحفَرْ

يرثي كآبتَه القَمَرْ .

* * *

والليلُ أسلم نفسَهُ دون اهتمامٍ ، للصَباحْ
وأتى الضياءُ بصوتِ بائعةِ الحليبِ وبالصيامْ ،
بمُوَاءِ قطٍّ جائعٍ لم تَبْقَ منه سوى عظامْ ،
بمُشاجراتِ البائعين ، وبالمرارةِ والكفاحْ ،
بتراشُقِ الصبيانِ بالأحجارِ في عُرْضِ الطريقْ ،
بمساربِ الماء الملوّثِ في الأزقّةِ ، بالرياحْ ،
تلهو بأبوابِ السطوح بلا رفيقْ
في شبهِ نسيانٍ عميقْ .

١٩٥٢/٧/٩

الأرض المعجبة

صَوّروها جنَّةً سحريَّةً
من رحيقٍ وورودٍ شفقيَّه
وأراقوا في رباها صُوَراً
من حنانٍ ، وتسابيحَ نقيَّه
ثم قالوا إن فيها بلْسَماً
هيّأتْهُ لجراحِ البشريَّه
وأردناها فلم نَظْفَرْ بها
ورَجعْنا لأمانينا الشقيَّه

* * *

الملايــينُ عُيونٌ ظمئتْ
عز أن تملكَ سلوىً واحده
والملايين شفاهٌ عطِشَت
ليس تُرْويها الوعودُ البارده
ذلك المشْعَلُ هاتوهُ فقد
أكلَ الليلُ العيونَ الساهده
وأمرّوه على أشباحنــــا
لتَـرَوْا لونَ دمانا الجامده

* * *

عُمْرُنا كان طريقاً مُعْتِماً
فانيروهُ إلى القبْرِ أخيرا
وصِبانا كان جُرْحاً ساهداً
يشربُ الملْحَ ويقتات السعيرا
وأغانينا رَصَفناها أسىً

وسقفْناها غَيوماً وهجيرا
وَهوَانا والمُنَى بعنـــاهما
واشترَيْنا بهما حُزناً كثيرا

* * *

أين ذاكَ النبْعُ؟ في أيِّ ضحى
سنُلاقيهِ؟ وفي أيةِ ليله؟
لم نزلْ نَخْفِر في أعمارنا
ظُلماتٍ ليس فيها طيفُ شُعْله
وزحفْنا وجرَرْنا معنا
ألفَ قيدٍ في الأكفّ المضمحلّه
ووجدْنا دربَنـــا مقبرةً
ما لنا فيها سوى الموتَى أدلّه

* * *

حدثونا عن رخـــاءٍ ناعمٍ

فوجدْنا دربَنا جُوعاً وعُرْيا
وسَمِعْنا عن نقاءٍ وشذىً
فرأينا حولنا قبحاً وخزْيا
ورتعْنا في شقاءٍ قاتلٍ
وكفانا بُؤسُنا شِبعاً ورِيّا
وعرِينا وكسوْنا غيْرَنا
وكسبْنا القيدَ والدمعَ السخيّا

* * *

أينَ تلكَ الأرضُ؟ مَن حجّبها؟
نحن شِدْناها برنّاتِ الفؤوسِ
وأجعْنا في الدجى أطفالنا
لنغذّيها وجُدْنا بالنفوسِ
وزرعْنا وحصَدْنا ثُمْرَنا

وجنينا ظلمةَ الدهرِ العبوسِ
وسقَيْنا أرضَها من دمنا
ومنحناها لأربابِ الكؤوسِ

* * *

أين تلكَ الأرضُ؟ هل حان لنا
أن نراها أم ستبقى مُغلَقه؟
لم تَزَلْ فينا حنيناً صامتاً
وابتهالاً في شفاهٍ مُطبَقه
والملايينُ حنينٌ جارفٌ
يتلظّى ورؤىً محترقه
افتحوا البابَ فقد صاح بنا
صوتُ آلافِ الضحايا المُرهَقه

* * *

صوتُهُم خشَّنَهُ البؤسُ فما
فيه دِفءٌ أو بريقٌ أو لُيونه
وحشاهُ الدمْعُ مِلْحاً قاسياً
وشكاياتٍ وجوعاً وخُشونه
صوتُهُم خالطَهُ الصبرُ وكم
قد صَبرْنا في شُحوبٍ وسكينه
لعنةُ الحسِّ علينا إن يكنْ
غَدُنا كالأمسِ أقياداً مُهينه!

١٩٥٣/٥/١١

لنفترق

لنفترقِ الآنَ ما دامَ في مُقلتَينا بريقْ
وما دام في قعْر كاسي وكاسكَ بعضُ الرحيقْ
فعمّا قليلٍ يُطـــلُّ الصباح ويخبو القمرْ
ونلمح في الضوء ما رسمتْـهُ أكُفُّ الضجَـرْ
على جبهتَـيْـنا
وفي شفتيْـنا
ونُدركُ أنْ الشعورَ الرقيقْ
مضى ساخراً وطواهُ القـــدَرْ

* * *

لنفترقِ الآنَ ، ما زالَ في شفتينا نَغَمْ
تكبّرَ أن يكشفَ السر فاختار صمتَ العدَمْ
وما زال في قطراتِ الندى شفةٌ تتغنّى
وما زال وجهُكَ مثلَ الظلامِ له ألف معنى
كستْه الظلالْ
جمالَ المُحالْ

وقد يعتريهِ جُمُود الصَّنَمْ
إذا رفع الليلُ كفيّه عنّا

* * *

لنفترقِ الآنَ ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلْ
رهيباً أجشّ الرنينِ يذكّرني بالرحيلْ
وأشعر كفّيكَ ترتعشانِ كأنّكَ تُخفي
شعورَكَ مثلي وتحبسُ صرخةَ حُزْنٍ وخوفٍ .

لمَ الإرتجافْ ؟
وفيمَ نخافْ ؟
ألسْنا سنُدْرك عمّا قليل
بأن الغرامَ غمامة صيفِ

* * *

لنفترقِ الآنَ ، كالغُربَاء ، وننسى الشّعورْ
وفي الغد يُشْرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصور
وفيم التذكّر ؟ هل كانَ غيرُ رؤىً عابره
أطافتْ هنا برفيقَيْنِ في ساعةٍ غابره ؟
وغيرُ مساءْ
طواه الفَناءْ
وأبقى صداهُ وبعضَ سطورْ
من الشعرِ في شفتَيْ شاعره ؟

* * *

لنفترقِ الآنَ . أشعر بالبردِ والخوفِ . دعْنا
نغادرُ هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبيْنِ نسْحبُ عبءَ ادّكاراتِنا الباهته
وحيدينِ نحملُ أصداءَ قصتنا المـــائته
لبعض القبورْ
وراء العصورْ

هنالكَ لا يعرفُ الدهرُ عنّــا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخرية الرماد

لو رَجعْنا غــداً وأراد الزمانْ
أنْ يرانا كما كنّا
والتقَيْنا فهــل ينبضُ الميّتانْ
خلفَ ألواح صَدْرَيْنا

* * *

لو رَجَعْنا غداً ورآنا القَمرْ
بعــد غيبتنا الكبرى

ورأى كيف نمنح ما قد غَبَرْ
ومضى فُرْصةً أخرى

* * *

لو رَجعْنا غداً ورأتْنا النجومْ
نجمَع الذكَرَ الذابله
نستعيد الهَوَى ونظَلّ نحومْ
حولَ أحلامِنا الراحله

* * *

لو رآنا الطريقُ نشُقّ السكونْ
بتعابيرنا الجامده
ويُخادعُنا ما طوتْه المَنُونْ
من رغائبنا الخامده

* * *

وَنُزيل رَمَادَ شُهورٍ طِــوالْ
عن هَوىً لقّـهُ المستحيلْ
فوقَ أشلائِـــه ذكرياتٌ ثقالْ
من دموعي وحُزْني الطويلْ

* * *

ســتراانا النُجومُ نسيرُ مَعــا
يخدَع الليــلَ مرآنا
خلفَ أهــدابنا شغَفٌ مُدَّعَى
ساتِرٌ سرّ ما كانا

* * *

وسيسخَـر من شبحَيْنا القَمَـرْ
وهو يرقُبُ كيفَ نسيرْ

كيف ننشر ما قد طواه القَدَرْ
واحتواه سكونُ المصيرْ

* * *

وهناك نرى جثث الأشـــواقْ
في خمودٍ طويلٍ عميقْ
ويُخادعنا لونُهـــا البَرّاقْ
فنؤمّل أن تستفيقْ

* * *

ونَرَى ركبَ أيّامنا المـــاضيه
لم يزلْ لاهثَ الأنفاسْ
فنمُدُّ لـــه الأذرعَ الذاويـــه
علّه يوقظ الإحساسْ

* * *

ويرانا الدُّجى راكعَيْن على
تُرْبةِ المَرْقد الجافيه
نَلْمسُ الجُثثَ المُرْسِلاتِ إلى
الأفقِ أعينَها الخابيه

* * *

ويرانا الدجَى فجْأة في عَيَاءْ
في أسىً غامقٍ شاردِ
واقفَيْنِ نُحسُّ اصطدام الرجاء
بثَرَى الواقعِ الباردِ

* * *

ويَمُرُّ على جبهتَيْنا المَسَاءْ
بارداً مثلَ لوْحِ جليدْ

وتعود كواكبُه البيضاء
أعيناً طفحتْ بالوعيدْ

* * *

ويشيّعُنا القَمَرُ الهادئ
ببرودٍ مُثيرٍ غريبْ
ويُلاحقُنا وجهُه الهازىءُ
حيث سرْنا بصمتٍ مُريبْ

* * *

ونُحسّ أخيراً بأنّ القضاءْ
قد طَوَى حبّنا الآفلا
وبَقِينا حَيارَى هُنا غُرَباءْ
نذرَع العُمُرَ القاحلا

* * *

وهنالكَ سوفَ يُغنّي الرّمــــادْ
وسيَسْخَر حتى القَمَرْ

من أسانا ومن أمـــل لا يُعَادْ
كان يوماً لنا واندثرْ

١١ / ٩ / ١٩٤٩

صائدة الماضي

انتظرني ، غداً سيقذف بي المو
ج إلى شطّكَ الغريب البعيدِ
ثم تمشي بيَ السنينُ إلى با
بكَ بعد البحثِ الطويلِ المديد
وتراني خلفَ الزجاجِ أجُرّ الـ
أمسَ في لهفةِ المَشُوقِ العنيد
أتحدّى الصخور في الشاطىء العا
ري وألْوي شموخها بنشيدي

* * *

انتظرني ، وإن تمزّقَ في صَدْ
رِكَ ما كان ذاتَ يومٍ رجاءَ

أو سمعتَ الرّياحَ تصرخ عاد الـ
ـحب ذكرى ورغبةً عمْياءَ

أو رأيتَ النجومَ تُنْكر في أهْـ
ـدابكَ الشوقَ والصّدى والنداءَ

أو أبت مقلتاكَ أن ترسُما حلْـ
ـماً جديـــداً وثارتا كبرياءَ

* * *

وإذا وسوستْ بصدرك أشلا
ء الأماني وزمجرت في جنونِ

ومَضَتْ توقظ الشكوكَ وتُغري
بلياليكَ عاصفاتِ الظنونِ

وتخيّلتَ أنّني بعت ذكرا
كَ وأمعنتُ في الجمودِ المُهينِ

فانتظرْني، لا بد أنْ نلتقي يو
ماً وألوي بشكّكَ المجنونِ

* * *

سأصيد الأحلام من أمسنا الما
ربِ حُلْماً حُلْماً، وراء الزمانِ

وألُمُّ الأفراحَ من كل ركن
ضائعٍ في مقابرِ الأحزانِ

ألقُط الذكرياتِ دون كلالٍ
من غُبار السكونِ والنسيانِ

وأناشيـــدُنا ألمُّ صَدَاها
وأعيد الحيـــاةَ للأوزانِ

* * *

ثم أمضي ، يُنير لي وجهُكَ التا
ريخَ بحثاً عن حبّـنا المغدورِ
ذلك الأمسُ ، لو عَثرتُ عليه
في زوايا التاريخ بين العصورِ
لأبثّ انتفاضةَ الحـــيِّ فيه
وارتعاشَ الصدَى و نَبْـضَ الشعورِ
ثم نمشي معاً إليكَ ، إلى شطْ
طِكَ فوق الأمواجِ بين الصخورِ

* * *

وتَرَانا فُجاءةً نصعد السُّلْـ

ـلَمَ في لهفةٍ وشوقٍ كلانا

أنا والأمسُ كلّه ، نطرق البا

بَ غريبين لأمسَا الأوطــانا

وتُحسُّ النجوم أنّا رَجَعْنا

نعصر الدهْرَ لحظةً من هَوَانا

ويقول الزمان : عادا إلى الحب

وعــاد الفراق وهْماً كانا

٢٤ / ١٠ / ١٩٤٩

إلى أختي سها

هيّا معي فالليل مختلج الدُجَى حُباً وشعْرا
وعرائس الأحلامِ تفرشْ دربَنا لوناً وعطْرا

وهناك في أعماقنـــا نبَراتُ آلهةٍ تغنّـي
ونُحسّها تُلقي إلينا ألفَ أغنيةٍ ولحن

هيّا معي تتبسمُ الدنيا إذا أنتِ ابتسمْتِ
ماذا يثير أساكِ ما دمنا نظَل ، أنا وأنتِ ؟

* * *

أللَيل يعْـرِفُنا ، خُطانا طالما زرعتْ دجَاهُ
والنجم يذكرنا فكم سهرتْ عليْنا مقلتاهُ

أختاه هاتي كفّـكِ اليمْنى فقد حان المسيرُ
ألمجد يصرخ يستحث خطاكِ والحُلْـم الكبير

لا، لا تخافي أن تُخادعَكِ الرؤَى إن أنتِ جئتِ
فالليل يَعْـرِفُنا ونحن معاً نَظَـل أنا وأنتِ

* * *

سيري معي فتحرّقُ المجهولِ يَصْخَـب في دِمانا
والأمس، تلكَ الغُرْفة الصمّـاء غابتْ عن رؤانا

ماذا يشدّ هنا ليالينا الحزيناتِ الشقيّـه ؟
وهُناك في الأُفقِ البعيدِ ضَبابُ شُطآنٍ خفيّـه

ستُريق أنجمَها على أقدامنا إن أنت جئتِ
وَصحبتني لنجوبَ آفاقَ الوجودِ ، أنا وأنتِ

* * *

وصحبتني ونسيتِ دربَ الذكرياتِ الكاسفه
حيث الصخور السود والحيّات تلهث زاحفه

حيث انجرحْنا ثم لممْنا الجراحَ على عَجَلْ
ونهضْتُ تتبعُني خطاكِ الحائراتُ بلا أمل

أختاه لا تبكي على الماضي سدىً ما قد بكيتِ
لن يرجعَ الماضي وان نُحْنا عليه ، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجوب سحيقَ البلادْ ؟
يعيث السراب بنا
تناوُلنا وَهْدةٌ لوهادْ
ويَخْدعُنا المُنْحنى

* * *

وفيمَ أتينا ؟ يسائلُنا البحْر : ماذا نُريد ؟
وتلحقُنا عَربَاتُ الرياحِ وتبقى تُعيدْ
تُعيد السؤالْ

ولا ردّ إلا خطوطُ المَلالْ
على صمتِ أوجُهنا في الليالي الطوالْ
نَفرّ وتُدرِكُنا من جديدْ

* * *

ويسألُنا الأفْقُ أينَ نسافر ؟ أينَ نسيرْ ؟
ومن أي شيء هَرَبْنا ؟ وفيم ؟ لأي مصيرْ ؟
وفي صمتنا
قلوبٌ تدقّ ، ووقْعُ المُنى
على يأسنا فَرَحٌ لا يُطاق فهيّا بنا
لنبحثَ عن جُرحِ حُزْنٍ صغيرْ

* * *

وفي سيرنا نسمع الليلَ يسخَر من سرنا
يلاحقُنا بالظلامِ ويُغْري الرياحَ بنا

يقول الطريقْ
لماذا نجوب الوجودَ السحيقْ
يُلاحقنا أمسُنا ورؤانا ووجهٌ صديقْ
وحتامَ نهربُ من ظلّنا ؟

* * *

وفي سيرنا في الدياجير نُبْصر هُزْءَ القَمَرْ
ويُغْضِبُنا في سناه البرود ، وبعض الشَجَرْ
يسُدّ السبيلْ
علينا ، ويسخَرُ منّا الأصيلْ
ويُنبئنا أننا الباحثونَ عن المُسْتحيلْ
وأنّا ، برغمِ مُنانا ، بَشَرْ

* * *

ونسمَع من جَنَباتِ المسالك ذات مساءْ
صدًى هامساً في الدَجى أنّنا ... أننا جُبَناء

نخاف الأصيلْ
ونرحل لا رغبةً في الرحيلْ
ولكن لنهربَ من ذاتنا ، من صِراعِ طويل
ومن أنّنا لم نَزَلْ غُرَباءْ .

* * *

وها نحن ، حيث بدأنا ، نجوب الظلامَ الفظيعْ
شتاءٌ يموت ، وأسئلةٌ لم يُجِبْها ربيعْ
حَيارَى العُيُونْ
يُسائلُنا غدنا مَنْ نكونْ ؟
ويتركُنا أمسنا المُنْطوي في ضَبابِ القُرونْ
فيا ليلُ ، يا بحر ، أينَ نضيعْ ؟

١٩٥١/١/٢٩
الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر ؟

« إلى الصديقة التي سألتني ذات
مساء : ماذا يقول النهر ؟ » .

ماذا يقول النهْرُ ؟
أقصوصةٌ
يَنْسجُها من رَقْص ضوءِ القَمرْ
يَنْسجُها من غَـــزَلٍ ناعم
يُداعب النخْلُ بـه المنحدَرْ
من نور مصباح يُغذّي الدجى
حرارةً ويستثير الشجَـــرْ

من وقْع مجدافٍ خفيفِ الُخطى
يشُقّ في الظلمة َصدْرَ النَهَرْ

* * *

ماذا يقول النهْرُ ؟
أغنيّةْ
قديمةْ ، بنت ليالٍ طوَالْ
غنّى أساها مرّةً عاشقْ
والليل سكرانُ بكاسِ الَجمالْ
ُمثْقَلَةْ بالدفء ، ما زال في
ألحانها بعض حنينِ الجِمالْ
وخَشعةِ الَهوْدجِ تحت الدَجى
ووقعِ أقدام الحُداةِ الثقالْ

* * *

ماذا يقولُ النهرُ ؟

تسبيحةٌ

من بابلِ النشْوَى بعطر البَخورْ

وموكبُ الكُهّانِ في مَعبَدِ

دِجلةُ يطوي سرّه والصخورْ

وذكرياتُ الليلِ والشمس عن

(مدينة الشمس) وراءَ العُصورْ

وعن (حَمُورابي) وعن حُبّه

وما طوَى سِفْرُ الزمان الغدورْ

* * *

ماذا يقولُ النهرُ ؟

لا تسألي

دعي غلافَ السرّ كنّاً عميقْ
لو كشفَ الزّنبقُ ألغــــازَهُ
لم يَبْقَ معنىً لشذاهُ الرقيـــقْ

١٩٥٠/٧/٢٧

ثلاث مراثٍ لأمي

قـد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً ، غـير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة . وقد كانت القصائد الثلاث التالية محاولة للتعزي لجأتُ إليها على اثر وفاة أمي في ظروف محزنة عانيت منها معاناة خاصة . ولم أجد لألمي منفذاً آخر غير أن أحبه وأغني له .

« ن. م. »

١ – اغنية للحزن

أفسحوا الدربَ له ، للقادم الصافي الشعورِ ،
للغلام المُرْهَفِ السابح في بحر أريجِ ،
ذي الجبين الأبيض السارقِ أسرارَ الثلوجِ
إنّه جاء إلينا عابراً خِصْبَ المُرورِ

إنّه أهدأ من ماءِ الغديرِ
فاحذَروا أن تجرحوه بالضجيجِ

* * *

إنّـه ذاكَ الغلامُ الدائم الُحزْنِ الخجولُ
ساكنُ الأمْسيةِ الغَرْقى باحزانٍ خفيّـه
والزوايا الغيهبيّاتِ السكونِ الشَفَقيّه
أبـــداً يجرحُه النَوْح ويُضنيهِ العويلُ
فليكن من صمتنا ظلٌّ ظليلُ
يتلقّـــاه وأحضانٌ خفيّـه

* * *

وهو يحيا في الدموع الُخرْس في بعضِ العيونِ
ولهُ كوخٌ خفيٌ شِيدَ في عُمْق سحيقِ
ضائعٌ يعرفُهُ الباكون في صمْتٍ عميقِ
وسُدًى يبحثُ عنْه الألمُ الخشْنُ الرنينِ
إنّه يقتات أسرارَ السكونِ
وأسىً مختبئاً خلفَ العروقِ

* * *

نحــن هيّأنا له حبّاً وتقديساً ونجوى
وتهيّأنا للُقْياه عيوناً وشفاهــا
وسنَلْقاه مُصَلّينَ كما نلقى إلهــا
وسنُهْديه انفجارَ الأدمعِ العذْبة سلوى
وسنحبوه أسىً أقوى وأقوى
وسنُعْطيه عُيونـاً وجِباها

* * *

إنّـه أجمــل من أفراحنا ، من كلّ حُبّ
إنّـه زنبقةٌ ألقى بهــا الموت علَينا
لم تزَلْ دافئةً ترعش في شــوقِ يدَيْنا
وسنُعطيها مكاناً عَطِراً في كلّ قلب
وشذَى حزْنٍ عميق القَعْرِ خِصْبِ
إنّـه منا ... وقد عــاد إلينا ..

١٩٥٣/٨/١٥

٢ ـ مقدم الحزن

أفسحوا الدربَ ، إنّه جاء خجلا
نَ رقيقَ الخُطَى كئيب الجبينِ
ألغلامُ الحسّاس ذو الأعين الغَر
قى بتاريخ ألــفِ سرّ حزينِ
إنه مُطْعم العيونِ العميقا
تِ وينبوعُ كلّ دمعٍ سخينِ
ولقد جاءنا تُبلّلُ عينَيْـ
ـهِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

* * *

إنّه حزنُنا الصبيّ لقينا
ه على غير موعدٍ وانتظارِ

لم يَزَلْ هادئاً خجولاً كما كا
نَ وما زال غامقَ الأسرارِ

جاءنا دافئاً أرقّ من الدمْـ
ـعِ وأحلى من رعْشة الأوتار

ففرشنا له طريقاً من اللّهْـ
ـفةِ والحبّ والدموعِ الغِزارِ

* * *

وأخذناه في خشوعٍ إلى أعـ
ماقِ أفراحنا وقَعْر رؤانا

ومنحناه كلّ ما جمع الحب
من اللونِ والشَذى لصبانا

ورصفنا له هوانا وما أبـــ
ـقى لنا الموتُ والأسى من مُنانا
وغسلنـا جبينَـه بدمـوع
صامتاتٍ عَطْشى تذوبُ حنانا

* * *

انّـه خيطنا الأخيرُ إلى السّـرْ
ـرِ فيه من أمسنا ألفُ شيءٍ
لم يَزَلْ هامساً لنا : « إنها ما
تتْ » على مسمع الشذَى والضوءِ
إنّ فيه من وجهها وأمانيـ
ـها وأشواقها بقيّـــةَ دفْءِ
وهو إحساسُها يعـــود إلينا
مُرْعِشاً من كياننا كلَّ جزءِ

* * *

إنه كلُّ ما تبقّى لنا من
وجه ِضحْكاتنا ورجْعِ الأغاني
إنَّ فيه نهايةَ الطَرَف الثا
ني لما هدَّم الرَدَى من أمانِ
فوهبنا له صلاةً من الأد
معِ َخجْلى مهموسةَ الألحانِ
ومنحناه مسكناً في مآقيـ
ـنا وُحبّاً أقوى من النسيانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣ — الزهرة السوداء

كنزنا الغالي تركناه هُنا
لحظاتٍ ثم أسرعنا إليه
والتمسناه وراء المُنْحَنى
وعلى التلّ فلم نعثر عليهِ

* * *

وسألْنا عنه في الغابة ربوه
فأجابتْ أنها قد نَسِيَتْه

وهمسْنا باسمه في سَمع سَروه
فتناست في الدجى ما سمعتْه

* * *

غير أنّ الفجر حيّى في ابتسام
وأرانا في مكان الكنزِ زهره
نبتت سوداءَ في لون الظلامْ
وسقاها دمعُنا ليناً ونَضْره

* * *

كلّما مرّتْ بها ريح الصباحْ
بعثتْ في الجوّ موسيقى خفيّه
وأنيناً خافتاً ملءَ الرياحْ
كمَنَتْ فيه دموع البشريّه

* * *

انها زهرتُنا الوسنى الحزينه
أمسُنا في لونها ما زال لَدْنا
فمنحناهـا مآقينـا السخينه
وحملناها مع الذكرى وعُدْنا

١٩٥٣/٨/٢١

يمكي ان حفارين

الزمان يسيرْ
بدقاتقه المبطئاتِ الثقالْ
ساحباً خلفَـه عرَباتِ الليالْ
مُثقَـلاتٍ باسرارها الداكناتْ
الزمانُ يسير ، يجُـرّ الحياةْ
وهنالكَ ، فوقَ بساطِ الرّمالْ
حيث خلّـفتِ العَـرَباتْ
أثراً من خُطَـى العجلاتْ

لم نَزَلْ نحن ، في كلّ كفٍّ قَدُومْ ،
لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ في وحشة ووجومْ
نحن نبكي هنا
والزمانُ يسير
نحفِرُ الأرضَ ، نبحث عما أضعنا هنا
والزمان يسيرْ

* * *

وحدَنا ، وحدَنا ، في سكوتْ
صامتَينِ نُراقب كيفَ تموتْ
في يدَيْنا وفي مقلتَينا العروقْ
وهنالك ينتظر الحيّ خلف الترابْ
في أسىً وعذابْ
أن يُطلّ شُروقْ

أن يرانا أخيراً بأعيننا الكابيه
نعـــبُر الهاويه
لنعيدَ إليه الشَباب
ذلك الحيّ في الظُلمات
آه لو. لم تَمُتْ في يَدَينا العُروق
لنُعيد إليه الحياة

* * *

« إحفر الآنَ وحدكَ .. ما عُدْت أقوَى أنا
« إحفر الأرضَ وحدكَ .. إني أحسّ الفَناء
« ملءَ كفّي وملءَ ذراعي ، أحسّ الرجاء
« يتلاشى بعيداً وراء مَدَى المُنْحَنى
« حيث مرّ الزمان بنا
« منذ بضعِ مئاتِ السنين

« وغدا سيمرّ بنا من جديدْ
« فيراكَ لوحدِك تحفر في َحسرةٍ وحنينْ
« سيمرّ وتحفرُ أنتَ ركامَ الجليدْ
« في الثرى ، في ُعروقي أنا

* * *

ثم ياتي زمانْ
وتدِبّ الحرارة في اَلجسدِ الجامدِ
َجسدِ الرجل الحيّ في قبره الباردِ
وهنالك تحتَ الدجى ميّتانْ
جامدانِ كلوح جليدْ ،
ويمرّ الزمان العنيدْ
بهما من جديدْ
فيرى فيهما صاحبَينْ

طالما حفرا في الترابْ
حفرا في الضبابْ
ربما حفرا في شحوب الخريفْ
أو عبوس الشتاءِ المخيفْ
طالما شوهدا يحفرانْ
يحفرانِ ، يظلّانِ في لهفةٍ يحفرانْ
وهما الآنَ ، فوقَ الثرى ، ميّتانْ

* * *

والزمان يسيرْ
ويجُرّ رفاتَهُما في الرمالْ
ويرى الرجل الميّتَ الحيّ يطوي الليالْ
شارداً مُفْرداً
لم يَعُدْ يحتويه مكانْ

أوْ زمانْ
إنّـه قد أضاع الغدا
وتبقّـى له الأمس والميّـتانْ
... واستمرّ يسير الزمان ...

١٤ / ١ ١٩٤٩

الزائر الذي لم يجيء

.. ومرّ المساء ، وكادَ يغيبُ جبينُ القَمَرْ
وكدْنا نُشيّع ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونَشْهد كيفَ تسير السعادةُ للهاويه
ولم تأتِ أنتَ .. وضعْتَ مع الأمنياتِ الأُخَرْ
وأبقيتَ كرسيّك الخاليا
يُشاغِلُ مجلسَنا الداويا
ويبقى يَضجّ ويسأل عن زائرٍ لم يجيءْ

* * *

وما كنت أعلم أنّكَ إن غبتَ خلفَ السنينْ
تخلّف ظلّكَ في كل لفظٍ وفي كلّ معنى
وفي كلّ زاويةٍ من رؤايَ وفي كلّ مَحْنى
وما كنتُ أعلمُ أنّكَ أقوى من الحاضرينْ
وأنّ مئاتٍ من الزائرينْ
يضيعون في لحظةٍ من حنينْ
يَمُدُّ ويَجْزُرُ شوقاً إلى زائرٍ لم يجيءْ

* * *

ولو كنتَ جئتَ ... وكنا جلسنا مع الآخرينْ
ودارَ الحديث دوائرَ وانشعبَ الأصدقاءْ
أما كنتَ تُصْبحُ كالحاضرين وكان المساءْ
يمرُّ ونحن نقلّب أعينَنا حائرينْ
ونسأل حتى فَراغَ الكراسي
عن الغائبينَ وراء الأماسي

ونصرخُ أنّ لنا بينَهُم زائراً لم يجىءْ ؟

* * *

ولو جئت يوماً ـ وما زلت أوثرُ ألاّ تجيءْ ـ
لَجَفَّ عبيرُ الفَرَاغِ الملوَّن في ذكرياتي
وقُصَّ جناحُ التخيُّل واكتأبتْ أغنياتي
وأمسكتُ في راحتيَّ حُطامَ رجائي البريءْ
وأدركت أنّي أحبّك حُلْما
وما دمتَ قد جئت لحماً وعظما
ساحْلُم بالزائر المستحيلِ الذي لم يجيءْ

١٨/٨/١٩٥٢

الراقصة المذبوحة

إرقُصي مذبوحةَ القلب وغنّي
واضحكي فالُجرْح رَقْصٌ وابتسامُ
إسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغنّي واطمئنّي

* * *

أدموعٌ ؟ أسكتي الدمعَ السخينا
واعصُري من صرخة الُجرْح ابتساما
أانفجارٌ ؟ هدأ الُجرْح وناما
فاتركيه واعبُدي القيدَ المُهينا

ثورةٌ ؟ لا تُبْغضي السوطَ المُلحّا
أيّ معنىً لاختلاجاتِ الضحايا ؟
بعض أحزانٍ ستُنسى ، ورزايا
وقتيلٌ أو قتيلانِ ، وجَرْحَى

* * *

إقْبسي من جُرْحكِ المحرقِ لحنا
رنّميه بالشّفاهِ الظامئاتِ
لم تزلْ فيها بقايا من حياةٍ
لنشيدٍ لم يَفِضْ بؤساً وحُزْنا

* * *

صرخةٌ ؟ أيّ جحودٍ وجُنونِ !
أتركي قتْلاكِ صرْعَى دون دفْنِ
واحدٌ مات ... فلا صرخةَ حزنِ !
أيّ معنىً لانتفاضات السجين ؟

إنتفاضاتٌ ؟ وفي الشَعبِ بقـــايا
من عروقٍ لم تَسلْ نبعَ دماءْ ؟
إنفجـــاراتٌ ؟ وبعض الأبرياءْ
بعضُهم لم يسقُطوا بعْدُ ضحايا ؟

* * *

لم يكن جُرحُكِ بدْعاً في الجروحِ
فارقُصي في سكرةِ الحزْنِ المميت
الأرقّاء الحيـــارَى للسكـــوتِ
إحتجاجاتٌ ؟ لمـــاذا ؟ إستريحي !

* * *

إضحكي للمُدْيةِ الحمـــراءِ حُبّا
واسقُطي فوقَ الثرى دون اختلاجِ
منّةٌ أن تُذْبحي ذبـــحَ النعاجِ
منّةٌ أن تُطْعني روحـــاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحـــايا أن تثوري
وجنونٌ غضبة الأسرى العبيـــدِ
أرقصي رَقصة مُمْتَنٍّ سعيـــدِ
وابسمي في غِبْطة العبد الأجيرِ

* * *

أسكتي الُجرْحَ حَـــرامٌ أن يئنّا
وابسمي للقاتل الجـــاني افتتانا
إمنحيه قلبَكِ الحرّ المُهـــانا
ودعيه ينتشي حَـــزّاً وطَعْنا

* * *

وارقصي مذبوحـــةَ القلب وغنّـي
واضحكي فالُجرْحُ رَقصٌ وابتسامُ
إسالي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغنّـي واطمئـــني

١٩٤٨

الشخص الثاني

لو جئتَ غداً وعبرتَ حدودَ الأمس إلى غديَ الموعودْ
وشدا فرَحاً بمجيئكَ حتى المعْبَرُ والبابِ المسْدودْ
ولقيتك أبحث فيك عن المتبقّي من أمسي المفقودْ

لو جئتَ ولم أجدِ الماثلَ في ألحاني
وأطلّ على روحي منك الشخص الثاني

* * *

الشخص الثاني ، من أعماقِ شهورِ التيهِ المطموره

حـــاكته دقائق تلك الأيّامِ الجـــانيةِ المغروره
وترسّبَ في عينَـيهِ تَثاقُلُها ورؤاهـــا المذعوره

وسأبحث فيكَ عن الماضي في اطمئنان
فيفاجىءُ لهفتيَ الحرّى الشخصُ الثاني

* * *

وهناكَ على الوجهِ الحسّاس الحيّ الصمتِ أرى ظلّينْ
ومكانَ الواحدِ في عينيكَ المرهفَتين أحس اثنَينْ
ويقابلُني الشخصانِ معاً وسُدًى أرجو فصْلَ الضدّينْ

وسأسألُ عمّا خلّفَه لي عامانِ
من وجهكَ، والردّ جبينُ الشخصِ الثاني

* * *

وسيسكن هذا الشخصُ الثاني الأحمقُ حتى في البسَماتْ
سيمُدّ برودتَه في رقّةِ صوتكَ ، في لين التَبراتْ
وسيرمُقني في خُبْثٍ ، مختبئاً حتى خلفَ الكلماتْ

ولمن أشكو هذا المخلوقَ الشيطاني
والأولُ فيكَ محتْه يدُ الشخصِ الثاني؟

٩ / ١٠ / ١٩٥١

عندما قتلت حبي

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مَقْتي اناجيهِ
وأسقيهِ دماءَ غدى واُغرِق حاضري فيهِ
وأطعمُه لظى اللَعَناتِ والثورةِ والنقمه
وأُسمعُه صُراخَ الحقْد في اغنيةٍ جَهْمه
ومن إغفاءة الموتى أغذّيه
وأنثر حولَه الأشباح والظلمه .

• • •

وأبغضتُ اسمَكَ الملعونَ والاصداءَ والظلا

كرهت اللونَ والنغمةَ والايقاعَ والشكلا
وتلكَ الذكرياتُ الخشْنة المقوتة الفظّه
هَوَتْ وتأكّلتْ وثوتْ مع الآبادِ في لحظه
وعدتُ قصيدةً فجريةً جَذْلى
وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

. . .

وتمّ النصر لي وهَوَيْتَ تمثالاً الى الُهوّه
وجئتُ لأدْفنَ الاشلاءَ تحت كآبة السروه
وراح الرَفش في كفي يشُقّ الارض في نَهَمِ
فلامسَ في الثرى جسداً رهيباً بارد القدَمِ
ورحت أجرّه للضوءِ مَزْهوّه
فمن كان ؟
بقايا جُثّة النَدَمِ

. . .

وكان الليل مرآةً فابصرت بها كُرْهي
وأمسي الميْـتَ لكنيَ لم أعثر على كُنْهي
وكنت قتلتُـكَ الساعةَ في ليلي وفي كاسي
وكنت أشيّـع المقتولَ في بُطْءٍ الى الرمْس
فأدركت ولونُ اليأس في وجهي
باني قطّ لم أقتلْ سوى نفسي

١٩٥٢/٥/١٢

لمن للنسيان

لِمَ يا حياهْ
تذوي عذوبتكِ الطريّـة في الشفاهْ ؟
لِمَ ، وارتطام الكأسِ بالفمِ لم يَزَلْ
في السمْـع همسٌ من صداهْ ؟

* * *

ولِمَ الملــــلْ
يبقى يُعشش في الكؤوس مع الاملْ
ويعيش حتى في مُرور يدَيْ حُلُـمْ

فوقَ المباسمِ والمُقَلْ ؟

* * *

ولِمَ الألمْ
يبقى رحيقيٌّ المذاق ، أعز حتى من نَغَمْ ؟
ولمَ الكواكب حين تغرب في الافُقْ
تفترُّ جذلَى للعَدَمْ ؟

* * *

ولِمَ الفَرَقْ
يحيَا على بعضِ الجباهِ مع الارَقْ
وتنام آلاف العيونِ إلى الصَباحْ
دون انفعالٍ أو قَلقْ ؟

* * *

ولِمَ الرياحْ
لمْ تدر حتى الآنَ أن لنا جراحْ ؟

لمْ تدر كم حملتْهُ من ملْحِ البحارْ
لجراحنا هي والنُواحْ ؟

* * *

ولِمَ النهارْ
ينسي بأن مدامعاً حرّى غِزارْ
تأبى التألقَ في الجفون المُثْخَنة
وتوَدّ لو هبط الستارْ ؟

• • •

والأزمنه
كم ذكرياتٍ كم فواجعَ مُحْزنه
ضمّتْ صحائفُها وكم رَقَدَ الترابْ
فوقَ الخدودِ اللينـــه

• • •

ولِمَ الغيابْ

يفتَنُّ في رشّ الجمالِ على هضابْ
بَعُدَتْ ، على كل الوجوهِ الغامضاتْ
خلف المَرامي والشعابْ ؟

* * *

والأغنياتْ
أوّاه لو كانتْ تعيش مع الحياة
وتَظَـل نابضةً وإن نُسي الغَرامْ
ولحونُه المتنهداتْ

١٩٥١/١/١٧
الولايات المتحدة

كلمات

شكوتُ الى الريح وَحدةَ قلبي وطولَ انفرادي
فجاءت معطّرةً باريجِ ليالي الحصــادِ
وألقتْ عبيرَ البنفسَجِ والوردِ فوق سُهَادي
ومدّتْ شَذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وروّت حنيني بنجوى غديرٍ يُغني لوادِ
وقالتْ : لأجلكِ كان العبيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئت الوجودَ الجميلْ
ففيمَ العويــلْ ؟

وصدّقتُها ثم جاءَ المساء الطويلْ
وساد السكونُ عُبابَ الظلام الثقيل
فساءلت ليلي : أحقٌّ حديثُ الرياحْ ؟
فرد الدُجى ساخرَ القَسَماتْ
« أصدقِتِها ؟ إنها كلماتْ . »

* * *

وأصغيتُ في فجرِ عمري الى أغنياتِ البَشرْ
وشاركتُهُم رَقْصَهم في شحُوبِ ليالي القَمَر
وغنيتُ مثلَهُمُ بالسعادةِ ، بالمُنْتَظَرْ
بشيء سيأتي ، بيوتوبيا في سنينٍ أخَرْ
وآمنتُ أن حياةً بلونِ الندَى والزَهرْ
ستمسَحُ أيامنا المُثْقَلات بعبءِ الضجرْ
وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونْ
خُلود القُرونْ

وصدقتُهم ثم جاءَ المساءُ الصديقْ
يجرُّ سلاسلَه في جمودٍ وضيقْ
فساءلتُه: أهوَ حقٌّ هُتافُ البَشَرْ ؟
فحدّق بي صائحاً : « يا فتاة !
أصدّقتِيهمْ ؟ إنها كلماتْ . »

* * *

وكم مرّةٍ جدَل العاشقون الأماني الوِضاءْ
وكم عصروا في كؤوسِ التخيّل شهْدَ الوفاءْ
وراحوا على حُبّهم يُشْهدون نجومَ السماءْ
ووقْعَ الندَى فوق خدّ الصباح، وصمْتِ المساءْ
وكم أقسموا بالهوى أنّهم أبداً أوفياءْ
وأنّ الوجودَ يموتُ وحبُّهُمُ للبقاءْ
وقالوا : هوًى واحدٌ خالدٌ يتحدّى العَدَمْ
ويَرْضى الألمْ

وصدّقتُهُم ثم جاءَ المساء اللطيفْ
هنالكَ ذات دجىً من أماسي الخريفْ
وساءلتُهُ أهْيَ حقٌّ رؤي العاشقينْ ؟
فغمغمَ مستهزىءَ النبراتْ
أصدّقتِهم ؟ إنّها كلماتْ . »

١٩٥٢/٥/٢٨

السلم المنهار

استرَحْنا ، كُشِفَ اللُغْز وماتَ المُبْهَمُ
وتلاشت حُرقةُ الأحلامِ في لونِ العيونْ
استرحنا ، هدأ الشوقُ وواراهُ السكونْ
استرحنا نحنُ ، وارتاحَ الزمانُ النّهِمُ
وغداً ينهزم الماضي بعيدا
وترى أعيننا شيئاً جديدا

* * *

الشفاه الزرْق في أوجهنا الآنَ ستصفو

من جديدٍ ، فلقد ذابَ الهوى عندَ الشروقِ
والعيون المُثْقلات الصمْتِ بالسُهْد العميق
ستنــــام الآنَ لا يوقظهـــا حبٌّ وعُنْفُ
وغداً يعرِف قلبانا بأنَّا
قد دفنّا الحب حيّاً وانتهينا

* * *

والعُروقُ المُلْهَبات اليم قد حانَ كَرَاها
حسْبُها ما جلجل الإعصار في أعماقها ،
وزهور الحُلْم لا تسكب على أوراقها
أيّ لونٍ ، إنها ماتت ولن يحيَا شذاها
هدأ القلبان ، لا تخشَ ارتعاشا
مات عِرْقُ الحب فينا وتلاشى

* * *

وأفَقْنا وانتهى الشيءُ الذي خِلْناهُ حبّا

وتبقّتْ حولنا الذكرى التي تَسْخَرُ منّا ،
من خيالاتِ صغيرَيْنِ بدا نجْمٌ فظنّا
أنّ في وسعهما أن يُمْسكاهُ فاشرأبّا
لحظةً ، ثم تهاوى السُلّمُ ،
في بُرودٍ ، وتلاشى الحلم

* * *

سرْ يميناً أنتَ واتركني أسر وحدي شمالا
فمن المُضْحكِ أن نبقى هنا كالغُرَباءِ ،
تصرخ الوَحْدةُ في أعيننا دونَ انتهاءِ
ويَرشُّ الصمْتُ لُقْيانا بروداً ومَلالا
حسبُنا أنّا أضعنا ما أضعنا
من زمانٍ ، فلنَعُدْ من حيث جئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلا للعار

« أمّاهُ ! » وحَشرجةٌ ودموعٌ وسَوَادُ ،
وانبجسَ الدمُ واختلج الجسمُ المطعونُ
والشَعْرُ المتموج عشّش ،فيه الطين
« أمّاه ! » ولم يسمَعْها إلا الجلاّد
وغداً سيجيء الفجر وتصحو الأورادُ
والعشرون تُنادى والآملُ المفتونُ
فتُجيب المَرْجةُ والأزهارْ
رحلتْ عنا ... غسلاً للعارْ

ويعود الجلّادُ الوحشيُّ ويَلقى الناسْ
« ألعارُ؟ »ويمسحُ مُديَتهُ ـ «مزّقنا العارْ»
«ورجعنا فُضلاءً، بيضَ السُمْعةِ أحرارْ»
« ياربَّ الحانةِ، أينَ الخمرُ؟ وأينَ الكاسْ؟ »
« نادِ الغانيةَ الكسْلى العاطرةَ الأنفاسْ »
« أفدي عينَيها بالقُرآنِ وبالأقدارْ »
إملأ كاساتكَ يا جزّارْ
وعلى المقتولةِ غسْلُ العارْ

* * *

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتياتُ ،
« أينَ تراها ؟ » فيردّ الوحش « قتلناها »
« وصمةُ عارٍ في جبهتنا وغسلناها »

وستحكي قصّتها السوداءَ الجاراتُ ،
وستَرْويها في الحارةِ حتى النّخَلاتُ ،
حتى الأبوابُ الخشبيّةُ لن تَنْساها
وستهمِسُها حتى الأحجارْ
غسلاً للعارْ ..

غسلاً للعارْ ..

* * *

« يا جاراتِ الحارةِ ، يا فَتَياتِ القريه »
« ألخبزُ سنعجنُه بدموعِ مآقينا »
« سنقُصّ جدائلَنا وسنسْلَخُ أيدينا »
« لتظلّ ثيابُهم بيضَ اللونِ نقيّه »
« لا بسمةَ ، لا فرحةَ ، لا لفتةَ فالُمدْيه »

« تَرْقبُنا في قبضة والدنا وأخينا »
« وغداً من يدري أيُّ قِفارْ »
« ستُوارينا غسلاً للعارْ ؟ »

١٦/١١/١٩٤٩

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السَوادْ
ولم يَبْقَ إلاّ ضبابٌ خفيفٌ يلُفّ الوهادْ
ويحلُم مكتئباً في عيونٍ طواها السُهادْ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرحِلةِ القادمهْ
إلى أُفقٍ كوكبيّ السُتورْ
يَمُدّ جذور
وراء مسالكنا القاتمـــه

* * *

سنرَحل فالأنجُمُ الوامقات تُشير لنـــا
أصابعُها اللدْنــة المخْمليّة في دربنا
تُطرّزُ كلّ غـدٍ قادمٍ بخيوط المنى
تقود خُطانا خلالَ الشعابِ الطوال المُـمِـضّه
سنرَحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعَصرٍ صغيرْ
فلم يَبقَ من ليلنا غيرُ ومضه

* * *

ومن سَنواتِ الإسارِ الممزّقِ، من ألفِ ظُلمه
تُلُفّ مدًى أسوداً لا تَمَسّ دياجيه نجمه
ستُبْدلُنا حافة الكأسِ قطرةَ حُبٍّ وبَسْمه
وتحملُنا عَرَبات الكواكبِ عبرَ الحزونْ
وراء بحار الندى والظلالْ

وحيث الجمالْ

يُمَسّ ويشربُهُ المتعَبون

* * *

وداعاً صحارَى العويل فقد حان فجرُ السنينْ
وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلينْ
عَطِشْنا طويلاً وكانت كؤوسكِ مَلأى أنينْ
ينوح الفَراغُ عليها وموكبُنا الباحثُ
تجرّع حتى كؤوسَ الدموعْ
ونارَ الضلوعْ
وجُنّ بـه شوقُهُ اللاهثُ

* * *

وفي الغد ، من بَعدِنا ، إن أطلّ جبين القَمَرْ
ولامسَ ضوءُ النجومِ النشاوى حريرَ النّهَرْ

ورنّ مع الليلِ صوتٌ بعيدُ الصَدَى واندَثرْ
كما رنّ ، يسال عنّا وأينَ رمتْنا البحورْ
فقولي له إنّنا لن نعودْ
لأرضِ القيودْ

فقد أشرق الفجر منذ عصورْ

١٩٥٠/٨/٥

الخيبة

عُدنا إلى الأرضِ وكانَ الطريقْ
طريقَنا الأوّلا
والجهد لم يُبقِ لنا من بريقْ
خلّفَهُ الأمس النضيرُ الوريقْ
عبرَ الرؤى مُشْعَلا

* * *

عُدْنا وألفينا الرُّبى والحقولْ
كما تركناها

الشمس ما زالتْ تُغذّي السهولْ
يتبعُها الليلُ البطيءُ الكسولْ
يمحـــو بقـايـاها

* * *

والناس ما زالوا هنا يزرعونْ
ويَحْصُدونَ الهمومْ
الشمسُ تدري أنّهم يَغمُسونْ
ذنوبَهمْ في ظُلُمات القرونْ
ويرمُقونَ النجومْ

* * *

ونحن ما زلنـــا كما كنّا
أولئكَ الحمْقَى

الليل يمضي ســاخراً منّـا
والفجرُ يَرْوي للدّجى أنّـا
نشرَبُ ما نُسْقَى

* * *

وأمسِ في القــافلةِ الراحله
سرنا مع السائرينْ
نقطع آلافَ الرّبى الماحله
وعندما أرستْ بنــا القافله
بعد انصرام السنينْ

* * *

جُنّتْ بنا خيبتُنا وانطوَى
ما كان مأمولا

وهدّنا عبء الأسى والجوى
فهذه خلفَ الرُّبى والهوى
بُقْعتُنـــا الأولى

١٩٥٢/١/٥

أسطورة عينين

عينانِ طِلَّسْمٌ ولُغزٌ أصمْ
يَحَارُ في تفسيره التائهونْ
غيبان من عهدٍ سحيقِ القِدَمْ
وضَفّتا شطٍّ طوتْه القُرونْ

* * *

عينانِ لونٌ نابضٌ ساخنُ
شيءٌ من الشرقِ لذيذ الفُتورْ
وفيهما العرّاف والكاهن

ومعبَدٌ مخدّرٌ بالبَخُورْ

* * *

عينانِ أمْ مزارعٌ في الظلالْ
تُرَقرقُ العبير في الأوديه ؟
وهُدْبها أم رعشة البرتقالْ ؟
أم نجمةٌ تخفق ؟ أم أغنيه ؟

* * *

عينـــان أم عوالمٌ شاسعه ؟
وبؤبؤٌ أم دعوةٌ للرّحيلْ ؟
بابٌ إلى يوتوبيــا الضائعه
ومَعْبرٌ يُنْهى إلى المستحيلْ

* * *

وفي مَطاويها وِسَاد الحُـلُمْ

ومن حواشيها ارتواءُ الوَتَرْ
عينانِ ما كاد يعيها النغَمْ
حتى دعا أشواقَه وانفجَرْ

* * *

وذلك العمْق الذي لا يُحَدْ
يحمل للرّائينَ سرّ الظمأ
أحسّ فيه لا انتهاء الأبَدْ
وموكبَ التاريخ منذ ابتدأ

* * *

يَرْوونَ عنْها أنّ أغوارَها
ذوبُ نجومٍ أطفأتْها السنينْ
وأنّ من أدركَ أسرارها
فكّ الرّدَى عنْه الإسارَ المُهينْ

* * *

وأنّها ، كما رَوَى آخَرونْ ،
بقيّةٌ من أعيُنٍ آفـلهْ :
عينا (مدوزا) أفرغَ الساحرونْ
ما فيهما من قــوّةٍ قاتله

* * *

ستلبث العينانِ سرّاً عميقْ
وينزع الراوونَ أرضَ الخيالْ
أسطورةٌ تظلّ سكرَى البريقْ
ما بَقِيَ الشعْرُ وعاشَ الجمَالْ

الوصول

ساحبٌ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصُورْ
ملأى بألوانِ الخيالْ
وهناك في أحنائها ألقى الجَمَالْ
وعوالماً نجميّة الإشراقِ مُسْكرة العطورْ
وهناك كم لونٍ ترسّب في كؤوس الذكرياتْ
كم قصّةٍ نامتْ وغطّتْ سرّها خلفَ الشُعُورْ
كم خطفةٍ من طيفِ حُبٍّ عاش حيناً ثم ماتْ
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ ، عندما كان المساء

مُتَثاقلاً نعسانَ ، في بعض القُرَى
وأنا أغنّيها وأرقُب في ارتخاءْ
ظلَّ النخيلِ على الثّرَى .

* * *

سأحبّ نفسي ، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاء
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبْ
حتى النهارُ أوى إلى سُرُرِ المساءْ
لم يَبْقَ إلّا نا وآهات المداخنِ من بعيدْ
وكآبةُ الليلِ الجديدْ

* * *

ولقد وصلنا . ها هنا يحيا الجَمالْ ،

والدفءُ ، والشمسُ الأنيقةُ ، والسكونْ ،
والإمتدادُ وعالمٌ يَسَعُ القُرُونْ
بحرٌ من الألوان يخلقُهُ الخيالْ
وتموج فوق مداه آلاف الظِلالْ

* * *

يا صمتَ نفسي عدْتُ عدْت إليكَ بعد سُرَى سنينْ
ضاقت بتَطْوافي البحارْ
وشكا النّهارْ
ما حمّلتْه رؤايَ من عبءِ الحنينْ
لم ألقَ غيرَكَ لي نصيرا
في ظلمة الليل المُضِلّ

فافتح ليَ البابَ الأخيرا
دعني أمرُّ
... أنا وظلِّي ...

٦/٣/١٩٥١
الولايات المتحدة

أغنية لشمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرفْقَ في لَمَسَاتِ الرّياحْ
ولفّي جدائلكِ الشُقْرَ حولَ الفِجاج الفساحْ
وهـــذا التحرّق في شفتَيْكِ أريقي لظاهْ
على طَبَقات الثلوج الكثيفـةِ فوقَ الميـاه
أذيبي بهـا قَطَراتِ الجليدْ
عن العُشْبِ ، عن زهرةٍ لا تُريدْ
فراق الحيـاه
فما زال فيهـــا رحيقٌ تخبّئُهُ للصباحْ

* * *

ومن دفء عينيكِ من ضوءِ هذا الجبينِ السعيدْ
أريقي عصيرَ البنفسجِ فوق الفضاءِ المديدْ
ومن لونِ هذي الجدائلِ رشّي ازرقاقَ الأثيرْ
وصبي البريقَ الملوّنَ فوقَ مرايا الغـــديرْ
ومن عطرِ هذا الضياءِ المذابْ
أريقي على صفَحات الضباب
ربيعاً نضيرْ
يحيلُ البرودةَ فيهِ إلى دفءِ حبٍّ جديدْ

* * *

أصابعُكِ الدافئاتُ المرور اضغَطي شِعْرَها
وأحلامَها فوقَ زهرةِ فُلٍّ طوت سرّها
ونامتْ مُلفّعة بجليـــدِ المساء القريبْ
تذوب اشتياقاً لضوئكِ ، للحبّ ، للعندليبْ

أطلّي بوجهكِ في سجنها
فقد جَمَد الشعر في لونها
وعاد شُحوبْ
تسائلُهُ هَمَسَاتُ العصافيرِ عن سحرها

* * *

وروحي الذي رَسَبَتْ في مُنَاه ثُلوجُ الملالْ
ولاذ بزاوية جَهْمةٍ من زوايا الخيالْ
دعيهِ يُعانقْك سكرانَ من وهجِ هذا البريقْ
ويشربُ يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقْ
يفيض عليه سناكِ الحنونْ
ويُرْسلُه شُعْلَةً من جنونْ
ولحناً رقيقْ
نذرتُ مقاطعَهُ لعذوبةِ هذا الجمالْ

* * *

دعيني ! هنا لا أحسّ سوى روحكِ الشارده
تُقبّل شَعْري ، وتُـدفيء أحلاميَ البـارده
هنا أنتِ ، بنت حقول الجنُـوب وألوانها
قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحْر غُدْرانها
وهـذا الصفاء صفاء الحيـاه
هناك ، وهمسُكِ شدو الرعاه
لقُطْعانهـا
دعيني ! فأنتِ الإله هنـــا وأنا العابده

* * *

ومن أجل عينيكِ هاتين حيث يعيشُ الأبَـدْ
أعيشُ أؤرّخُ كالآخرينَ بأمسٍ وغـــدْ
وكالآخرين أعيش أُجرّ قُيود المكان
وأحملُ فوقَ جبينيَ عبءَ الدجى والدخان

لعينيك أرشفُ كاسَ الغيومْ
وأعبر ليـــلاً جفتْه النجومْ
وأطوى الزمانْ
مكبّلةً بالأسى الآدميّ وقيـــدِ الجَسَدْ

* * *

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجْ
وجف رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللَجُوجْ
ولولاكِ ما كان أخشن مسّ الفضاء الرهيبْ !
وهذي النعومةُ ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبْ
ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ ؟
ومن ذا يوسّدُ خدّ الجمالْ ؟
ومن ذا يُذيب
بريقَ الحرارةِ في سَرْوةٍ جمّدتها الثلوجْ ؟

ولولاك أينَ إذنْ يستحمّ جبينُ السلامْ ؟
وهذي المشاعرُ أينَ تصُبّ ، وأين تنــــامْ ؟
وبعضُ العـُيون التي جمعتْ الف حُلْمٍ مُحالْ
وقد نَضِجَتْ خلف أهدابهـــا نَغَماتُ الجمالْ
دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ
فلولاكِ سدّتْ عليها الحياةْ
رحابَ الخيالْ
ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيرَ بَرْد الظلامْ
١٩٥٢/١/٢٨

بقايا

مُرّ بي إن شئتَ مَسْروقَ الرؤى ميْتَ النشيد
مُرّ ، في نفسِكَ أعمـــاقٌ من الصمْتِ البليدِ
حاملاً وجهَ أبي هولٍ جديدِ
ساحباً أعباء قلبٍ من جليدِ
كُنْ ، إذا شئتَ ، بلا طَعْمٍ ، خريفيّاً ، مِلا
آه لكنْ ... ألْقِ ظلا .

* * *

ولتكن عيناكَ أفْقاً فارغـــاً دون ضياءْ

تملأن الكونَ ضِحكاً فارغــاً ، كالاغبياءْ
أبداً لم تُــدْركا معنى البــكاءْ
وانطباقَ الجفْنِ فوق الكبرياءْ
لتكنْ عيناكَ خلْواً أفْقُها من كلّ معنى
آه لكن ... ألْقِ لونا .

* * *

وليكن ماضيكَ قد ماتَ ووارتْه السنينْ
ليكن أصبح في حُضْنِ الثرَى أكداسَ طينْ
ليس في قلبك عِرْقٌ من حنينْ
ليس إلا بعضُ إحساسٍ مُهينْ
ليكن حبّكَ قد فات مــع الأمسِ ومرّا
آه لكن ... أبقِ ذكرى .

* * *

وليكنْ ظلّ الغَـدِ القادم موتاً وظلاما
لنكنْ نحن سنمسِي فيه جُرْحاً وحُطاما
وفمْ الأحداث يمتصُّ العظامـا
ثمَّ يُلْقيها على الأرض رُكاما
ليكنْ لونُ الغـدِ الآتي ضَبَاباً مُدْلهمّا
آه لكن .. أبقِ حُلْماً

* * *

إن يكن قد كُشِفَ اللغْزُ عن الأمس المُهَانِ
وبَدَتْ فيـه الأساطير ولاحتْ للعِيانِ
انجلى ما سترتْ كفّ الزّمانِ
عن كيانٍ خَرِبٍ دونَ كيانِ
ليكن عاد وضوحاً دون ظـل وتَعَرّي
آهِ لكن .. أبقِ سرا

* * *

لتكن روحاً يطوف العمْرَ في صمْت أليمِ
مزّقت حـلْمَ صِباهُ نقمةُ الجُرْحِ القديمِ
فمضى يلعَنُ آفاقَ النجومِ
ويُذيبُ الليلَ أقداحَ سُمُومِ
لتكن هدّمْتَ ، لم تستبقِ في صدرِكَ حبّا
آه لكن ... أبق قلبا

* * *

نحن ضيّعْنا طريقَ الغَدِ في الليل الرهيبِ
ونسِينا راحةَ القلبَيْنِ في الأمسِ القريبِ
أصْغِ لم يبْقَ سوى همْسِ الذنوب
في سكونِ الكونِ ، في الليل الرّهيب
فخذ الكأسَ إذَا شئت ومزّقْ مـــا تبقّى
آه لكن .. أبقِ عرْقـا
أبْقِ عرْقا .

١٥/٤/١٩٤٩

ساعة التذكر

هذه ساعة التذكّرِ ، كاد الـ
ـليل يبكي معي ويُصْغي مليّا
إنّما ساعةُ التذكّرِ ، والأجـ
ـراسُ تطوي كآبةَ الصمتِ طيّا
وأحسُّ الخُطَى تمرّ حيارى
خلفَ بابي كما مررنَ مرارا
وأحسُّ الوجوه هبّتْ من الما
ضي وعادتْ مملوءةً أسرارا

الخُطَى والوجوهُ أسمعها ، ألـ
ـمحُها في الدَّجى تحدّقُ فيّا
الخُطَى والوجوه يا ساعة الذكـ
ـرى وقلبٌ طَغَى أساه وثارا
خلفَ بابي يمُرّ بي موكب الأشـ
ـباحِ يستصرخ الدموعَ الغزارا
الخُطَى والوجوه من عمْق ماضٍ
خلتُه عـــاد غابراً مَطْويّا

وحنينِ الأصداء يشهق خلف الـ
ـبابِ في موكبٍ عميقِ السكونِ
ضحكاتٌ مبتورةٌ تذرع الظُلْـ
ـمةَ والصمتَ في جمودٍ حزين
ودموعٌ في أعيُنٍ أقفلَ التـا
ريخ أهدابَها على ألفِ سرٍّ

وعروقٌ تضجُّ خلفَ ليالٍ
شردتْ في الزمانِ دون مقرٍّ
وشفاهٌ أماتَ ألفاظَها الصَمْ
ت سوى رعشةٍ وبعض أنينِ
وجدارٌ عطشانُ تعصره الشم
سُ وذكرى الظلَّيْنِ أعنفَ عصرِ
وزمانٌ أفنت مواعيدَه الفَوْ
ضَى وأبقتْه في شرودٍ وذعرِ
ودروبٌ يكاد يصرخ فيها الظ
ـلّ شوقاً لعابرٍ مفتونِ

ومرور الأشباح يشهَق خلف الـ
بابِ في همسةٍ ترنُّ طويلا
موكبٌ شاحبٌ شحوبَ غدٍ ما
زال لُغْزاً وعالمـاً مجْهولاً

موكبٌ كل خُطْوةٍ من خُطَى أشـ
باحِـه رعشةٌ على شفَتَيّا

كلّ وجهٍ يعود في عُمْق نفسي
زمناً كامـلاً عميقاً خفيّا

في ظلامِ الذكرى أمُدّ ذراعيّ
لعـلّ الأشباحَ تدنو قليلا

في ظلام الذكرى ، وافتَح بابي
لأرى الموكبَ الحزينَ مليّا

في ظلام الذكرى ، وأدفَع كفّي
في جنونٍ عسايَ ألمسُ شيّا

فاحسُّ الفَرَاغَ في جَسَد الأشـ
باحِ أنّى أصافحُ المستحيلا ؟

١٢ / ٤ / ١٩٤٩

هل ترجعين ؟!

«قصيدة نظمتها لعمّتي
التي توفيت سنة ١٩٤٨»

ما زالت الذكرى تَضِجّ وراء إحساسي الدفينْ
إن نمت ألمحُها تسير معي يُجَسّدُهـــا الحنينْ
تأويهةٌ ألقـــى بها الماضي إلى شطّي الحزينْ
معصوبة بعُروقِ أحـــلامي الحبيساتِ الرنينْ
إنْ نمت ألمحُها فتصرخ لهفتي : هل ترجعين ؟

هل ترجعينَ إذا حَلُمْت بما مضى؟ هل ترجعين ؟

* * *

ما زالت الذكرى تضجّ ، ولم أزلْ في أسرهـــا
ما زالت ، تنطفىء ابتساماتي لمَعَبرِ ذكرها
يتقاسم الليل الصديق معي حـــرارةَ جمرها
وتظَلّ تحفـــر في عروقي الوالهاتِ بظُفْرِها
عطشى، أراكِ ولا أمسّكَ ، أينَ أنتِ ؟ أتسمعينْ؟
وإذا دعوتُكِ من خلال مدامعي ، هل ترجعينْ ؟

* * *

ألشّوق يعصرُني إليكِ ويطفىء المرحَ الكَذوبْ
يغتـــال أفراحي ويُسْلم كلّ ضوء للغروبْ
إني أمـــوتُ تحرّقـــاً وتعطشاً ، إني أذوبْ

لم يَبْقَ إلا رجْـــع أصداءِ يكفّنُها الشحوبْ
عرَفَتْ بها روحي المَشُوقة بعض تَذْكارِ السنينْ
فصرختُ في ألمٍ خريفي الصدى : هل ترجعين ؟

* * *

والشّوقُ للموتى سُهادٌ ليسَ يَشْفيهِ الضياءْ
ألشوق للموتى جراحٌ ليس يقربَها شِفاء
أبكي ؟ أذوبُ ؟ سدًى ؟ فبعض النار يأبى الانطفاءْ
بعضُ التعطشِ مستحيلٌ أن يطوف به ارتواءْ
يبقى يمزّقني وأنتِ بعيدةٌ لا تُدْركينْ
وأنا انتفاضٌ صارخٌ في حَسْرةٍ : هل ترجعين

* * *

وأنا أُعدّ الذكريات وأرقُبُ الزمَنَ الكَسُولْ
يمشي على عُكّازَتَيْن من الكـــآبةِ والذهولْ
يمشي ويحصي ما على وجهي المقنّع بالذبولّ
والصمتِ من صُوَرٍ تموت وأنجم بيدِ الأفولْ
وأنا ؛ وأحلامي ، وقلبي ، قصّـةٌ لو تعلمينْ
ما زلت أحكيها وأصرخ في الدجى : هل ترجعينْ ؟

١٩٤٨/٣/٩

صلاة الأشباح

تململت الساعةُ البارده
على البرج ، في الظلمة الخامده
ومدّتْ يدا من نُحاسْ
يداً كالأساطير بوذا يحرّكُها في احتراسْ
يدَ الرّجل المنتصبْ
على ساعة البرج ، في صمته السرمديّ
يحدّقُ في وجْهة المكتئبْ
وتقذفْ عيناهُ سيلَ الظلامِ الدّجيّ

على القلعة الراقده
على الميّتين الذينَ عيونُهُمُ لا تموت
تظَلّ تحدّقُ ، ينطقُ فيها السكوتْ
وقالتْ يد الرَّجُلِ المنتصِب :
« صلاةٌ ، صلاه ! »

* * *

ودبّتْ حياه
هناكَ على البُرْج ، في الحَرَسَ المُتْعَبينْ
فساروا يجرّونَ فوق الثَّرَى في أناه
ظلالَهُمُ الحانيات التي عقَفَتْها السنينْ
ظلالَهُمُ في الظلام العميقِ الحزينْ
وعادتْ يدُ الرجلِ المنتصِبْ

تُشير : « صلاةٌ ، صلاه ! »
فيمتزجُ الصوتُ بالضجّة الداويه ،
صدَى موكبِ الحَرَسِ المقتربْ
يدُقّ على كلّ بابٍ ويصرخُ بالنائمينْ
فيبرُزُ من كلّ بابٍ شَبَحْ
هزيلٌ شَحِبْ ،
يَجُرّ رَمَادَ السنينْ ،
يكاد الدُجى ينتحبْ
على وَجْهِهِ الجُمْجُمِيّ الحزينْ

* * *

وسار هنالكَ موكبُهُمْ في سُكونْ
يدبّونَ في الطُرقاتِ الغريبةِ ، لا يُدْركونْ
لماذا يسيرونَ ؟ ماذا عسى أن يكونْ ؟

تلوّتْ حوالَيْهمُ ظُلُماتُ الدروبْ
أفاعيَ زاحفةً ونُيُوبْ
وساروا يجرّون أسرارَهُمْ في شُحُوب
وتهمُس أصواتهم بنشيدٍ رهيبْ ،
نشيدِ الذينَ عيونُهُمُ لا تموتْ ،
نشيد لذاك الإلهِ العجيبْ
وأغنيةٌ ليد الرَّجُلِ المنتصب
على البرج كالعنكبوتْ
يدٌ من نحاسْ
يحرّكها في احتراسْ
فترسل صيحتَها في الدياجي
« صلاةٌ ، صلاةْ »

* * *

وفي آخر الموكب الشَّبَحيّ المُخيفْ

رأى حارس شَبَحَيْن

يسيرانِ لا يُدْركان متى كان ذاك وأيْن ؟

تحُزّ الرّياح ذراعيهما في الظلام الكثيفْ

وما زال في الشَبَحينِ بقايا حياه

ولكنّ عينيهما في انطفاءْ

ولفظُ « صلاة صلاه »

يضِجّ بسَمْعَيْهما في ظلام المساءْ

* * *

« ألستَ ترى »

« خُذْهما ! »

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَح في الطريق

* * *

وفي المعْبَد البرّهميّ الكبير

وحيثُ الغموضُ المُثيرْ
وحيثُ غرابةُ بوذا تلُفّ المكانْ
يُصلّي الذينَ عيونُهُم لا تموتْ
ويَرْقُبُهم ذلكَ العنكبوتْ
على البرج مستغْرَقاً في سكوتْ ،
فيرتفعُ الصوت ضخماً ، عميق الصدى ، كالزمان
ويرتجفُ الشَبَحانْ

* * *

« من القلعةِ الرطبةِ البارده
« ومن ظُلُمات البيوت
« من الشُرَف الماردِه
« من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتْ
« تشيرُ لنا في سكوتْ

« من الطرقات التي تَعلِكُ الظُلْمَةَ الصامته
« أتيناكَ نسحَب أسرارَنا الباهته
« أتيناكَ ، نحن عبيدَ الزمانْ
« وأسرَاه نحن الذينَ عيونُهُم لا تموتْ
« أتينا نَجُرّ الهوانْ
« ونسألُكَ الصفْحَ عن هذه الأعين المُذْنبه
« ترَسّبَ في عُمْق أعماقها كلُّ حزْنِ السنينْ
« وصوتُ ضمائرِنا المُتْعَبَه
« أجشٌّ رهيبُ الرّنينْ
« أتيناكَ يا من يذُرّ السُهادْ
« على أعينِ المُذْنبينْ
« على أعينِ الهاربينْ
« إلى أمسِهِم ليلوذوا هناك بتلّ رَمادْ
« من الغَدِ ذي الأعين الخُضرِ . يا من نراهْ
« صباحَ مساءَ يسوقُ الزمانْ

« يحدّق ، عيناه لا تغفوان
« وكفّاه مَطْويّتانْ
« على ألفِ سرٍّ . أتينا نُمرِّغ هذي الجباهْ
« على أرض معبدِهِ في خُشوعْ
« نُناديهِ ، دونَ دموعْ ،
« ونصرخ : آه !
« تعِبْنا فدعْنا ننامْ
« فلا نسْمع الصوتَ يَهْتف فينا : « صلاه ! »
« إذا دقّتِ الساعة الثانيه ،
« ولا يطرق الحَرَس الكالحونْ
« على كل باب بأيديهم الباليه
« وقد أكلتْها القُرونْ
« ولم تُبْق منها سوى كومة من عظامْ
« تعبنا ... فدعنا ننامْ ..
« ننامُ ، وننسى يد الرجل العنكبوتْ

« على ساحة البرج . تنثرُ فوق البيوتْ
« تعاويذَ لعنتها الحاقده
« حنانك بوذا ، على الأعينِ الساهده
« ودعْها أخيراً تموتْ .

* * *

وفي المعبد البرهمي الكبير
تحرّكَ بوذا المثير
ومدّ ذراعيه للشبحَيْنْ
يُبارك رأسيْهما المُتْعَبَيْنْ
ويصرخُ بالحَرَس الأشقياءْ
وبالرّجلِ المنتصبْ
على البرْج في كبرياءْ ،
« أعيدوهما ! »

ثم لفَّ السكونُ المكانْ

ولم يبقَ إلا المساءْ ،
وبوذا ، ووجه الزمانْ

١٩٤٩

خاتمة

إرجعْ فالليـل تُثير مخاوفُـه قَلَقي
وأنا وحْدي والنجمُ بعيد في الأُفقِ
يخدعني أمل في فجرِهِ لم ينبثقِ
وصُبَابــة دمع باردة لم تحـترقِ

* * *

ومددتُ يدي فرجَعتْ بجفنةِ ظلماء
وسالتُ الليلَ فبؤت ببضعة أصداء
أصداءٌ مغرقَــةٌ في سورة إغماء

جاءتْ تزحف من أغوار الماضي النائي

* * *

دربي حاولتُ سدىً أن أرفع أستارَهْ
تَصْخَبُ في عتْمتهِ أشباحٌ ثرثاره
أنكرتُ الدربْ كأنْ لم أعرف أحجاره
يوماً بالأمس ولم أستكشف أسرارَه

* * *

أرجعْ ، أوّاه ألا تسمع صوتي الموهون ؟
لن أبقى وحدي في هذا الدربِ المجنون
هذا الأفق المستغلق حيث النجْم عيون
حيث الأشجارُ هيا كلُ أفكارٍ وظنونْ

* * *

تتردّد فيه أصواتٌ تُنْذر حبّي

أصواتٌ غادرةٌ تنبح ملءَ الرّحبِ
صدّقني وارجع أخشى أن تجرح قلبي
صدقني .. إني أسمعـــها تملأ دربي

في المَعبَر سَعلاةٌ ترمُق طيفي بفتُّورْ
ووراءَ المُفتَرقِ المتشعّبِ بعض قبورْ
خذْ بيدي ولنتركْ هذا الأفقَ المهجورْ
لا تتركني روحاً صارخةً في الديجورْ

١٩٤٨/٤/١

دعوة إلى الحياة

إغضبْ ، أحبّكَ غاضباً متمرّداً
في ثورةٍ مشبوبةٍ وتمــــزّقِ
أبغضتُ نومَ النار فيكَ فكن لظىً
كن عرْقَ شوقٍ صارخ متحرّقِ

* * *

إغضبْ، تكاد تموت روحُك ، لا تكن
صمتاً أضيّعُ عنــــدَهُ إعصاري
حسبي رَمادُ الناس ، كن أنت اللظى

كن حُرقة الإبداع في أشعاري

إغضبْ ، كفاك وداعة . أنا لا أحبّ الوادعين
النّار شرعي لا الجمود ولا مهادَنة السنين
إني ضَجرْتُ من الوَقارِ ووجههِ الجهْم الرصينْ
وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاش لَظَى الحنين
إغضبْ على الصمت المُهينْ
أنا لا أحبّ الساكنينْ

* * *

إني أحبك نابضاً ، متحركاً ،
كالطفل ، كالريح العنيفةِ كالقَدَرْ
عطشانَ للمجد العظيم فلا شذىً
يُرْوِي رؤاك الظامئاتِ ولا زَهَرْ

* * *

الصبْرُ؟ تلك فضيلة الأموات ، في
برد المقابر تحتَ حكم الدود
رقدوا وأُعطينا الحياةَ حرارةً
نشوى وحُرقْةَ أعين وخدودِ

* * *

أنا لا أحبّك واعظاً بل شاعراً قلق النشيدْ
تشدو ولو عطشانَ دامي الحلْق محترقَ الوريد
إني أحبُّكَ صرخةَ الاعصار في الأفق المديدْ
وفماً تصبّاه اللهيب فبات يحتقر الجليدْ
أين التحرّق والحنينْ ؟
أنا لا أطيق الراكدينْ

* * *

قطّبْ ، سئمتُكَ ضاحكاً ، إنّ الرُّبى
بردٌ ودفء لا ربيعٌ خـــالدُ
العبقرية ، يا فتايَ ، كئيبةٌ
والضاحكونَ رواسبٌ وزوائدُ

* * *

إني أحبّك غُصّـــةً لا ترتوي
يَفنى الوجود وأنتَ روحٌ عاصفُ
ضَحِكٌ جنونيٌّ ودمْعٌ مُحْرِق
وهـــدوء قدّيسٍ وحسٌّ جارف

* * *

إني أحبُّ تعطشَ البركان فيكَ إلى انفجارْ
وتشوّقَ الليل العميق إلى ملاقاة النّهارْ

وتحرّقَ النبع السخيّ إلى معانقة الجرارْ
إني أريدكُ نهرَ نارٍ ما لِلُجّتهِ قرارْ

* * *

فاغضب على الموت اللعينْ
إني مَللت الميّتــينْ

شجرة القمر

ملاحظات

حول قصائد هذا الديوان

- أ -

حول « شجرة القمر »

أصل هذه القصيدة أن بنت عمي الصغيرة ميسون كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ في غرفتي ، فألحت علي أن أقص عليها قصة. وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المرهفة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهي جالسة إلى جواري تنظر إليّ في شغف

فما انصرمت الظهيرة إلا وقد انجزت الصفحات الأولى من القصيدة .

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة انكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩ وأذكر من ظروف قراءتي لها انني وقعت عليها في مجموعة شعرية للأطفال من كتب صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها في ضهور الشوير ذلك الصيف . فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية فيها واختزنتها في ذاكرتي إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات. وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة . وأصلها الانكليزي قصير قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم . فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العاري لا غير . أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لي . وكم يؤسفني انني لا أعرف حتى عنوان الكتاب الذي قرأت فيه المقطوعة، ولا أعرف اسم الناظم . والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت إلى انكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عني أخبارها.

ويرجع سبب اختياري الحكاية انني وجدت فيها

بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن في الوقت نفسه أن أحملها رموزا شعرية عالية بحيث يقرأها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه . ولعله لا يخفي أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر « أو الفنان » ، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها ، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه . حتى إذا فعل ذلك كما تمنى ، وتخيّل أنه حقق سعادته ، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده ، فهي لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره . وتكون ثورة الرعاة والصيّادين رمزاً للحقّ العام في القمر ، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الاسير فان ذلك لا يتمّ إلا بخدعة يرتكبها الغلام ، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر ، لأن ثمرها المتدلي من أغصانها ليس إلا أقماراً فضيّة متألقة. وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنّه فاذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله، فان في وسع الفنان الذي يحب

ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور . وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود ويكتفي بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر . ومن الطبيعيّ أن تكون هذه الشجرة غذاء روحياً للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه للجمال .

ولكن هل استوعبت ميسون الصغيرة، في عمرها الغضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي لها ؟ طبعاً ، لا . وإنما أحبتها لأنهـــا حكاية القمر والشجرة التي تثمر أقماراً ، ولأنها حكاية غلام شاعريّ النزعة ، روحاني الاتجاهات ، يأكل ضوء النجوم بدل الغذاء ويشرب المطر ويطارد الفراشات . وذلك هو المستوى الظاهري للقصيدة . وفي وسع أيّ قارىء أن يكتفي به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها .

وقد اخترت لقصيدتي مسرحاً شعريّاً التقطته من ذكرياتي عن جبالنا السحرية في شمال العراق . ومن الحق أن أقول إنني زرت في حياتي جبالاً كثيرة في

تركيا وايطاليا ولبنان وفلسطين والأردن فلم أر جبالاً لها من السحر والروعة ما يضارع جبال الشمال عندنا. فان الجمال هناك يأسر روحي حتى أغيب في سكرة شعورية كلما زرت لواء أربيل وتوغلت في مضايقه ووديانه . وأنا إنما أصوّر هذه الجبال في قصيدة « شجرة القمر » وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها .

— ٣ —

حول « البحث »

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على اسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض العربيّ ، فشطرت البيت إلى شطريه وان كان أغلب أبياتها مدوّراً . وأيّ قارىء قد اطّلع على ديواني «قرارة الموجة» وعلى الطبعة الثانية من «عاشقة الليل» و « شظايا ورماد » سيلاحظ انني قد خالفت خطتي

في كتابة البحر الخفيف فقد كتبته في تلك الدواوين دونما مراعاة للوقفة العروضيّة وإنما راعيت في الكتابة المعنى وحـــده . ومن ثم فان قصيدة (حصاد المصادفات) قد كتبت كما يلي :

حينما يرقد الهوى ميّتاً

فوق تراب الأيّام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع

لعهد مغلّف بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة – خاصة للقارىء الذي لا يحسّ الوزن – وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور مع انها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا :

حينما يرقـــد الهوى ميّتاً فو

ق تراب الأيّـــام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوق

ع لعهـــدٍ مغلّفٍ بالظلام

والسبب البسيط كل البساطة الذي دفعني إلى أن أكتب البحر الخفيف بهذا الشكل في دواويني السابقة ان تلك الدواوين طبعت في حجم صغير لا يزيد عن حجم الكفّ فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح البيت المدوّر من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف. وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندي مدوّرة ، وأدركت ان عليّ أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم في شطر ، استثقلت هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن. وقد قدّرت ان القارىء الذي يقرأ شعري لا بدّ ان يكون قادراً على إدراك موضع الوقفة العروضيّة . وهكذا دفعتني الملابسات الماديّة للطبعة إلى أدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها . وقد كان يعزيني في ذلك ان الوزن لا يتغير مهما كان الشكل الذي نختاره لكتابته حتى لو كتبناه كما نكتب النثر ، فهو موزون على كل حال

وعند ذاك ، في سنة ١٩٥٧ ، لم يكن يدور في

خلدي أن أناساً من الشعراء سيتخذون عملي الاضطراري سنّة يحتذونها في منشوراتهم الشعرية ودواوينهم . ولكم جزعتُ عندما صرتُ أرى في المجلات قصائد موزونة على الشكل العربيّ وزناً تاماً ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر. وقد جمعتني مجالس غير قليلة بأدباء وقرّاء يقرأون هذه القصائد الجارية على الوزن العربي كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور .

ومهما يكن من أمر فيهمني أن أدرج قصيدة البحر الخفيف في هـــذا الديوان على الشكل العربي الدارج منتهزة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائي الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على الأسلوب العربي ثم يدرجونه وكأنّه شعر حر . فإن هذا العمل لا يزيد القارىء العربي إلا بلبلة وجهلاً في وقت نحب فيه أن ننشىء ثقافة شعرية رصينة نضيء بها طريق الأمة العربية .

- ٣ -

حول « الشعر الحرّ »

يلاحظ ان في هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحرّ وقد يعجب بعض القرّاء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان لأنهم ألفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً وكأنهم أعداء لها وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحرّ وحده في تعصّب وعناد . وأحبّ أن أذكّر القارىءفي هذه التقدمة أنني لم أدعُ يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحرّ ، وأبرز دليل على هـــذا ديواناي السابقان . أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذي دعوت في مقدمته إلى الشعر الحرّ دعوة متحمسة فلم تكن فيه إلا اعشر قصائـــد حرّة بينما كانت القصائد الأخرى جميعاً تنتمي إلى الأوزان

الشطرية . وأما (قرارة الموجة) ديواني الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحرّ . ولا أذكر قط انني اقتصرت على الشعر الحرّ في أية فترة من حياتي . وسبب هذا انني أولاً أحب الشعر العربيّ ولا أطيق أن يبتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة . ثم أن الشعر الحرّ كما بينت في كتابي – قضايا الشعر المعاصر – يملك عيوباً واضحة أبرزها الرتابة والتدفّق والمدى المحدود وقد ظهرت هذه العيوب في أغلب شعر شعراء هذا اللون . وهذا حاصل أيضاً في الشطرين فإن له مزايا وله عيوب .

واني لعلى يقين من أن تيار الشعر الحرّ سيتوقف في يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطريّة بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بهـــا . وليس معنى هذا ان الشعر الحرّ سيموت وانما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصّب له ويترك الاوزان العربية الجميلة .

ومما أحبّ أن أعلن أسفي له انني في شعري الحرّ لم أعنَ عناية أكبر بالقافية فكنت أغيّر القافية سريعاً

وأتناول غيرها ، وهذا يضعف من الشعر الحر . لأنه يقوم على أبيـــات تتفاوت أطوال أشطرها وبذلك ينقص رنينها وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنىً ولم يغيّرها سريعاً لأضفى على الوزن موسيقى تمسكه وتمنعه من الانفلات . ولهذا بتّ أدعو إلى أن يرتكز الشعر الحرّ إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً ونحميه من ضعف الرنين وانفلات الشكل .

نازك الملائكة

البصرة
في ١٩٦٧/٣/٢٨

شجرة القمر

« قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت
في الحادية عشرة من عمرها »

— ١ —

على قمّة من جبال الشمال كَساها الصنوبرْ
وغلّفها أُفُقٌ مُخمليٌّ وجوٌّ مُعَنْبَرْ

* * *

وترسو الفراشاتُ عند ذُرَاها لتقضيْ المَسَاءْ
وعند ينابيعها تستحمّ نجومُ السَمَاءْ

* * *

هنالكَ كان يعيشُ غلامٌ بعيــدُ الخيــالْ
إذا جاعَ ياكلُ ضوءَ النجومِ ولونَ الجبالْ

* * *

ويشربُ عطْـرَ الصنوبرِ والياسمين الخَضِـلْ
ويملأ أفكارَهُ من شَذَى الزنبقِ المُـنْـفعلْ

* * *

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامض الذكرياتْ
وكان يطارد عطر الرُبَـى وصَـدَى الأغنياتْ

* * *

وكانت خلاصةُ أحلامِهِ أن يصيدَ القَـمَـرْ
ويودعَـهُ قفصاً من ندىً وشذىً وزَهَـرْ

* * *

وكان يقضّي المساءَ يحوك الشباكَ ويَحْلُمْ
يوسّدُهُ عُشُبٌ باردٌ عند نبع مغمغِمْ

* * *

ويسْهَرُ يرمُقُ وادي المساء ووجْهَ القَمَرْ
وقد عكستْهُ مياهُ غديرٍ بَرُودٍ عَطِرْ

* * *

وما كان يغفو إذا لم يَمُرّ الضياءُ اللذيذ
على شَفَتيهِ ويسقيهِ إغماءَ كاسِ نبيذْ

* * *

وما كان يشربُ من منبع المـــاء إلا إذا
أراق الهلالُ عليه غلائلَ سكرى الشَذَى

* * *

- ٢ -

وفي ذات صيفٍ تسلّل هذا الغلامُ مساءْ
خفيفَ الُخطَى،عاريَ القدمين، مَشُوقَ الدماءْ

* * *

وسار وئيداً وئيداً إلى قمّةٍ شاهقه
وخبّأ هيكلَهُ في حِمَى دَوْحةٍ باسقه

* * *

وراح يعُدّ الثوانيْ بقلبٍ يدُقّ يدُقّ
وينتظرُ القَمَرَ العذْبَ والليلُ نشوانُ طَلْقُ

* * *

وفي لحظةٍ رَفَعَ الشّرْقُ أستارَهُ الُمعْتمه
ولاحَ الجبينُ اللجينيّ والفتنةُ الُملْهِمه

* * *

وكان قريباً ولم يَرَ صيّادَنا الباسمـــا
على التلّ فانسابَ يذرَعُ أفْقَ الدُجى حالما

* * *

... وطوّقَـهُ العاشقُ الجبليّ ومسّ جبينَهْ
وقبّلَ أهدابَــهُ الذائباتِ شذىً وليونهْ

* * *

وعاد به : بيحارِ الضياء ، بكأس النعومهْ
بتلك الشفاهِ التي شَغَلتْ كل رؤيا قديمه

* * *

وأخفاه في كوخــه لا يَمَلّ إليه النَظَرْ
أذلكَ حُلْمٌ ؟ وكيف وقد صاد .. صادَ القمرْ ؟

* * *

وأرقَدَه في مهـــادِ عبيريّـةِ الرّونقِ
وكلّلَهُ بالأغـاني ، بعيـْنيهِ ، بالزّنـبقِ

- ٣ -

وفي القريةِ الجبائيّـةِ ، في حلَقَات السّمَرْ
وفي كلّ حقل تـنـَادَى المنادون: «أين القمر؟»

* * *

« وأين أشعّتُـهُ المُخمليّةُ في مَرْجنا ؟ »
« وأين غلائلُـهُ السُحُبيّة في حقلنا ؟ »

* * *

ونادت صبايا الجبالِ جميعاً « نُريدُ القَمَرْ ! »
فردّدتِ القُنَنُ السامقاتُ : « نُريدُ القَمَرْ »

* * *

« مسامِرُنا النهيّ وساقي صدى زَهْرنا »
« وساكبُ عطر السنابِل والورد في شَعْرنا »

* * *

« مُقَبّلُ كلّ الجِراح وساقي شفاه الورودْ »
« وناقلُ شوقِ الفَراشِ لينبوعِ ماءٍ بَرودْ »

* * *

« يضيءُ الطريقَ إلى كلّ حُلْمٍ بعيدِ القَرارْ »
« ويُنْمي جدائلَنا ويُريقُ عليها النُضارْ »

* * *

« ومن أينَ تبرُدُ أهدابُنا ان فَقَدْنا القَمَر ؟ »
« ومنذا يرقّقُ ألحاننا ؟ من يغذّي السَمَرْ ؟ »

* * *

ولحنُ الرعـاةِ تردّدَ في وحشةٍ مضنيهْ
فضجّتْ برَجْعِ النشيدِ العرائشُ والأوديه

* * *

وثاروا وساروا إلى حيثُ يسكُنُ ذاكَ الغُلامْ
ودقّوا على البابِ في ثورةٍ ولَظَىً واضطرامْ

* * *

وجُنّوا جُنوناً ولم يَبْقَ فوق المَرَاقي حجَرْ
ولا صخرةٌ لم يُعيدا الصُراخَ : « نُريدُ القَمَرْ »

* * *

وطاف الصَدَى بجناحيْهِ حول الجبالِ وطارْ
إلى عرَباتِ النجومِ وحيثُ ينامُ النّهارْ

* * *

وأشرَبَ من نارِهِ كلّ كأسٍ لزهرةِ فُلّ
وأيقَظَ كلّ عبيرٍ غريبٍ وقَطْرةِ طلّ

* * *

وجَمّعَ من سَكَراتِ الطبيعةِ صوتَ احتجاجْ
ترددَ عند عريش الغلامِ وراء السياجْ

* * *

وهزّ السكونَ وصاحَ: «لماذا سَرقْتَ القَمَرْ؟»
فجُنّ المَسَاءُ ونادى: «وأينَ خَبأْتَ القَمَرْ؟»

— ٤ —

وفي الكوخِ كان الغلامُ يضُمّ الأسيرَ الضحوكْ
ويُمْطرُهُ بالدموع ويَصْرُخُ: «لن يأخذوكْ؟»

* * *

وكان هُتَافُ الرّعاةِ يشُقّ اليهِ السكونْ
فيسقُطُ من روحه في هُوًى من أسىً وجنونْ

* * *

وراح يغنّي لملهِمه في جَوًى وانْفعالْ
ويخلطُ بالدّمْع والملح ترنيمَةً للجمالْ

* * *

ولكنّ صوتَ الجماهيرِ زادَ جُنوناً وثوره
وعاد يقلّبُ حُلْمَ الغلامِ على حدّ شفره

* * *

ويهبطُ في سَمْعه كالرّصَاص ثقيلَ المرورْ
ويهدمُ ما شيّدتْهُ خيالاتُهُ من قصور

* * *

وأين سيهرُبُ ؟ أين يخبّىء هذا الجبينْ ؟
ويحميهِ من سَورْة الشَوْقِ في أعين الصائدين ؟

* * *

وفي أيّ شيء يلفّ أشعتَهُ يا سَماء
وأضواؤه تتحدّى الخابىءَ في كبرياء ؟

* * *

ومرّتْ دقائقُ منفعِلاتٌ وقلبُ الغُلامْ
تمزّقُهُ مُدْيةُ الشكّ في حَيْرةٍ وظلامْ

* * *

وجاء بفاسٍ وراح يشقّ الثَرَى في ضَجَرْ
ليدفِنَ هذا الأسيرَ الجميلَ ، وأينَ المفرْ ؟

* * *

وراحَ يودِّعُهُ في اختناقٍ ويغسِلُ لونَهْ
بأدمعِهِ ويصُبّ على حظِّهِ ألفَ لعنَهْ

- ٥ -

وحينَ استطاعَ الرُعاةُ المُلحّون هدْمَ الجدارْ
وتحطيمَ بوّابةِ الكوخ في تَعَبٍ وانبهارْ

* * *

تدفّقَ تيّارهم في هياجٍ عنيفٍ ونقمه
فماذا رأوا ؟ أيّ يأسٍ عميق وأيّة صدْمَه !

* * *

فلا شيءَ في الكوخ غيرَ السكون وغيرَ الظُلَمْ
وأمّا الغُلامُ فقد نام مستغرقاً في حُلُمْ

* * *

جدائلُهُ الشُقْرُ مُنْسدِلاتٌ على كَتِفيهِ
وطيفُ ابتسامٍ تلكّأ يَحلُمُ في شفتيهِ

* * *

ووجهٌ كأنّ أبولونَ شرّبَهُ بالوضاءه
وإغفاءةٌ هي سرّ الصَفــاءِ ومعنى البراءه

* * *

وحار الرُعاةُ أيسرَقُ هذا البريءُ القَمَرْ ؟
ألم يُخطِئوا الإتّهام ترى ؟ ثمّ ... أينَ القَمَرْ ؟

* * *

وعادوا حَيارى لأكواخهم يسألونَ الظلامْ
عن القَمَر العبقريّ أتاهَ وراءَ الغَمامْ ؟

* * *

أم اختطفتْهُ السَعالى واخفتْهُ خلفَ الغيومْ
وراحتْ تكسّرُهُ لتغذّي ضياءَ النجومْ ؟

* * *

أمِ ابتلعَ البحرُ جبهتَهُ البضّةَ الزنبقيّه ؟
وأخفاهُ في قلعهِ من لآلىءَ بيضٍ نقيّه ؟

* * *

أم الريحُ لم يُبْقِ طولُ التنقّلِ من خُفّها
سوى مِزَقٍ خَلِقاتٍ فأخفتْهُ في كهفِها

* * *

لتَصْنَعَ خُفّينِ من جِلْدِهِ اللّين اللّبَنيّ
وأشرطةً من سَناهُ لهيكلها الزنبقي

* * *

- ٦ -

وجاءَ الصباحُ بليلَ الخُطَى قمريّ البرُودْ
يتوّجُ جَبْهَتَهُ الغَسَقيّةَ عِقْدُ وُرودْ

* * *

يجوبُ الفضاءَ وفي كفّه دورقٌ من جَمالْ
يرُشّ الندى والبُرُودةَ والضوءَ فوق الجبالْ

* * *

ومرَّ على طَرَفَيْ قدَمَيْهِ بكوخ الغُلامْ
ورشَّ عليه الضياءَ وقَطْرَ النَدى والسّلامْ

* * *

وراح يسيرُ لينجز أعمالَهُ في السُفُوحْ
يوزّعُ ألوانَهُ ويُشيعُ الرضى والوضوحْ

* * *

وهبْ الغلامُ من النوم منتعشاً في انتشاءْ
فماذا رأى ؟ يا نَدَى! يا شَذَى! يا رؤى ! يا سماءْ !

* * *

هنالكَ في الساحةِ الطُحْلُبيَّةِ، حيثُ الصباحْ
تعوَّدَ ألاَّ يَرَى غيرَ عُشْبٍ رَعَتْهُ الرياحْ

* * *

هنالكَ كانت تقومُ وتمتدّ في الجوّ سِدْرَه
جدائلُها كُسِيَتْ خُضْرةً خِصْبةَ اللون ثرَّه

* * *

رعاها المساءُ وغذَّت شذاها شِفاه القَمَرْ
وأرضَعَها ضوؤه المختفي في الترابِ العَطِرْ

* * *

وأشربَ أغصانَها الناعماتِ رحيقَ شَذَاهُ
وصبَّ على لونها فضَّةً عُصِرَتْ من سَناهُ

* * *

وأثمارها ؟ أيّ لونٍ غريبٍ وأيّ ابتكارْ
لقد حار فيها ضياءُ النجومِ وغارَ النّهارْ

* * *

وُجنّتْ بها الشَجَراتُ المقلّدَةُ الجامِدَه
فمنذ عصورٍ وأثمارُهـا لم تَزَلْ واحده

* * *

فمن أيّ أرضٍ خياليّةٍ رَضَعَتْ ؟ أيّ تُرْبه
سقتْها الجمالَ المفضّضَ ؟ أي ينابيعَ عذْبهْ ؟

* * *

وأيةُ معجزةٍ لم يصِلْها خَيالُ الشَجَرْ
جميعاً ؟ فمن كلِّ غُصْنٍ طريٍّ تَدَلّى قَمَرْ

- ٧ -

ومرَّتْ عصورٌ وما عاد أهلُ القُرى يذكرون
حياةَ الغُلامِ الغريبِ الرُؤى العبقريِّ الُجنون

* * *

وحتى الجبالُ طوتْ سرّه وتناستْ خطاهُ
وأقمارَهُ وأناشيدَهُ واندفاعَ مُناهُ

* * *

وكيف أعادَ لأهلِ القُرى الواهين القَمَرْ
وأطلَقَهُ في السَماءِ كما كانَ دونَ مقرْ

* * *

يجوبُ الفضاءَ ويَنثرُ فيه النَدَى والبُروده
وشِبهَ ضَبابٍ تحدّر من أمسياتٍ بعيده

* * *

وهَمْساً كأصداء نبعٍ تحدّر في عمْق كهفٍ
يؤكّدُ أنَّ الغلامَ وقصّتَهُ حُلْمُ صيفٍ

١٩٥٢

اغنية للحياة

إذا سالوا في غدٍ عن هوانا
ونحنُ ترابٌ مع الذكرياتْ
وراحَ يُجيبُهُمُ العابرونَ
بانّا مررْنا بهذي الحيــــاةْ
وذُقْنا الهوَى والمُنى والعَذابَ
كأسلافنا ثُمَّ عدْنا رُفاتْ
وعفّتْ على أثريْنا الرياحُ
وعُدْنا ضباباً تلاشى ومَاتْ

* * *

وقـــال لهم قائلٌ : إنّـنا
شربنا الأسى في ثنايا الكؤوسْ

وإنــّ ابتساماتِنا كنّ لوناً
يغلّـفُ شيئاً طوتْـهُ النفوسْ

وإنّـــا دفعنـــا أناشيدَنا
وأحْلاَمنا للرّجاءِ العَبوسْ

وكنّا كمن قبلَنـــا غُرَباءَ
على الأرضِ ثم طوَتْـنا الرّموسْ

* * *

فمن سوف يُخْبرهم أنّنــــا
شربنا العذوبة حتى سَكِرْنا

وأنّا ملكنا ضياءَ النجومِ
ودجلةَ والفجْرَ فيا مَلَكْنا

وكانتْ لنا من خُدودِ النسيم
وسائدُ تَسْنُدُنا إنْ كَلِلْنا
وأنّا تركنا حكاياتنا
وأخبارَنا للرّياح ونِمْنا

* * *

وأنّا عَرَفْنا الحياةَ ارتعاشاً
ونبضاً وأغنيةً خالدَهْ
عَرَفْنا الغرامَ الرقيقَ الجبينِ
وذقْنا لياليَهُ الساهِدَهْ
وكم مرّةٍ قد ضَمَمْنا السّعادَ
ةَ في هذِهِ الأذرُعِ الهامدَهْ
وذُقْنا حنينَ الجمالِ اللذيذ
ومِلْحَ مدامِعنا البارِدَهْ

* * *

وكانت لنا قَطَراتُ النَدى
وُمنْزَلَقُ الضوءِ كلّ صباحْ
وكان النسيمُ شفاهاً تمرّ
تقبّلُ ما جرحتْهُ الرياحْ
وكنا نحبّ الشَذَى والنخيلَ
وآفاقَنا والسُهولَ الفِساحْ
وإنْ جرَحتْنا أكفّ الحياة
سكَبْنا الرضى في شفاهِ الجراحْ

* * *

وكانَ الوجودُ سخِيّ اليَدَين
فاعطى هوانا ضياءَ القَمَرْ
ولف خيالاتنا بالعبير
ومَدّ علينا ظلالَ الشَجَرْ

ورَوّى صَدَانا بخمر الكروم
وَطهَّرَ أفكارَنا بالمَطَرْ
وتَوَّجنا بغصون البنفْسَ
ـج والزنبقِ المُخْمليّ العَطِرْ

* * *

وكنّا لـــه باناشيدنا
وأشواقِنا المَرِحاتِ الوِضاءْ
ومن أجلِهِ قد هَوِينا الحياة
ومن أجلِهِ قد عَشِقنا الفناءْ
وها نحنُ بينَ ذراعَيْ ثَرَاهُ
نشيدَينِ لا يَعْرفان انتهاءْ
يعشّشُ في تُرَبَتَيْنا الجَمالُ
فيا جَهْلَ مَنْ ظَنّنا أشقياءْ

١٩٥٢

تحية للجمهورية العراقية

« نظمت هذه القصيدة تحية لثورة
١٤ تموز سنة ١٩٥٨ » .

فَرَحُ الأيتامِ بضمّةِ حبِّ أبويّه
فرْحةُ عطشانٍ ذاقَ الماء
فرْحةُ تمّوزَ بلَمْسِ نسائمَ ثلجيّه
فرحُ الظُلُماتِ بنبع ضياء
فرحتُنا بالجمهوريّه

* * *

جمهوريتُنَـا ، نلفظُـها بهَـوىً وخُشُـوعْ
نهمسُها ، نغمـرُها قُبـلاً ولْهى حرّى
نلمُـسُ أحرُفَها بشِـفَـاهٍ بقيت دَهْـرا
تعطَـشُ ، تأرقُ ، تَعْـرى ، وتجوعْ
جمهوريّـتَنَـا ، فرحتَـنَـا ، يا حُرْقةَ أشواقٍ وحنينْ
نحنُ عطِشْـنا لك أعواما
جُعنا وسَهِرْنا ، غذّيناها أحلاما
والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينْ

* * *

جمهوريّتنا ، طفلتُـنا الجذلى العينينْ
مولودتُـنا السمراء الباسمةُ الشفتَـينْ
سنوسّدُها في اذرِعنا ومآقينا
سنغذّيها بأغانينا

نحنُ ترقّبناها زَمَناً من دون كَلالْ
ورصَدْنا الأفْقَ ، بحَثنا مِلْء روابينا
وحَصَدْنا الشوكَ ، حَصَدْنا حِقْد أعادينا
وأقمنا مَهْداً من حبٍّ وشَذىً وظِلالْ
كم حفَّ به كيدُ الأعداء
وسقَطْنا حولَ قوائِمِه الولهى شُهداء

* * *

جمهوريتُنا دفْقَةُ خيرٍ مَسكوبه
تقطُرُ إيماناً وعُروبه
جمهوريّتُنا ضوءٌ ، عِطْرٌ ، وعذوبَهْ
تقطُرُ من أحرُفِها الطيبه
كانتْ حُلماً ضاعَ إلى زرقتِهِ البابُ
كانت أشواقاً مشبوبَه

يحجُبُها غيمٌ وضَبابُ
وأخيراً نحنُ لَمسْناها
بأكُفٍ راعشةٍ فرحاً وملكناها

* * *

جمهوريّتُنا ورْدتُنا النَشوَى العَطِره
أهداها تمّوزُ الطيّبْ
أعطاها لرؤانا ، لرُبَانا المنتَظِره ،
للوادي العطشانِ الجدِبْ
وردتُنا البيضاءُ الغَضّه
تغمرنا ثلجاً في تمّوزَ وحُرّيّه
تُعطينا عطراً وسلاماً ورؤىً بَضّه
تبعثُنا أغنيةً حيّه
تحيا تحيا الجمهوريّه

* * *

جمهوريَّتُنا وردتُنا الروحيّةُ يَحْميها اللهُ
كانت حُلماً ، كانت رؤيا
والآنَ غدَتْ أغلى ما نملِكُ في الدُنيا
وأحبّ ، أعزّ ، أرقّ الوردِ وأحلاهْ

* * *

في أضلُعِنا يا وردتَنا الجُمهوريَّه
في أعيُنِنا نامي فلصوص الوردِ كِثَارْ
أعداءُ العِطْرِ العابقِ ، تُجّارُ الأزهارْ
أيقَظَ عِطْرُكِ فيهم أشواقاً ذئبيّه
السّوقُ صحَا يا وردُ حذَارْ
من نقمتِهِ الصهيونيّه
ومخالبِهِ الأمريكيّه

* * *

جمهوريّتُنا ، وردتُنا ، لن نُعْطيها
إنّا قد ذُقْنا سُكّرَها بعد الحرمانْ
هل نُسْلِمُها لِلصّ الآنْ ؟
جمهوريّتُنا من دمنا سنُغذّيها
نحنُ لها إيمانٌ يُعْطي ويد تُنْجِدْ
جمهوريتَنا عشْتِ ، سَلِمْت من الطُغيانْ
انّا والبعثَ على موعدْ

طريق حبي

طريقي اليكَ يمُرُّ بــاوديةٍ لا تَبينْ
مغيّبةٍ في ضَبابِ التمنّـي وعِطْرِ الحنينْ
ويُسْدَلُ فوق ذُرَاها القصيّةِ سِتْرٌ ضَنينْ
يلملمُ أسرارَ أصقاعها عن عُيون السّنينْ

* * *

طريقي اليكَ ، وأيُّ طريقٍ مُثيرٍ غريبْ
قُرَىً سربلتْها الظنونُ ومَدٌّ فضاءٍ مُريبْ

وتاوي الشكوكُ إليها ، ويسكُنُ لغْزٌ عجيبْ
وتصرُخُ أسئلتي في رُباها ، وما من مُجيبْ

* * *

وكم مُدُنٍ لا تُفَسَّرُ كم قريةٍ مُضْنِيه
ينامُ التناقُضُ فيها ويفترشُ الأوديهْ
فمن فَرَحٍ يتنهَّدُ حُزْناً ، ومن أغْنيه
تُذيعُ سُكوناً طويلاً ، ومن ذِكَرٍ مُنْسيه

* * *

وكم من صحارٍ يعيشُ التعطّشُ في رَمْلها
رَوَيتُ تعطّشها بدموعي ، ومن أجلها
جمعتُ النَدى قَطْرةً قطرةً وعلى مَحْلِها

صَبَبْتُ دمائي

ومثـــلِيَ يَفْنَـى على مِثْلها

* * *

طريقُ هوايَ هِضابُ غُموضٍ وأرضُ ظِلالْ

وبيدٌ تُطيلُ التمنّـي وتطلبُ ما لا يُنَـالْ

هنالك أنهـــارُ أسئلةٍ وجـــبالُ مُحَالْ

وترسو الليالي شهوراً ويَنْسى المسيرَ الهلالْ

* * *

وبين المحالين : بين وصولي وبين رجوعي

تمرُّ رياحٌ تبلّـلُها قَطَـراتُ دُموعِـــي

وأسهَـرُ أجهَـدُ ، أحفر في لهفةٍ وخُشوع

لعلّـي أُشقُ طريقاً لحبّـيَ بين ضُلُـوعي

(١٩٦٠)

خمسُ اغانٍ للالم

- ١ -

مُهْدي ليالينا الأَسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوسَ الأرَقْ

نحنُ وجدناهُ على دَرْبنا
ذاتَ صباحٍ مَطِيرْ
ونحنُ أعطيناهُ من حُبّنا
رَبْتَةَ إشفاقٍ وركناً صغيرْ
ينبِض في قلبنا

* * *

فلم يَعُد يتركُنا أو يغيبْ
عن دَرْبنا مَرّه
يتبعُنا ملءَ الوجودِ الرحيبْ
يا ليتَنا لم نَسقِهِ قَطْره
ذاكَ الصَّباحَ الكئيبْ

مُهْدي ليالينا الأَسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوس الأرَقْ

- ٢ -

من أينَ يأتينا الألَمْ
من أينَ يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا

* * *

أمسِ اصطحبناهُ إلى لُججِ المياهْ
وهناكَ كسّرناه بدّدْناهُ في موجِ البُحَيرهْ
لم نُبْقِ منه آهةً لم نُبْقِ عَبْره
ولقد حَسِبْنا أنّنا عُدْنا بمنجىً من أذاهْ
ما عاد يُلْقي الحُزْنَ في بَسَماتنا
أو يخبىء الغُصَصَ المريرةَ خلفَ أغنيّاتِنا

* * *

ثم استلمنا وردةً حمراءَ دافئةَ العبيرْ
أحبابُنا بعثوا بها عبْرَ البحارْ
ماذا توقّعناهُ فيها ؟ غبطةٌ ورِضىً قريرْ
لكنّها انتفضَتْ وسالتْ أدمعاً عطْشى حِرارْ
وسَقَتْ أصابعَنا الحزيناتِ النَّغَمْ .
إنّا نحبّكَ يا ألمْ

* * *

من أينَ يأتينا الألم؟
من أين يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا
انّا له عطَشٌ وفَمْ
يحيا ويَسْقينا

- ٣ -

أليسَ في إمكاننا أن نَغْلِبَ الألمْ ؟
نرجئُهُ إلى صباحٍ قادمٍ ؟ أو أمْسِيه
نشغُلُهُ ؟ نُقنعهُ بلعبةٍ ؟ بأغنيه ؟
بقصّةٍ قديمةٍ منسيّة النَغَمْ ؟

* * *

ومن عَساهُ أن يكون ذلك الألمْ ؟

طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهِم العيونْ
تُسكته تهويدةٌ ورَبْتةٌ حَنونْ
وان تبسّمنا وغنّينا له يَنَمْ

* * *

يا أصبعاً أهدى لنا الدموع والنَّدَمْ
من غيرهُ أغلقَ في وجه أسانا قلبَهُ
ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبّهُ
ومن سواهُ وزّعَ الجراحَ وآبتسَمْ ؟

* * *

هذا الصغيرُ ... إنّه أبرأ مَنْ ظَلَمْ
عدوّنا المحبّ أو صديقنا اللدودْ
يا طَعْنةً تريدُ أن نمنحَها خُدودْ
دون اختلاجِ عاتبٍ ودونما ألمْ

* * *

يا طفلَنا الصغيرَ سَامحْنا يداً وفَمْ
تحفِرُ في عُيوننا معابراً للأدمعِ
وتَسْتَثيرُ جرحَنا في موضعٍ وموضعِ
إنّا غفَرْنا الذنبَ والإيذاء من قِدَمْ

- ٤ -

كيف ننسَى الألَمْ
كيف ننساهُ ؟
من يُضيءُ لنا
ليلَ ذكراهُ ؟

سوف نشربُهُ سوف ناكلُهُ
وسنقفو شرودَ خُطَاهْ
وإذا غِنا كان هيكلُهُ

هو آخـــرُ شيءٍ نَرَاهْ

* * *

وملامحُـهُ هي أوّلُ ما
سوف نُبْصرُهُ في الصباحْ
وسنحملُـهُ مَعَنا حيثُما
حملتنـــا المُـنى والجراحْ

* * *

سنُبيحُ له أن يُقيم السُدودْ
بين أشواقنا والقَمَـرْ
بين حُرقتنا وغديرٍ بَرُودْ
بين أعيننا والنَظَـرْ

* * *

ومنسمح أن يَنْشُر البَلْوى
والأسى في مآقينا
وسنُؤْويه في ثِنْيةٍ نَشْوَى
من ضلوع أغانينا

* * *

وأخيراً ستجرفُهُ الوديانْ
ويوسّدُهُ الصُّبَّيْر
وسيهبطُ وادينَا النسيان
يا أسانا ،مساءُ الخيْرْ !

* * *

سوف ننسى الألم
سوف ننساهُ
انّنا بالرضى
قد سقيناه

- ٥ -

نحن توّجناكَ في تهويمةِ الفجْرِ إلها
وعلى مذبحكَ الفضيّ مرّغنَا الجِبَاها
يا هَوانا يا ألَمْ
ومن الكَتّانِ والسِمْسِمِ أحرقنا بخورا
ثمّ قَدّمْنا القرابينَ ورتّلْنَا سُطورا
بابليّاتِ النَغَمْ

* * *

نحنُ شَيّدنا لكَ المعبَدَ جُدراناً شَذيّه
ورَششنا أرضَهُ بالزّيتِ والخمرِ النقيّه
والدموع المُحرِقه
نحن أشعلنا لكَ النيرانَ من سَعف النخيلِ

وأسانا وَهشيم القمح في ليلٍ طويـــلِ
بشفاهٍ مُطْبَقَه

* * *

نحنُ رتّلْنَا ونادَيْنا وقدّمْنا النذورْ :
بَلَحٌ من بابلِ السَكْرَى وخُبْزٌ وخمورْ
وورودٌ فَرِحَهْ
ثمّ صلّينا لعينيك وقرّبنـــا ضحيّهْ
وجَمَعْنا قَطَراتِ الأدمُعِ الحرّى السخيّه
وَصَنَعْنا مَسْبَحَه

* * *

أنتَ يا مَنْ كفُّهُ أعطتْ لحوناً وأغاني
يا دموعاً تمنحُ الحكمةَ ، يا نبْعَ معانِ
يا ثَرَاءً وخُصوبَهْ

يا حناناً قاسياً يا نقمةً تقطُرُ رحْمَه
نحنُ خبّأناكَ في أحلامنا في كلّ نغْمه
من أغانينا الكئيبه

(١٩٥٧)

اغنية للاطلال العربية

من الجزْع من قلْب سِقْط اللِوَى
ووادي الغمار وبُرْقةِ ثهْمَدْ
ومن رَبْع نُعْمٍ عفتْهُ الرياحُ
وأقفرَ من أهلِهِ وتبَدّدْ
ومن طَلَلٍ في الجزيرةِ أقوَى
وما زالَ مَنْبَعَ عطْرٍ وعَسْجَدْ
تعالتْ هُتافاتُ ماضٍ عريقٍ
يعيشُ الخُلودَ بجَفْنٍ مُسَهَّدْ

* * *

وتلكَ المرابـــعُ حيثُ الظِبـــاءُ
سَرَحْنَ قديمـــاً وتلكَ الطُـــلولْ

منـــازلُ يعربَ يَفْنى الوجـــودُ
ويلبَثُ منها شـذىً لا يزولْ

وشعْرٌ نَـــدٍ عربيّ القوافي
يَظَلُّ يـبرعمُ مثـل الفصولْ

إذا دَرَسَتْ دِمْنةٌ هبّ ألفُ امْـ
رىء القيسِ يدفَـعُ عنهـــا الذُبولْ

* * *

تُناديكَ يا عربيّ رمـــالٌ
مُعَطّرةٌ بـــأريج القِـــدَمْ

ديارُ العروبة ما لامَسَتْهـــا
قديماً سوى قُبُلاتِ الدِّيَـــمْ

وقفتَ بهـا اليومَ : أينَ الهـواد
جُ ؟ أين الحُـدَاءُ ؟ وأين الخِيَـمْ ؟
تَرَحَّلَ فرسانُها وانطـوتْ
أناشيدُهـا وزَوَاهـا العَـدَمْ

* * *

وتستعجمُ الدارُ يا عـربيّ
وتُـغْرِقُ في صَمْتِها لا تُجيبْ
فإن تبْـكِ ، تَسْتبكِ جُدْرانَهـا
يردَّ عليـكَ السكونُ الرهيبْ
مَسارحُ آرامِهـا دنَّسَتْهـا
خُطَى الوافـدِ الأجنبي المُريبْ
وأرضُ نزارٍ وبكرٍ ووائـ
لَ خطّوا على رَمْلِها تـلْ أبيبْ

* * *

وَيصْعَدُ في الليل همسٌ كئيبٌ
تردّدُه الدِمَنُ الماحله
تغلّفهُ كبرياءُ الطُلولِ
وعزّةُ أحجارها الذابله
ويُثقلُه رجعُ خطْوِ القوافـ
لِ في رمْلِ تلك الرُبى القاحله
متى يا زمانُ تعودُ الحياةُ
الينا وتنطلق القافلَهْ ؟

* * *

فيا عربيّ أصِخْ لنداءٍ
تحَدّرَ من رَحْبَةِ الأبديّهْ
وقفْ حاسراً تحت ضوء النجوم
على ربْعِ تلك الطلول الأبيّه

وقُلْ يا رمــالَ الجزيرةِ يا لَحْــ
نَ ملحمةِ العَرَبِ الأزليّــه
غــداً ستعودُ اليكِ الحيــاةُ
تعــود مــع الوَحْدةِ العربيّه
(١٩٦٣)

مشغول في آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو
ويبسِمُ في المَـدَى ليلٌ ندِ أو ينتشي صُبْـحُ
سواءٌ ذاكَ أو هذا ، حبيبي ، أنت مَشْغولُ
سُدىً منيَ أوتارٌ تصلّـي وتراتيلُ
على مكتبك الباردِ تنكبّ بلا أحلامْ
وتسرِقُ روحَكَ الأرقامْ
وعند رتاجك المَسدودِ ترتدّ المواويلُ
وقد أضحك ، قد أبكي ، وأسهَرُ في الدّجى وأنام

سواءٌ ... أنتَ مشغولُ
بأوراقِكَ ، والحبُّ على المكتب مقتولُ ،
ألا فلتَسْقطِ الأوراقُ والأقلامْ

* * *

وآذارُ النَدِيْ وأنا ... وراءَ البابْ
نرُشُّ جبينَكَ الجدِّيَّ بالأطيابْ
نُرَقْرقُ في دواة الحبر بعضَ تحرّق الموجِ
ونُنْجي خَشَبَ المكتب من بَرْدٍ ومن ثلج
ونُهْدِيك النَدَى والعِطْرَ كأسَ شَرابْ
حبيبي فافتحِ الأبوابْ
أنا والقمر المُشتاقُ جئنا نطرُقُ الشُبّاكْ
عبرنا الصخْرَ والأشواكْ
ووِدياناً من الآهاتِ والأوصابْ

أتينا هاهُنا لنراكْ
حبيبي فافتحِ الشُبّاكْ

* * *

ويمضي الوقتُ والأبواب ترفُضُنا
حبيبي المُرهَقَ المشغولَ إفتحْها فنحنُ هُنا
أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَةَ النَهْرِ
وأكواباً من العِطْرِ
وحُزْمَةَ أنجمٍ وسَنَا
حبيبي فافتحِ الأبوابَ ، نحنُ هنا
جميعاً :
أنتَ ، آذارٌ ، وفرحةُ حبّنا ، وأنا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

« ترجمة تصرف للقصيدة المعنونة :

It's not Going To Happen Again

للشاعر الإنكليزي روبرت بروك »

أجلْ أنا أشبعتُ روحي وغذّيتُ هذي الشفاهْ
وأشربتُ قلبيَ حتى سَكِرْ
أجلْ أنا أُعْطيتُ أثمنَ ما منحتْهُ الحياه
كؤوسَ الهوى البلسميّ العَطِرْ
وكم قد سَكِرْتُ بأفراحها وبلغتُ الذُرَى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره

ولكنّها ستكونُ الأخـــيرةَ يا صاحبي
ولكنّها ستكونُ الأخـــيره

* * *

وتعرِفُ هذا بُثينةُ في دَرَكاتِ الجحيمْ
ويُدْركه توبـــةُ وجميلْ
وكم غمغمتْهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتٍ رخـــيمْ
وواست به حُزْنَ ليلى الطويلْ
وكم ردّدتْه شفـــاهُ كثيّرَ في نَشْوةٍ
لعـــزّة وهي تموتُ كسيرَه
ولكنّها ستكونُ الأخـــيرةَ يا حُلْوتي
ولكنّها ستكونُ الأخيرَهْ

وردة لعبد السلام

« نظمت الشاعرة هذه الأغنية في مساء اليوم الذي
أعلن فيه اعتقال السيد عبد السلام عارف بتهمة
التآمر سنة ١٩٥٨ »

في جـــداولنا في شِفاهِ روابينا ريبةٌ وظـلامْ
وسؤالٌ تحرّق ملءَ أغـــانينا : أينَ عبدُ السلامْ ؟

* * *

والعروبةُ تسألُ : أينَ أضعْناهُ ؟ صوتُهـا محزونْ
هل نقولُ لها إنّنا قد رَميْناهُ في ظلامِ السُجونْ ؟

* * *

ولماذا سنسجنُـهُ ؟ يسألُ الرافدانْ أيّ ذنب َجناهْ ؟
هل تقولُ لها إنّـه يا شواطئ كانْ عربيّ الشـفـاهْ ؟

* * *

نَـبَـأٌ أنكرتْـهُ المروجُ الخضيبَـه بـــدمِ الثُـوّارْ
وسيلبَـثُ فوق خدود العروبه خجلاً واحمرارْ

* * *

والملايينُ ترقـُبُ في حُرقةٍ وانفعالْ حافَةَ الكأسِ
صوتُها رنّ يُلْقي السؤالَ متى يا جَمالْ مَطلعُ الشمْسِ؟

* * *

والملايينُ تحمل في يدهـــا ورده لكَ عبدَ السّلامْ
يا نصيرَ العروبة والحقّ والوَحْده يا عدوّ الظَلامْ

(١٩٥٨)

أغنية للقمر

كأسُ حليبٍ مثلّجٍ تَرِفِ
أم جدولٌ سائلٌ من الصَدَفِ ؟
أم غَسَقٌ أبيضٌ يسيلُ على
خدود ليلٍ مُعَطّرِ السُدُفِ
أم حُقّ عطْرٍ ملوّنٍ خَضِلٍ
يقطُرُ شهداً لكلّ مُغْتَرِفِ ؟
أم أنتَ خدٌ مُزَنبقٌ أرِجٌ
يَنعَسُ فوقَ الأعشابِ والسَعَفِ ؟

يا فضّةً كالضياءِ ليّنــةً
يا لونَ حُبّي القديم يا شَغَفي

* * *

ما أنتَ يا دورقَ الضياءِ ويا
كواكباً في الظلام مُنْصَهِره ؟
يا قُبَلاً سَوْسنيّةً سَكَبتْ
شهداً مُصَفّىً في ليلةٍ عَطِرَهْ
يا مَخْبأً للجمالِ يا حُزَمــاً
من زنبقٍ في السماء مُنْعَصِرَهْ
ويا شِفاهاً من الضياءِ دَنَتْ
تَمْسَحُ وجهَ العرائشِ النَضِرَه
يا بركة العِطْرِ والنعومة يا
سلّةَ فُلٍّ في الأُفْقِ منحدره

* * *

يا زورقَ العاشقين تحملُهُم
عبْرَ بحار الأحلام والكَسَلِ
على جَنـــاحٍ مريَّشٍ يقظٍ
يفرُشُ دربَ الغرامِ بالأملِ
يا منبعاً يسكُبُ النُعاسَ على
ما أرّقَتْهُ الأشواقُ من مُقَلِ
يا ساقيَ الأعينِ الرقاقِ رؤىً
يا كوبَ نومٍ مخــدِّرٍ ثَمِلِ
يا إصبَعاً يلمُسُ الجراحَ ويا
مُبَعْثِرَ الأُغْنياتِ والقُبَلِ

* * *

جزيرةٌ في الدُجى معلّقـــةٌ
فجريّةُ اللونِ والتباشير

طافيةٌ فوق جدولٍ عبِقٍ
مكوكبِ الشاطئَينِ مَسحورِ
تجمَّدَ الضوءُ عند شاطئها
مهد حريرٍ وكنْزَ بلّورِ
يا توبةَ القُبْحِ يا شِراعَ هوىً
مُلَوّنٍ ناعمِ الأساريرِ
يا نَدَمَ الليلِ والظلام ويا
كَفّارة الغيْمِ والأعاصيرِ

* * *

أذِبْ شظايا أشِعّةٍ ورؤىً
في الليلِ واغمُرْ سُطوحَنا فِضّهْ
وانفُضْ جناحيكَ في الفضاءِ يَسِلْ
لونُ جَناحِ الفراشةِ الغضّه

لولاك لم ترقُصِ الظلالُ ولم
تبرُدْ كؤوسُ الزنابِقِ البَضّه
غزلْتَ أحلامَنا وأرضَعتَنا
ضياؤكَ العذْبُ ومضةً ومْضَه
يا كُوّةَ الفَجْرِ في دُجىً تَعِبٍ
يا مُطْعِمَ الياسمينِ في الرَوْضه

* * *

البَثْ كما أنتَ عالماً عجِزَتْ
أرواحُنا أن تعيْ خفاياهُ
يا ناسِجَ الشِعْرِ يا بَقيّتَهُ
في عالَمٍ أظْلَمَتْ مَراياهُ
أيُّ نشيدٍ لم ينبجس عَسَلاً
وأنتَ تفترّ في ثَناياهُ

أنتَ منحتَ الغنـاءَ لذّتَهُ
يا نبْضَـةَ الوزن في حَناياهُ
فابْق وراء الحيـــاةِ أخيلةً
الشِعْـرُ فيهـا والُحبّ واللهُ

(١٩٥٢)

ثلجٌ ونار

تسألُ ماذا أقصدُ؟ لا ، دَعْني ، لا تسألْ
لا تَطْرُقْ بوّابةَ هذا الرُكْنِ المُقْفَلْ
اتركني يحجُبُ أسراري سِتْرٌ مُسْدَلْ
إنَّ وراءَ الأستارِ وروداً قد تذْبُلْ

* * *

إن أنا كاشفتُكَ ، إن عرّيتُ رؤى حبّي
وزوايا حافلةً باللهفةِ في قلبي
فستغضَبُ مني ، سوف تثورُ على ذنبي

وسيَنـْبُتُ تانيبُكَ أشواكاً في دربي

* * *

وإذا ما رُحْتَ تؤنّبُني، هل أنسحبُ ؟
هـــل يقبَلُ ثلجَ عتابكَ قلبي الملتهبُ ؟
أترى أتقبّلُ ؟ لا أغضَبُ ؟ لا أضطربُ ؟
لا ! بل سأثورُعليكَ ... سيأكُلني الغَضَبُ

* * *

وإذا أنا ثرتُ عليكَ وعكّرتُ الأجواءْ
بمرارةِ لفظٍ جــافٍ أو حرفٍ مُسْتاءْ
فستغضَبُ أنتَ وتنهَضُ في صمتٍ وجَفَاءْ
وستذهَبُ يا آدمُ لا تسألُ عن حــوّاءْ

* * *

وإذا مــا أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشَوْقا

عصفوراً عطشاناً لا يحلُمُ أن يُسْقَى
وليالِيَ لا تعرفُ لا فجْراً لا شَرْقا
وإذا ما أنتَ ذهبتَ ... فماذا يتبقّى ؟

* * *

لا ، لا تسأل ... دعني صامتةً منطويهْ
أترك أخباري وأناشيدي حيثُ هيَ
اتركني أسئلةً ورودداً مُنْزويهْ
وورودداً تبقَى تحت ثلوجكَ منحنيه

* * *

يا آدمُ لا تسأل ... حوّاؤكَ مطويّه
في زاويةٍ من قلبك حيرى منسيّه
ذلك ما شاءتْهُ أقدارٌ مَقْضيّه
آدم مثلُ الثّلْج ، وحوّاء ناريّه

أغنية حب للكلمات

فيمَ نخشَى الكلماتْ
وهي أحياناً أكُفٌّ من ورودِ
باردات العِطْرِ مرّتْ عذْبةً فوق خدودِ
وهي أحياناً كؤوسٌ من رحيقٍ مُنْعِشِ
رَشفَتْها، ذاتَ صيفٍ، شَفةٌ في عَطَشِ

* * *

فيم نخشى الكلماتْ
إنّ منها كلماتٍ هي أجراسٌ خفيّهْ

رَجعُها يُعلِن من أعمارنا المنفعلات
فترةً مسحورةَ الفجرِ سخيّه
قَطَرَتْ حسّاً وحبّاً وحياةْ
فلماذا نحنُ نخشى الكلماتْ ؟

* * *

نحنُ لُذْنا بالسكونِ
وصمتنا ، لم نشأ أن تكشف السرَّ الشفاهُ
وَحسِبنا انّ في الألفاظ غولاً لا نراهُ
قابعاً تُخْبئُهُ الأحرُفُ عن سَمْعِ القرونِ
نحنُ كبّلنا الحروف الظامئه
لم نَدَعْها تفرشُ الليلَ لنا
مِسْنداً يقطُرُ موسيقىً وعِطْراً ومُنَى
وكؤوساً دافئه

* * *

فيم نخشى الكلماتْ ؟
انها بابُ هوىً خلفيّةٌ ينفُذُ منها
غدُنا المُبهَمُ فلنرفعْ ستارَ الصمتِ عنها
انها نافذةٌ ضوئيّةٌ منها يُطِلّ
ما كتمناهُ وغلّفناهُ في أعماقنا
من أمانينا ومن أشواقنا
فمتى يكتشفُ الصمتُ المملُّ
أنّنا عُدْنا نُحبّ الكلماتْ ؟

* * *

ولماذا نحن نخشى الكلماتْ ؟
الصديقاتُ التي تأتي إلينا
من مدى أعماقنا دافئةَ الأحرُفِ ثرّهْ
انها تفجؤنا ، في غَفْلةٍ من شفتينا

وتغنّينا فتنثالُ علينا ألفُ فكره
من حياةٍ خِصْبة الآفاقِ نَضْره
رَقَدَتْ فينا ولم تَدْرِ الحياة
وغداً تُلْقي بها بين يدينا
الصديقاتُ الحريصاتُ علينا ، الكلماتْ
فلماذا لا نحبّ الكلماتُ ؟

* * *

فيمَ نخشى الكلماتْ ؟
انّ منها كلماتٍ مُخْمليات العُذوبَهْ
قَبَسَتْ أحرفُها دِفْءَ المُنى من شَفَتين
انّ منها أُخَراً جَذْلى طَروبه
عَبَرَتْ ورديّةَ الأفراح سَكْرى المُقْلتين
كَلِماتٌ شاعريّاتٌ ، طريّه

أقبلتْ تلمُسُ خدّينا ، حروفُ
نامَ في أصدائها لونٌ غنيّ وحفيفُ
وحماساتٌ وأشواقٌ خفيّه

* * *

فيمَ نخشى الكلماتْ ؟
إن تكنْ أشواكها بالأمسِ يوماً جرحتْنا
فلقد لفّتْ ذراعيْها على أعناقنا
وأراقتْ عِطْرَها الحلوَ على أشواقنا
ان تكن أحرفُها قد وخزَتْنا
ولوَتْ أعناقَها عنّا ولم تعْطِفْ علينا
فلكم أبقت وعوداً في يَدَينا
وغداً تغمرُنا عِطْراً ووردا وحياة
آه فاملأ كاستَيْنا كلِماتْ

* * *

فيِ غدٍ نبني لنا عُشّ رؤىً من كلماتْ
سامقاً يعترش اللبلابُ في أحرُفِهِ
سنُذيبُ الشِعْرَ في زُخْرُفِهِ
وسنَرْوي زهرَهُ بالكلماتْ
وسنَبْني شُرْفةً للعطْرِ والوردِ الخجولِ
ولها أعمدةٌ من كلماتْ
وممرّاً بارداً يسْبَحُ في ظلٍّ ظليلِ
حرَسَتْهُ الكلماتْ

* * *

عُمْرُنا نحنُ نذرناهُ صلاة
فلمن سوف تصلّيها ... لغير الكلماتْ ؟

(١٩٥٤)

ثلاث أغنيات عربية

- ١ -

الساعـــة

« لقد دقت ساعـــة العمل الثوري »
[جمال عبد الناصر]

دقّت الساعة في أرض بـــلادي العربيّه
جلجلت ، ضجّت ، ودوّت ملء وديانٍ قصيّه
غلغلت عـــبر بساتين النخيل العنبريّه
وتلوّتْ في صحارٍ رَسَخَتْ كالأبديّه .

* * *

دقّت الساعة واهتزّتْ لها سُمْرُ الصحاري
وارتوت بيدٌ عِطاشٌ لانبلاجٍ ، لانفجارِ
ورمـــالٌ لم تزلْ منذ عصورٍ في انتظارِ
فتحتْ أذرعها العطشى وألوت بالإســارِ

* * *

إنّـه الفجرُ فهُبّي يا مــلايينُ وموجي
إحملي أغنية الصَحْو إلى خُضْر المــروجِ
ووعـــوداً مورقاتٍ عربيّاتِ الأريـجِ
نبضت بـــين المحيط المُترامي والخليـــجِ

* * *

إثنتا عشرةَ من دقّاتهـــا هـــزّت رُبَانا
أيقظت تاريخَنا القوميّ في قعْر دِمـــانا

غلغلت عــبر صحارينا النَشاوَى وقرانا
وسمعناهــا تنادي وأفَقْنا من كرانا

-٢-

اللصوص

إنّه الليلُ كلُّ الحدودْ غرقتْ في مَدَى غيهبِهْ
بدياجيهِ لفَّ الوجودْ أيّهــا العربيّ انتبه

* * *

رَحـبات المَدى النائياتْ زخرتْ بخُطَى الأعداء
من وراءِ ضفافِ الفراتْ والخليــجِ إلى صنعاء

* * *

ولصوصٌ هناكَ كثارْ   كلّهم جشَع وخداعْ
أقبلوا من وراءِ البحارْ   يسرِقون طعام الجياعْ

* * *

نزلوا أرضَك السمراءْ   يسرقون الجنى والتمورْ
يأخذون الثرَى والهواءْ   يخطفون النَدَى والنورْ

* * *

يسلبونكَ لو يقدرونْ   خضرةَ الشَجَر المبتسِمْ
يخنقونَ الأغانيْ الحنون   يمنعونَ الكَرَى والحُلُمْ

* * *

انّهم يقطعون الطُرُقْ   ويسُدّون كلّ سبيلْ
فاستفق من كَرَاك استفق   أيّها العربي النبيلْ

-٣-

النسر المطعون

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهي
حيثُ الصحارى المُحْرِقات الرّمالْ

حيثُ الينابيعُ وكاساتُها
تقطرُ شهداً وتغذّي التلالْ

وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا
تشدو بها شِفاهُ ريحِ الشمالْ

هناكَ ألقى طائرٌ ظلّهُ
ضخماً ، إلهيّاً تحدّى المُحالْ

* * *

جُنْحاهُ مبسوطانِ فوق المدى
من الخليــج للمحيط السحيقْ
في كبرياء الريش تحيـا ذُرَى
وأعصُرٌ يقْظَى ومجدٌ عريقْ
أقـــامَ فوق الأرض لا يرتقي
نحو الأعالي في الفضاء الطليقْ
واللانهـــاياتُ تنادي وفي
ندائها همْسُ الخلود العميقْ

* * *

في قلبه النابض قـــد أغمدوا
رمحاً غليظَ الحدِّ خشْنَ الشّفاه
من صدره الحرِّ يغذّي الثَرَى
والوردُ يستنبتُهُ من دمـــاهْ

يا رمحَ إسرائيلَ مهما ارتوى
من جنحهِ من روحهِ من مُناهْ
يبقى ثَرانا عربيّ الشذى
والضوءِ ، يبقى عربيّ المياهْ

* * *

يافا وحيفا في غـدٍ نلتقي
فنحن والضوءُ على موعدِ
تبقى فلسطينُ لنا نغمةً
قدسيّةً على فمِ المُنْشِدِ
ونسْرُنا الشامخُ لن ينثني
أمام بابِ الزمنِ الموصَدِ
غداً فلسطينُ لنا كلّها
كأنّ إسرائيلَ لم توجَدِ

خصام

زمانُ الصَفَاء مَضى وتلاشَى مع الذكريات
وها نحن مختصمانْ
وجاء زمانُ الصِرَاعِ فلا لُطْفَ لا بَسَماتْ
ولا دفقةٌ من حَنانْ

* * *

وها نحنُ مختصمانِ دفنّا الوئامْ
وراء التوتّر في قعر ألفاظنا البارده
ولم نُبْقِ كأساً ولا منهلاً للغرامْ

ولم نُبْقِ عُشّاً لأحلامنا الساهده

* * *

وها نحنُ نكشِفُ عمّا انطوَى
بأعماقِ أنفسِنا من عيوبٍ جميله
ويُدْرِكُ كلّ بأنّ الهوَى
طوَى ما طوَى من معايينا المُترَفات الأصيله
ولم يُبْقِ إلا محاسنَنا الفجّةَ المُستحيلهْ

* * *

وهـا نحنُ نعرِفُ أبعادَنا الشاسِعه
وما امتدّ في عُمقها من خُشونه
وكيف ملكْنا عُيوباً منوّعةً رائعهْ
تُخَبّىء أوجُهَها خلف ستر الرِضَى والليونَه

وخلف الوداعةِ خلْفَ السكينه

* * *

وفي لَحظَاتِ الصفاءِ لَمَسْنا شذانا الرصينا
وذُقْنا محاسنَنا السَمْحةَ المُنْعِمه
وذاك الطِلاءَ الذي لفّ أعماقنا المُبهَمه
وغطّى الحماقةَ والضَعْف فينا

* * *

وفي لَحظاتِ الحنينِ هَوِيْنا
بَساطتَنا وعشِقْنا العُذوبه
وها نحن نعشَقُ ما تَخْلُقُ الآدميّةُ فينا
ونلمُسُ أعماقَنا الشاسعاتِ الرهيبهْ
وما في حَماقتنا من جَمالٍ شَذٍ وخُصوبه

* * *

وكنا عَشِقنا انبثاق الحرارة في مُقلتَينا
فدَعنا نُحبّ النُضوبْ
وكنا هَوِينا التورّدَ والشِعرَ في شَفتينا
فلمَ لا نُحبُّ الشحوبْ
ولِمَ لا نخلّفُ ركناً من المقْتِ بين يدينا ؟

* * *

وكنا عَقَدْنا الصداقةَ بين المحاسنِ فينا
فدعنا نُقِمْ أُسسَ الحبِّ والودِّ بين العيوبْ
وأفسحْ مكاناً لبعضِ الحماقات بعضِ الذُنوبْ
ودعنا نكُنْ بَشَراً طافحين نفيضُ جنونا
وتنضَحُ ضِحْكاً ودمعاً سَخينا

(١٩٥٤)

أسفار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel
للشاعر الانكليزي روبرت بروك
Rupert Brooke

حينَ نزلتُ (تونس) الكبيرهْ
كُسِّرَ قلبي قِطَعاً صغيره

* * *

ثم استطعتُ بين نَخْل (البصره)
ألصاقَ قلبي كِسرةً فكسره

* * *

وفي (دمشْقَ) عـاد قلبي قِطَـعا
ولاحَ عجزُ الصمغِ عن أن يَنْـفَـعا

* * *

وها أنا في أرض «مصرٍ» أعلمُ
بانَّ مـا كُسِّـر ليسَ يُلْـحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجميلة

جميلةُ ! تبكين خلفَ المسافاتِ ، خلف البلادْ
وتُرْخين شَعرَكِ كفّكِ دمعَكِ فوق الوِسادْ
أتبكين أنتِ ؟ أتبكي جميلَهْ ؟
أما منحوكِ اللحونَ السخيّاتِ والأغنياتْ ؟
أما أطعموكِ حروفاً ؟ أما بَذَلوا الكلماتْ ؟
ففيمَ الدموعُ إذنْ يا جميله ؟

* * *

ونحن منحنا لوصفِ جراحِكِ كلَّ شَفَهْ
وَجرَّحنا الوصفُ ، خدّشَ أسماءَنا المُرْهَفه
وأنتِ حملتِ القُيـودَ الثقيله
وحينَ تحرّقتِ عطشى الشِفاه إلى كاسِ ماءْ
حشَدْنا اللحونَ وقُلْنا سَنُسْكِتُها بالغناءْ
ونشدو لها في الليالي الطويله

* * *

وقُلنا : لقد أرشفوها الدماءَ ، سقَوْها اللهيبْ
وقُلنا : لقد سمّروها على خَشَباتِ صليبْ
ورحنا نُغَنّي لمجـدِ البُطوله
وقلنا : سنُنقذُها ، سوف نفعلُ !» ثم غرِقنا
وراء مَدى «سوف» بين الحروف النشاوى وصحنا

تعيشُ جميـــله ! تعيشُ جميله !

* * *

وذُبْنا غراماً بِبَسمتها وعَشِقنا الخدودْ
وأذْكى هَوانا الجمالُ الذي أكلتْـهُ القيودْ
وهِمْنا بغَمّـازةٍ وجَديلَـهْ
أمِنْ جُرْحِها الثرّ نُطْعمُ أشعارَنا بالمعاني ؟
أهذا مكانُ الأغاني ؟ إذنْ فاخجلي يا أغاني
وذوبي أمـــام الجراح النبيلَهْ

* * *

هُمُ حمّلوها جراحَ السكاكينِ في سوء نيّه
ونحنُ نحمّلُها ـ في ابتسامٍ وحُسْنِ طويّه ـ
جراحَ المعاني الغــلاظ الجهوله

فيـــا لَجِراح تعمّقُ فيها نُيوبُ فَرَنسا

وجُرْحُ القرابةِ أعمقُ من كلّ جُرْحٍ وأقسى

فوا خَجلتنا من جراح جميـــله !

(١٩٥٨)

إن شاء الله ...

ناديتُ الوردةَ ذات صباحٍ : « يا وردةُ إني عَطشى » ؛
فرَنَتْ وانتفضَتْ وابتسمتْ
وجهاً ، قلباً ، شَفَةً ، رِمْشا
منحتني العِطْرَ ، اللونَ ، الحبَّ ، وما بخلَتْ
فرشَتْ لي خدّيْها وحنت
... ...
وسألتُ حبيبي أن ألقاهْ
فتطلّع فيَّ وقال : أجل ، ان شاء اللهْ ...

بضعة ألفاظ ثم مَضى
وعدٌ منه وحماسٌ من قلبي ورِضَى
وغداً أو بعد غدٍ يحضُرُ إن شاء اللهْ ...

* * *

إن شاء اللهْ ...
وعدٌ في شَفَةِ الزنبقِ غطّى المرْجَ شَذاهْ
وتألّقُ فجرٍ منبثقٍ خلفَ مسافاتٍ مبهوره
ونسائمُ تعبُرُ في وديانٍ مسحوره
(إن شاء اللهُ) رؤى أغنيةٍ طافحةٍ ونَدىً وصلاه
(إن شاء اللهُ) تسابيحٌ وصَدَى أجراسْ
وبشاشةُ كاسٍ لامَسَ كاسْ
(إن شاء الله) تفجّرُ أعيادٍ وحياهْ
وتَلاقي أعنابٍ ومياهْ

* * *

(إن شاء الله) ... وسحّتْ أمطارٌ ثرّهْ
فجّرتِ العالَمَ بالخضرَه
(إن شاء اللهُ) وجاشَ البحرُ وأعطانا
سمكاً ولآليْ ورشاشاً رطّبَ أوجهَنا ورؤانا
(إن شاء الله) وألفُ يدٍ مرّتْ وتيقّظَ ألفُ وترْ
وتألّقَ حولي ألفُ قمرْ
وأنا ما زلت أعيشُ وأحلُمُ أن ألقاهْ
فمتى يُشرقُ لي فجرُكِ يا (إن شاء الله) ؟

* * *

(هل) و (متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه
وجوابُهما : إن شاءَ الله ...
هل تخضرُ ؟ هل يأتي المطَرُ ؟
هل يسخو العِطْرُ وينهمرُ ؟

إن شاء اللهْ

إن شاء اللهْ

ومتى يسْري نُسْغُ السُكَّرْ

في الرُمّانِ الحامضِ ؟ والفجرُ متى يظهرْ ؟

والشاطىءُ بعد ضَنى الأسفارِ متى سنراه

إنْ شاء الله ؟

حدود الرجاء

«في انتظار إعلان الوحدة
الثلاثية سنة ١٩٦٣»

كنا نراها في ضَبابِ الكَرَى
ملفوفةَ الهيكل بالمستحيلْ
كنا شفاهاً عطشتْ والتظَتْ
وكان مَرآهــا يُرَوّي الغليلْ
كنا مــلايينَ نُعاني اللّظى
وظلُّها فوقَ مُنانا ظليــلْ

وكانتِ الأحلامُ تُلْقي بنــــا
في كلِّ فجرٍ فوق صحوٍ ثقيلْ

* * *

وكم عبرْنا نحوَهـــا من مَدىً
الرِّيحُ فيهِ تلتقي بالأنـــينْ
دماءُ مقتولينَ من يَعْربٍ
تضجُّ في أعماقِ ليلٍ حزينْ
وموكبٌ يُعقبهُ موكبٌ
من شُهداءٍ سقطوا هاتفـــينْ
يا صوتَها ، يا وجهَها ، يا اسمَها
إبقَيْ ضياءً يتحدّى السنينْ

* * *

الوحدةُ الكبرَى شَدَوْنا بها
ونحـــنُ في المَهْدِ صغارُ المُنى
وكم بَنيْنا صَرحها المُشتَهَى
على تـــلالِ الرّملِ في أمسِنا
وكم حَسِبنا أنّها قد دَنَتْ
منّا فأخفى ضوءَها المُنحنى
وجهٌ سرَابيّ السَّنا كم هوَى
كلّ رجـــاءٍ دونَهُ مُثخَنا

* * *

من دونها ضِعنا فـــلا زَهْرةٌ
توقِظُنا أشذاؤهـــا الساريهْ
لا نَغَمٌ يُسعِدُ أرواحنـــا
لا نَهْرَ يروينا ولا ساقيهْ

لا نخـــلةٌ تضحكُ في أرضنا
لا زارعٌ يُنشِدُ لا راعيـــهْ
جفّتْ أراضينا وأشجـــارنا
وارتحلَـتْ أطيارنا باكيهْ

* * *

نحنُ عَـــبرْنا كلّ أفقٍ نأى
نبحثُ عنها عن شذاها الجميلْ
عن لونها عن روحها عن صَدًى
منها يُدوّي في السكونِ الثقيلْ
واليومَ جئنا أرْضَها وانطوَى
ذاك المسيرُ المــدلهمُّ الطويلْ
وانصرَمتْ تلك السنينُ التي
تاهت خُطاها في ضَباب العويلْ

* * *

واليومَ حــانَ الفجر يا أمّتي
فنحنُ قارَبْنا حدود الرّجاءْ
تلألُهـــا تبدو وراء المَدَى
مُغرَقةً في غمــــرةٍ من ضياءْ
الوحدةُ الكبرى دنا ركبُـها
منّـا فيا بُشرَى الشِـفاه الظِـماءْ
يا فرحة السارينَ تحت الدُجى
قد لاحتِ الدارُ وحانَ اللقاءْ

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

«عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية
من القاهرة في ١٧ نيسان ١٩٦٣»

يا صميم الدُجى الذي أسدلَ السِتـْ
ـرَ على بيدِنا الرِحابِ النقيّـهْ

يا جراحَ التقسيمِ ، يا عارَ إسرا
ئيلَ في جبهة الصَحَارى الأبيّهْ

يا مسيلَ الدماء من عُنُقِ المو
صلِ باسم السلامِ والُحريّـه

يا صُراخَ الجنوبِ من أرضنا المُشْ
ـبعةِ الرّملِ بالدماءِ الشذيّـهْ
يا سنينـــاً مقتولةً في ثرَى تا
ريخِنا لم تَزَلْ رؤاهـــا طريّهْ
يا قبوراً تضمُّ قَتْـلَى عِطَاشاً
فوق أرضِ الجزائرِ العبقريّهْ
يا مُنى أمّـــتي جميعاً ، ويا آ
مـــالها يا أحلامَها المَطْويّه
إستفيقي من الكرَى إنّ فجراً
قـد أطلّتْ أضواؤه الزنبقيّهْ
حُـــزَمٌ من سعادةٍ وضياءٍ
دفَقَتْ في الديَاجـــر الغَيْهبيّه
طوتِ النيلَ واحتوت بَرَدَى واحـ
ـتَضَنَتْ دجلةً بكفٍّ نديّهْ

إنّها ساعةُ المَدَى أعلنتْ دقّـ
ـاتِها فجرَ أمّتي العــربيّهْ

* * *

كم حَلُمْنا بوَحْدةِ العَرَبِ الكُبْـ
ـرى وهِمْنا بفجرها الوُضّاءِ
كم شَدَوْنا بها، عروبتُنا ظَمْـ
ـأى إليهـا تظَلّ دون ارتواءِ
ورأينـا ديارَنا مِزَقاً دا
ميةَ الرّمْـلِ، في يدِ الأعداءِ
لم يَعُدْ زهرُها الطريُّ المُنَدّى
عربيَّ الألوانِ والأشـذاءِ
وانحَنَى النخلُ واجماً خجِلَ الخُضْـ
ـرةِ بعد انتصابةِ الكبرياءِ

وخرجنا مُشَرَّدِينَ فمن صَحْـ
ـراءَ ممتـــدّةٍ إلى صحْـراء
وتركنا أنهارَنا تسكُبُ المـا
ءَ رحيقاً في أكـــؤس الغُرَباء
ثم جـــاء الضياءُ وافترّ فجرٌ
عنبريّ الشُّعَاعِ عبْرَ الفضاء
في سكونِ الصباحِ جلجلتِ السا
عـةُ مِـــلْءَ المهامِهِ السمراءِ
تُعْلِنُ الوَحْدَةَ الكبيرةَ ضوءاً
وَسلامـــاً في ليلةٍ لَيْـــلاءِ
أعلَنَتْها أمنيّةَ العـــرب الكبـ
ـرى وحُلْمَ الأجداد والآباءِ

* * *

واستفاقت بغدادُ نشْوى تُغنّي
وهي تَسقي ورودَ أجملِ فَجْرِ
خفقَتْ في سمائها رايةُ الوحْـ
ـدةِ يا لَلْحُلْمِ الجميلِ النَضْرِ
قلبُها قلبُها المَشُوقُ إلى مِصْـ
ـرَ طويلاً قد ضمّ تُرْبةَ مِصْرِ
والتَقَتْ كفّها بكفّيْ دَمشْقٍ
في صبـــاح العروبة المفترِّ
انّه الصبحُ جـــاء فاستقبلتْهُ
في أشدّ اعتناقةٍ وأحـــرّ
جاءَ بالراية المثلّثةِ الأنـــ
ـجمِ يمحو عارَ السنينِ الحُمْرِ
وبيمناهُ وردةٌ بَضّـــةُ الملْـ
ـمَسِ ريّا البياض نَشْوى العِطْرِ

هي مِنْــــهُ تحيّةٌ للذينَ اسـ
تُشْهِدوا أمسِ في إباءٍ وكِبْرِ

ايهِ بغدادُ أيقظي كلَّ من ما
تَ شهيداً على نشيدِ النَصْرِ

أنبايــــهِ بانّ وَحْدَتهُ قـا
متْ وضمّت من أرضهِ كلّ شِبْرِ

طلع الفَجْرُ من وراءِ الدياجي
يا عُيونَ الشهيد نامي وقرّي

* * *

انها الوَحْدَةُ الكبيرةُ جُعْنَا
لشَذَاها مَدَى قُرونٍ طوال

أشعلَ الشوقُ حُبّها في صحاري
نا وحنَتْ لها شفاهُ الرمال

كم شهيدٍ من يعربٍ ماتَ عطشا
ـنِ اليها ممـــزّقَ الآمالِ
ضيّع الحُلْم في مكانٍ سحيقٍ
بين لفظ اسْمِها وبين المُحَال
يا حنينَ الأجداد يا شَوْقَ أمّي
يا سِنينَ الضَياعِ والأغـــلالِ
فجرُنَا لاح فلتَنَمْ حُرْقَةُ الأشـ
ـواقِ وليسترحْ جنونُ السؤالِ
فجرُنا لاح أبيضاً عربيّـــاً
أطلعتْهُ في الأفْق كفّا (جَمَال)
ناصرِ الحقِّ والعروبةِ أحْيَى
كلّ حُـــلْمٍ مقطّعِ الأوصالِ
لمّ شَمْلَ الرّمالِ في أرضِـنا السَمْـ
ـراءِ بعد التمزيقِ والإذلالِ

ودعا النّومَ فاستحالَ حياةً
تتلظّى بالخصْب والإنفعـــال

ثم أهدى ديارَنا الوَحْدةَ الكبـ
رى فموجي يا أرضَنا واختالي

(١٩٦٣)

اغنية ليالي الصيف

يا هدوءاً مطمئنّــــــا

يا فضاءً مَرِحاً لدْنَ البريقِ

يشرَبُ الأنجمَ كأساً من رحيقِ

يا رؤىً تقطُرُ لونا

* * *

انتِ عطرٌ ونعومهْ
وحفيفٌ وانحداراتُ أشعّه
ونجومٌ عُكِستْ في عُمق بِتْرعه
وأناشيدُ رخيمه

* * *

أنتِ ينبوعُ سكونِ
وحَماساتٌ وعِطْرٌ وبُروده
يا وِسادَ الأنجُم الجذْلى البعيده
يا مَصَبّاً للحنينِ

* * *

أيّ بردٍ ولُيونَــهْ
يا شفــاهاً قمريّات القُبَلْ
تنشُرُ الأنداءَ أقداحَ عَسَلْ
فـوق أشجار المدينه

* * *

أيّ نهرٍ من عطورِ
في شَذَاهُ مسبحٌ للقَمَرِ
وغـــذاءٌ للرؤى والسمـــرِ
ورحيـــقٌ للشُعورِ

* * *

أنتِ للأحلام مأوىَ
يا ملاذاً بارداً عذْبَ الجوارِ
لخدودٍ حَمَلَتْ عبْءَ النّهارِ
وأتَتْكِ الآن نَشْوى

* * *

اغمريني بالظِـــلالِ
واحملي روحي على أعطار نَسْمه
وامنحي خدّي وساداً عند نجمه
يا ليــالي يا ليــالي

* * *

وإذا نمتُ فمُـــدّي
بردَكِ المُنْعِشَ والعِطْرَ سريرا
وأسيلي القَمَرَ العذْبَ غـديرا
وليكنْ لينُكِ مَهْدي

* * *

وامنحيني ألفَ حُلْمٍ
من ليـــالٍ غَسَقيّاتِ الغُلاله
شَرِبَتْهـا فرحتي حتى الثُماله
فهي قيثاري وكرمي

(١٩٥٢)

النهر العاشق

« نظمتها الشاعرة خلال الفيضان
الرهيب عـــام ١٩٥٤ »

أين نمضي؟ انه يعدو إلينا
راكضاً عبْرَ حقول القمْح لا يُلْوي خطاهُ
باسطاً ، في لمعة الفجر ، ذراعَيْهِ إلينا
طافراً ، كالريحِ ، نشوانَ يداهُ
سوف تلقانا وتَطْوي رُعْبَنا أنّـى مَشَيْنا

* * *

انه يعدو ويعدو
وهو يجتازُ بلا صوتٍ قُرَانا
ماؤه البنيّ يجتاحُ ولا يَلْويه سَدّ
إنه يتبعُنا لهفانَ ان يَطْويْ صبانا
في ذراعَيْهِ ويَسْقينا الحنانا

* * *

لم يَزَلْ يتبعُنا مُبْتسماً بسمةَ حبٌ
قدماهُ الرّطبتانِ
تركتْ آثارَها الحمراءَ في كلّ مكانِ
انه قد عاش في شرقٍ وغربِ
في حنانِ

* * *

أين نعدو وهو قد لفّ يدَيهِ
حولَ أكتافِ المدينه ؟

انه يعمَلُ في بطءٍ وَحزْمٍ وسكينه
ساكباً من شفَتَيْهِ
قُبَلاً طينيّةً غطّتْ مراعيْنا الحزينه

* * *

ذلكَ العاشقُ ، إنا قد عرفناهُ قديما
انه لا ينتهي من زحفِهِ نحو رُبانا
وله نحنُ بنَيْنا ، وله شِدْنا قُرَانا
انه زائرُنا المألوفُ ما زالَ كريما
كلّ عامٍ ينزلُ الوادي ويأتي لِلقانا

* * *

نحن أفرغنا له أكواخنا في جُنْح ليلٍ
وسنؤويهِ ونمضي
انه يتبعُنا في كل أرضٍ

وله نحنُ نصلّي
وله نُفْرِغُ شكوانا من العيشِ المملّ

* * *

انه الآنَ إلهُ
أو لم تَغْسِل مبانينا عليه قَدَمَيْها
انه يعلو ويُلْقي كنزَهُ بين يَدَيها
انه يمنحُنا الطينَ وموتاً لا نراهُ
من لنا الآنَ سواهُ ؟

(١٩٥٤)

المدينة التي غرقت

« مرثية لبغـــداد الجديدة التي
أغرقها فيضان عام ١٩٥٤ »

ورَاءَ السِّداد التي ضمّدوا جُرْحَها بالحصيرْ
وخلفَ صُفوفِ الصّرائفِ حيث يعيشُ الهجيرْ

* * *

يسيرُ طريقٌ تدثّر بالطـــينِ نحو المدينه
وأطلالِها حيثُ باتَ يعيش اصفرارُ السكينه

* * *

وحيثُ الشوارعُ باتتْ وحولاً ومُستنقَعات
وكانت تجيشُ وتزخر ساحاتُها بالحيـــاةْ

* * *

وكانت تهشّ وتضحكُ للشمسِ كلّ صباحْ
فباتتْ يعشّشُ فيها الدُجى وصفيرُ الرِّياحْ

* * *

وكانت منازلهـــا المَرِحاتُ تُلاقي القمَرْ
بضِحْكِ نوافِذِها فاستكانتْ وصاحَ القَدَرْ

* * *

وجاء الخرابُ ومدّدَ رجلَيْهِ في أرْضِها
وأبصَرَ كيف تَنُوحُ البُيوتُ على بَعْضها

* * *

وحدّق فيها وأصغى إلى الصَرَخاتِ الأخيرَهْ
لسقفٍ هَوَى وتَداعى وشرفةِ حُبٍّ صغيرهْ

* * *

وأرسَلَ عينيهِ في نشوةٍ يرمُقُ الأبنيهْ
وقد ركعتْ في هوانٍ ذليلٍ بلا مرثيهْ

* * *

وجاء الخـــرابُ وسار بهيكلِهِ الأسودِ
ذراعاهُ تَطْوي وتَمْسَحُ حتى وعودَ الغَدِ

* * *

وأسنانُهُ الصُفْرُ تَقْضِمُ باباً وتمضَغُ شُرْفَهْ
وأقدامُهُ تطأ الوردَ والعُشْبَ من دونِ رأفهْ

* * *

وسار يَرُشُّ الرَّدَى والتآكُّلَ ملءَ المدينه
يخرِّبُ حيثُ يحلّ ويَنْشُرُ فيها العُفُونه

* * *

وفي الليلِ حينَ يجيءُ الشَذَى وضياءُ القَمَرْ
يهُبّ الخرَابُ ويضحَكُ نشوانَ بين الُحفَرْ

* * *

ويُرْسلُ ضحكتَهُ العصبيّةَ ملء الفضاءْ
فتنفر منه النجوم ويثقُلُ مسُّ الهَـواءْ

* * *

وتنمو الخشونةُ حيثُ يلامسُ وجهَ الترابْ
وتُنْبِتُ أقدامُهُ طُحْلُباً لزِجاً وذُبابْ

* * *

ويأتي الصباحُ ويختبىء الغولُ في مكمنِ
وتُخفيه مُستَنقَعاتٌ فِساحٌ عـــن الأعينِ

* * *

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحَثُ عن أمسِها
وماذا تبقّى سوى الموتِ والمِلْح في كأسِها ؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

« ترجمة تصرف عن الشاعر
الفرنسي بروسبير بلانشمين »

انّهُ الشيخُ ربيعْ
ذلكَ الشيخُ المرِحْ
ذو الثيابِ الخُضرِ والوجه البديعْ
والجبينِ المُنْشرحْ
كلّما طافتْ خُطَى نيسانَ بالدُنيا أطلاّ
من كُوَى غرفتِهِ عذْباً طروبا
هاتفاً : « أهلاً ، وسهلا ...

مرحباً نيسانُ ! قد حانَ لنا أن نظهرا
ونجوبَ الأرضَ ودياناً وبيداً وسهوبا
في رداءٍ أخضَرا . »

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ إلينا واطلْ مكْثَكَ فينا
عد الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

هذهِ خُطْوةُ نيسانَ على وجْهِ الحقولِ
شرِبَتْ أولَ بَسْمه
من شفاهِ الشمس ، والفجرُ على صدْرِ السُّهولِ

لم يَزَلْ يُسقَى نَدَى الليل ، وفي الغابات نَسْمه
نقلتْ إنشادَ عصفورٍ صغيرٍ :
« عِمْ صباحاً أيها الضوءُ ... » وردّ الآخرونْ
« حانتْ اليقْظَةُ فلنمرحْ رِفَاقي
في حمى الغابِ النضيرِ
ولْنُغَنِّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونْ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكي منّا السّواقي . »

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ الينا وأطلْ مكثك فينا
عدْ الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

ويردّدُ الشيخُ من غرفتِهِ عذبَ المَرَحْ :
« يا عصافيري لا تَعْجَلْنَ إنّي أتزيّنْ
بعد حينٍ أرتدي ثوبي الملوّنْ
كلّ لونٍ فيه من قوس قُزَحْ
كل خيطٍ وَتَرٌ من أغنيهْ
كلّ زرٍّ وردةٌ منتشيه
أمسِ أعطانيهِ خياطي ، لماذا
تتعجّلْنَ خروجي ؟ عَجَباً ما سرّ هذا ؟

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ الينا وأطِلْ مكثَكَ فيها
عُدْ الينا أيها الشيخُ ربيعْ

* * *

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعْ
يتمطّى قائماً ثمّ يسيرْ
ويداه تنثرانِ الوردَ في المرج البديعْ
فوق أعشاش العصافير، على شطّ الغديرْ
وله نعلانِ لا مِسمارَ في كعبيهما
بل أزاهيرُ وأوراقٌ، ومن لونيهما
تشرب الشمسُ وتَسقي المغربا
قبلَ أن تَلوي خُطاها وتضيعْ
في الذُرى خلفَ الرُبى

* * *

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ الينا وأطِلْ مكثَكَ فينا
عد الينا أيها الشيخ ربيعْ

(١٩٥٢)

البعث

أنا غَنّيتُ للظِّـــلالِ وأعطَيْـ
ـتُ هوايَ المفتونَ للأشباحِ

وعبرتُ الحياةَ وسْنَى وشيّدْ
تُ قلاعاً جُدْرانها من رياحِ

وعَصَرْتُ الأوهامَ في قَبْضتي رحيـ
ـناً وأهديتُ للطيوف صُدَاحي

وأخيراً أتيتَ أنتَ وأسلـــمْـ
ـتَ كؤوسي إلى شِفاهِ الصباحِ

نَغَمي كان جدولاً سُكّريّ الـ
ماء يَنْسابُ ليسَ يسقي العِطاشا
ضنّ أن تَسْبح العصافيرُ فيه
وأهانَ الضُحَى وصدّ الفَراشا

وورودي ثّمتْ رحيقاً عبيريّـ
ـاً وآلتْ لا تَمنَـــحُ الأحراشا
خزنتْ في عُروقها قَطَراتِ الـ
عِطْر بُخْـــلاً بشهدها وانكماشا

* * *

أنتَ فجّرتَ أغنياتيَ ينبـــو
عَ حنانٍ مشوّقَ القَطَراتِ
الفُقَاعاتُ فيه ضاقت بما يُثْـ
قلُها من حرارةٍ وحيـــاةِ

بحَنَتْ في تحــرّق وارتعاشٍ
عن شِفَاهٍ أو أعينٍ عَطِشاتِ
لتَصُبّ الصباحَ فيها وتَسْقيـ
ـها كؤوساً مشغوفةَ الحافاتِ

* * *

وورودي الــتي تَغَصّ بما فيـ
ـها من العِطْرِ والرحيقِ الثمينِ
أنتَ أخجلْتَ في تموّجها الخصْـ
ـبِ عُبُوديّةَ العبيرِ السجينِ
أنتَ علّمتَ عِطْرَها سَكْرةَ التَجْـ
ـوالِ علّمْتَها اشتعالَ الحنينِ
أنتَ نبّهتَ غَفْوةَ الفُلّ في حَقْـ
ـلي وبُخْلَ البنفسَجِ المَفْتونِ

* * *

أنا أغلقتُ بابَ قلبي على كلّ
جمـــالٍ وكلّ خلجة شوقِ
وجعلتُ الهوى المزنبق سراً
ضائع الحدّ في امتدادٍ وعُمْق
يا لسرٍّ غذيتُ كتمانَه قلـــ
بي،دمي، كلّ قطرةٍ ، كلّ عرقٍ
خفتُ أن يخدشَ النهارُ حواشيْـ
ــه فأبقيتُه رهينةَ رقّ

* * *

ذلكَ الحبّ لم أحدّثُ به قطّ
غديراً أو ربْـــوةً أو حقلا
لم أصِفْه لتـــلّةٍ تُطعِمُ الليـ
ـلَكَ من قلبها وتَسقي الظلاّ

غرتُ أن تعرفَ العصافيرُ أسرا
ري فأسلمتُها السكونَ المُملاّ
لم أقُلْ للغديرِ إنّكَ أصفَى
وكتمتُ الضياءَ أنّـك أغلى

* * *

يا هوىً ظلَّ شاحبَ الخدّ خجلا
نَ من الشمس خائفَ الألحانِ
يتوارى عن النجوم ويُخْفي
وجْـهَهُ عن زنابقِ الغُدْرانِ
ألحدتْ ذكرياتُـــهُ بخريرِ الـ
ـجدولِ العَذْب وانفعالِ الأغاني
وبَنى الصمتَ معبداً كَفَرَ المر
مـرُ فيـه ولاذَ بالكِتْمانِ

* * *

أنا لولاك كنتُ ما زلتُ سِرّاً
خافتَ اللحنِ باهتَ التلوينِ
أنتَ حرّرتَ ذلك الوَلَهَ الخصْ
بَ وأخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
جئتَ كالضَوْءِ فانحنى لكَ قيدي
وتلاشى توحّشي وجنوني
وأفاقَ الشعور ينفُضُ عارَ الـ
صَمْتِ عن سِرِّ قلبيَ المكنونِ

* * *

أنتَ علّمْتَ قلبيَ المُطبْق الكفِّ
سخاءَ النَدَى وبذْلَ اللهيبِ
أنتَ صيّرتَني هُتافةَ حبٍّ
ثرّةَ الوقْع بعد طولِ نُضوبِ

أنا غنّيتُ باسمكَ العذْبِ في كل
الخنـــاءِ ومفْرَقِ موهوبِ
لا تَلُمْني إذا ملأتُ بكَ الدنـ
ـيا فصاحتْ معي: حبيبي،حبيبي!

(١٩٦٢)

اغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماماما
برّاقُ الحلوُ اللثغةِ يَنْوي النوما
والنومُ وراء الربوة هيّا حُلْما
والحُلْمُ له أجنحةٌ تَرقى النَجْما
والنجمُ له شَفَةٌ ويُحبّ اللَثْما
واللثمُ سيوقِظُ طفلي :
ماما ماما

* * *

بابا بابا بابا بابا بابابا
برّاق الغافي الساهي يسرِقُ قَلْبا
والقلبُ سيُمْرِعُ يُنْبتُ ورداً رَطْبا
والوردُ يَرُشّ المَهْدَ أريجاً عَذْبا
وأريجُ الوردِ لَعوبٌ يَهْوَى الوَثْبا
والوَثْبُ سيوقِظُ طفلي :
بابا بابا

* * *

دادا دادا دادا دادا دادادا
الحقلُ مَشوقٌ للخُضْرةِ لا يَهْدا
والخُضْرةُ خاويةٌ لا تملكُ وردا
والوردُ إلى الحُمْرةِ مرتعشٌ وجدا

والحمرةُ عند صغيري ثغراً خدّا
وسيُضْحي الوردُ صغيري :
دادا دادا[1]

(١٩٦٣)

---

(١) (ماما) تقرأ هكذا : « مَمّا » كما ينطقها الطفل المراقي وبذلك تجانس القوافي التالية . وكذلك (بابا) و (دادا) .

الى وردةٍ بيضاء

كنزَ البرودةِ والرحيقِ ومَخْبأ اللينِ العَطِرْ
يا من عُصِرْتِ من الثُلوجِ من الحليبِ من القَمَرْ
يا ضوءَ خدٍّ من حريرٍ أبيضٍ مــــلءِ النظَرْ
بيضاءُ يا مَلْقَــى فَرَاشاتِ الربيعِ المُنْتَظَرْ
الشمسُ ودّتْ لو سَقَيْتِ ضياءها مِنَحاً أُخَرْ
والفجرُ تابعُكِ الأمينُ يُريقُ ظلّكِ في النَهَرْ
يا مُلْتَقَى حبِّ السّواقي والقنـــابرِ والشَجَرْ
واحسرتاهُ على البَشَرْ

مـــرّوا بكنزكِ سائلينْ
مسكينةٌ مـــا تملكينْ ؟

* * *

بيضاءُ : نحنُ أنا وأنتِ سنكتم السرَّ المُثـــيرْ
سرّي وسرّكِ لن نبوحَ به إلى الركْـبِ الضريرْ
ماذا مَلَـكْنا ؟ لا ضِياعَ ولا عبيدَ ولا قصورْ
لا شيء إلا رعشةَ القمرِ المُرَنّحِ في الغديرْ
وغناء أنسامِ المساء المُخْمَلِيّاتِ المرورْ
وصداقة العُصفور والفجرِ الملوّنِ والعبيرْ
ومودّة الشمسِ الحنون وقُبْلة المطَر الغزيرْ
ووساد أعشابٍ وثيرْ
وارحمتـــا للسائلينْ
وسؤالِهِـم : ما تملكينْ ؟

(١٩٥٢)

الى القمر

من بَخور المعابدِ في بابل الغابرهْ
من ضجيج النواعيرِ في فَلَوات الجنوبْ
من هتافات قُمْريّةٍ ساهره
وصدى الحاصدات يغنّين لحنَ الغروبْ
ذلكَ الصوتُ ، صوتُكَ سوف يؤوبْ
لحياتي ، لسمع السنينْ
مُثخناً بعبير مساءٍ حزينْ
أثقلتْهُ السنابِلُ بالأرَجِ النَشوانْ ،

بصدىً شاعريٍّ غريبْ
من هُتافاتِ ضفدعةٍ في الدجى النعسان
يملأُ الليلَ والغدْرانْ
صوتُها المتراخي الرتيبْ

* * *

ذلك الصوتُ ، صوتُكَ سوف يؤوب
لحياتي ، لسَمْع المساءْ
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناءْ
قمريٌّ العُذوبةِ فيه صَدىً من ليالي المطر
من هدوء غُصونِ الشجر.
وهي تمتصُّ سَكْرى ، رحيق السَماءْ
الرحيقُ الذى عطّرتْهُ الغيومْ
بالرؤى ، بتحايا النجومْ

* * *

سأجوبُ الوجودْ
وسأجمَعُ ذرّاتِ صوتِكَ من كل نَبْعٍ بَرودْ
من جبال الشّمالْ
حيث تهمسُ حتى الزنابقُ بالأُغنياتْ
حيثُ يحكي الصنوبرُ للزَمنِ الجوّالْ
قصصاً نابضاتْ
بالشّذى ، قصصاً عن غرامِ الظِلالْ
بالسواقي ، وعن أغنياتِ الذئابْ
لمياهِ الينابيعِ في ظُلَلِ الغاباتْ
عن وَقارِ المَراعي وفلسفة الجدْولِ المُنْسابْ
عن خَروفٍ يُحسّ اكتِئاباً عميقْ
ويقضّي النَهارْ
يقضِمُ العُشْبَ والأفكارْ
مُغْرَقاً في ضَبابِ وجودٍ سحيقْ

* * *

وساجعُ ذرّاتِ صوْتِك من ضَحِكاتِ النعيمْ
في مساءٍ قديمْ
من أماسيّ دِجلةَ يُثقِلُ أجواءَهُ بالحنينْ
مرحُ الساهرينْ
يرشفونَ خريرِ المياهْ
وهي ترطمُ شاطئَهُمْ ، وضياءُ القَمَرْ
قَمَرِ الصيفِ يملأ جوّ المساءِ صُوَرْ
والنسيمُ يمرّ كلمس شِفاهْ
من بلادٍ أُخرْ
ليلةٌ شهرزاديّةُ الأجواءْ
في دجاها الحنونْ
كلّ شيءٍ يُحِسّ ويحلُمُ حتى السكونُ
ويهيم بحبّ الضياءْ

* * *

وسأسمَعُ صوتَكَ حيثُ أكونْ
في انفعال الطبيعةِ ، في لَحَظاتِ الجنونْ
حينَ تُثْقل رجعَ الرُعودْ
ألفُ أسطورةٍ عن شَبابِ الوجودْ
عن عصورٍ تَلاَشتْ وعن أُمَم لن تعودْ
عن حكاياتِ صبيانِ (عادْ)
لصبايا (ثمودْ)
وأقاصيصَ غنّتْ بها شهرزادْ
ذلك الملكَ المجنونْ
في ليالي الشتاءْ
وسأسمَعُ صوتَكَ كلّ مَسَاءْ
حين يغفو الضياءْ
وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامْ
وينامُ الطموحُ تنامُ المُنَى والغَرَامْ

وتنامُ الحياةُ ، ويبقى الزّمانْ
ساهراً لا يَنَامْ
مثل صوتك ، ملء الدُّجى الوَسنانْ
صوتُكَ السهرانْ
في حنيني العميق
صوتك الأبديّ الذي لا يَنَامْ
فهو يبقَى معي سهرانْ
وأحسّ صداهُ الملوّنَ يملأ كل طريقْ
بالشَذَى بندى الألوانْ
صوتُكَ المجهولْ
أنا أدركتُ ــ يا فرحتا ــ سرّهُ المَغْسُولْ
أنا أدركتُهُ أنا وَحْدي وصمْتُ الزّمانْ

(١٩٥٠)

النهر المغني

« ترجمة لقصيدة عنوانها Avoca
للشاعر الانكليزي المعاصر كريسمس
همفريس » .

وراءَ انعطافِ الرُّبى والسُّفُوحِ
هنالك نهرٌ شجِيُّ الضفّتينْ
يغنّي الدُّجى وتخفّ الظِلالُ
إلى شطِّـــه من كلا القمّتيْنْ
على قَدَمَينِ من الياسمينِ
حَمَلْنَ اليـــهِ هَوَى التلّتينْ

وبلّغنَهُ قُبُلاتِ السُفوحِ
ورُبّ حنينٍ بلا شَفتَينْ

* * *

هنالكَ نهرٌ يسيلُ بعيداً
وينصُبُ أشراكَهُ للقمَرْ
ويركضُ ، نعْلاهُ من فضّةٍ
ومن قَطَراتِ ندىً من زَهَرْ
يخفّ إلى البحْر في لهفةٍ
ويبحثُ فيه عن المُستَقَرْ
ليلْقى شواطىءَ مسحورة
مبلْلة برَشاشِ المطَرْ

* * *

هنالك نهرٌ يغنّي المساء
بأردية من بريقِ النجومْ

يغنّي وليس سُدىً ما يُغنّي
فخلفَ الدُّجى ووراءَ الغُيومْ
يُشيرُ الصبَاحُ نديّ الذِراعِ
إلى الفجرِ خلفَ الرُّبى والتُخوم
ليفتحَ أبوابَـــه الغافياتِ
ويسمعَ هذا النشيدَ الرّخيم

(١٩٥٢)

ثلاث أغنيات شيوعية

– ١ –

إذا نَزَلَ الليلُ هذي الروابي فقم يا رفيقْ
نراقبُهُ من ثقوبِ الدُّجى في السُّكُون العميقْ
لعلّ الظلامَ يُعدّ مؤامرةً في الخفَـــاءْ
ويحبكُها مع ضوء النُجوم وصمتِ المسَاءْ
فهذي الروابي وذاك الطريقْ
وهذا الدُّجى ، كلّهُمْ عُمَلاء

* * *

وسوف نفتّشُ حتى الأريجَ وحتّى المطَرْ
تقلّبُ حتى خيوطَ الضياءِ ولونَ الزّهر
ونفضَحُ ما دبّرتْ كلّ جاسوسةٍ زَنْبَقه
وما روّجَتْهُ العصافيرُ بالرّقْصِ والزّقْزقه
وإنّا لنعلَمُ أنّ القَمَرْ
تآمرَ فلننصبِ المِشْنَقَه

* * *

رفيقي تعـالَ لنسحقَ رجعيةَ الياسمينْ
وتزويرَ سوسنةٍ تَذْلةٍ وعزيشٍ لعينْ
وتلكَ الينابيعُ انّ دسائسَها أبديّـه
وهذا الأصيلُ يُذيـعُ أراجيفه الغسَقيّه
حَذارِ رفيقي فللوردِ دينْ
وهذا الشذَى روحُهُ عربيّه

- ٢ -

تحيّةً شقــائقَ النُعْمان
يا أختَنا الحمراء
يا شَفـَةً ساخنة الألوان
مترعـةً دمــاءْ

* * *

أختاهُ أنتِ أشرفُ الورودْ
رمزَ الدمِ المُراق
يا لونَ ما نُضْمِرُ من حُقُودْ
مُحْـرقـةِ الأشواقْ

* * *

وردتَنا الشريفـةَ الحمراءْ
يا رايةَ الكفــاحْ

يا حُمرة القتْلِ لكِ الدماءْ
فاغرةَ الجـــراحْ

* * *

ان تظمأي فبالدمِ المُنعش
أختاهُ لا نبخلْ
هيهاتَ يا حمراءُ ان تَعطَشي
وثَمّ من تَقتُــــل

* * *

من أجل هذا اللون نُجري النجيـع
جداولاً تنثـــالْ
وباسمِهِ نقتُـلُ حتى الربيعْ
ونذبَحُ الأطفـالْ

* * *

يا شَفَـــةً تلمّظتْ بالدمِ
يا غلّـةً مُحْرِقه
بجِقدنا نُقسِمُ أن تَسلمي
يا وردةَ المشنقـه

* * *

والآن جئناكِ به فاحتَسي
من لونه المُغري
دمٌ كثيرٌ فاشبَعي وانعَسي
يا أختُ واحمرّي

ـ ٣ ـ

ظلمـــةٌ ، وخزٌ ، صُراخٌ في وجودي
الرياحُ السودُ ملِحٌ في دمي فوقَ خُدودي

خنْجري أغمدتُهُ في رئتَيْ هذا الغُلامْ
وجززتُ الورْدَ من خدّيْهِ حبّاً للسّلامْ.
فإذا أشلاؤه تصحو وتحيـــا من جديدِ
وأراهُ باسماً منتصبــاً تحت الظـــلامْ
ومن الآفاق ينهال دَوِيٌّ
عـربيٌّ عـربيٌّ عربيٌّ

* * *

ثم ماذا ؟ أصبح الدربُ أعاصيرَ وقَصْفا
الغلامُ الأرعنُ الغادر قـد أصبحَ ألفـــا
هبطوا لم أدْرِ من أين : صبايا وشبـــابا
أوجهٌ أسْقِيتِ السُّمْرةَ والشمس شرابـا
بَدّلوا أمني شُكوكاً ومحاذيرَ وخوْفــا

وتهاوي حُلْـمي الأحمرُ للأرض تُرابـــا
لاعنـــاً تسعين مليونَ محيا
عربيّـــاً عربيّـــاً عربيّـــا

١٩٥٩

الى ميسون

إنْ خَبَتْ أعينُ النجومْ   وسجَتْ بَسْمةُ القمرْ
واختفتْ خُضْرةُ الكروم   وذوى الوردُ وانتــثرْ

كنتِ لي أنتِ كوكباً مُخْمَليّ الـ
لمسِ ينثالُ نبْعَ عطْرٍ وضوءِ
كان لي من بريقِ عينيكِ لونُ الـ
قمَرِ اللدْنِ في ليالي الدفْءِ

كانَ وحيي حكايةٌ منكِ فيها
من شَذى الورد ألف شيءٍ وشيء
كنت لي أنتِ يا بنفسجتي فجـ
ـرَ جَمالٍ مُطَلْسَمٍ غيرِ مَرْئي

وإذا أطفأ الزمانُ كلّ حبٍّ حملتُـه
وَطوتْ ظلمةُ المكانْ كلّ ضوءٍ شربتُـه

كانَ لي من صفاءِ وجهكِ بَدْءُ
لأغاني حُبٍّ وحبٍّ وحُبِّ
ومن الكوكبينِ عينَيْكِ تنشقُ
لعمري آثارُ ألفَيْ دَرْبِ
من بريقِ الجبينِ من مَلْمَس الخدّ
الحريريّ من سَوادِ الهُدْبِ

معبَرٌ للجَمالِ من شاطىءِ الجـــ
ـهولِ يُرْسي ائتلاقُهُ عند قَلْبي

(١٩٥٢)

فهرست

شظايا ورماد

قرارة الموجة

شجرة القمر

● سنة ١٩٧٠ صدر ديوانها الخامس « مأساة الحياة واغنية للانسان » ولكن هذا الديوان – مطولة شعرية واحدة ٥٠٠ صفحة – ينتمي الى المرحلة المبكرة من حياة نازك الشعرية فقد كتبته على مراحل ، وكانت المرحلة الاولى منه هي مرحلة ديوانها الاول عاشقة الليل .

● صدر لها كتابان في النقد الادبي احدهما قضايا الشعر المعاصر –١٩٦٢– وقد احدث ضجة في الاوساط الادبية ، والاخر على « محمود طه » والكتابان من ارفع الكتب النقدية في العالم العربي.